دراسات

وتستمر المسيرة

إصدارات مئوية الدولة الأردنية 2021

أ.د. سمير الدروبي

مجامع اللغة العربية

في دمشق وعمّان في عهود الهاشميين

(١٣٣٨ - ١٤٤٣ هـ / ١٩١٨ - ٢٠٢١م)

الجزء الأول

مقر المجمع العلمي العربي بدمشق في عهد الحكومة العربية (الفيصلية)

مجامع اللغة العربيّة في دمشق وعمَّان
في عهود الهاشميين
١٩١٨-٢٠٢١م

مجامع اللغة العربيّة

في دمشق وعمَّان في عهود الهاشميين

١٩١٨-٢٠٢١م

(الجزء الأول)

تأليف

الأستاذ الدكتور سمير الدروبي

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

أستاذ الأدب العربي في جامعة مؤتة

١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

• مجامع اللغة العربية في دمشق وعمّان في عهود الهاشميين (١٩١٨-٢٠٢١م)

(دراسة)

• د. سمير محمود أحمد الدروبي

• الناشر: وزارة الثقافة
شارع صبحي القطب
المتفرع من شارع وصفي التل
ص. ب ٦١٤٠ – عمان - الأردن
تلفون: ٥٦٩٦٢١٨/٥٦٩٩٠٥٤
فاكس: ٥٦٩٦٥٩٨

Email: info@culture.gov.jo

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٢١/٦/٣٣٤٨)

٤١,٥٦
الدروبي، سمير محمود أحمد
مجامع اللغة العربية في دمشق وعمّان في عهود الهاشميين (١٩١٨-٢٠٢١) / سمير محمود الدروبي - عمان: المؤلف، ٢٠٢١
٣ج( ) ص
ر. إ.: ٢٠٢١/٦/٣٣٤٨
الواصفات: / التعريب/ / مجمع اللغة العربية الأردني/ / الصراع الثقافي/ / التاريخ الثقافي/ / الهاشميون/ / دمشق/ / عمان/ / مجامع اللغة العربية/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

• الإخراج الفني: سمير اليوسف هاتف 0799677569
ردمك: 978-9957-94-651-7

• جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

• All rights reserved. No part of this book may be reproduced. stored in a retrieval system. or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

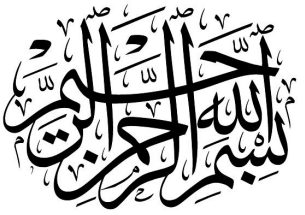

الإهداء

- إلى ملوك الهاشميين الذين كان لهم الدور الحاسم في رعاية المجامع اللغوية ودعمها.
- إلى رجال النهضة العربية الذين كان لهم فضلُ السبقِ والريادة في تأسيسِ مجامع اللغة العربية الرسمية.
- إلى المُفكّرين والأدباء واللغويين الذين نجحت دعواتُهم الإصلاحية في إحياء اللغة العربية ونهضتها.
- إلى الجنود المجهولين من الشيوخ والمعلمين، والفقهاء والرهبان والقساوسة، الذين علّموا العربية في الكتاتيب والمحاضر، والمساجد والزوايا، والأديرة والكنائس، والمعاهد والمدارس، وحافظوا عليها من الاندثار في عصور العُجمة والاستعمار.
- إلى العلماء العاملين الذين نهضوا بأعباء خدمة العربية، ونقل علوم العصر إليها، فكانوا دعاة للتعريب وسداً منيعـًا في وجه دعاة التبعية والتغريب.
- إلى كلّ من أحبّ هذه اللغة الشريفة دينـًا ووطنية، وعقيدة وقومية.
- إلى الزملاء المجمعيّين الذين أصبحوا حفظةً وسدنةً، وحماةً ودعاةً للغة القرآن الكريم والأمة العربية.
- إلى العلماء من المستشرقين الذين خدموا لغة العرب وتراثهم فهرسة وحفظـًا، ودراسة وتحقيقـًا، وترجمة ونقلاً وتعريبـًا للعلوم العصرية.
- إلى كلّ من تقدّم أهدي هذا العمل الذي جاء تخليداً لذكرى مرور مئة عام على قيام الدولة الأردنية.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١٥
الفصل الأول: اللغة العربية بين سياستي التتريك والتعريب:	٢٩
المبحث الأول: الاتحاديون وفرض سياسة التتريك.	٣١
المبحث الثاني: الحكومة العربية وتعريب لغة الإدارة والتعليم والجيش.	٤٣
المبحث الثالث: الحكومة العربية تعيِّن محمَّد علي كرد علي رئيساً لديوان المعارف.	٥٩
الفصل الثاني: تأسيس المجمع العملي العربي بدمشق:	٧٩
المبحث الأول: موافقة الحكومة العربية على تأسيس المجمع (الأسباب والملابسات).	٨١
المبحث الثاني: دوافع محمَّد كرد علي لطرح فكرة قيام المجمع على الحكومة العربية.	٩٣
المبحث الثالث: أصول فكرة المجمع عند كرد علي.	١٠٩
الفصل الثالث: أعمال المجمع وأبرز إنجازاته العلمية:	١٢٧
المبحث الأول: صدور قرار تعيين رئيس المجمع وتسمية أعضائه	١٢٩
المبحث الثاني: اختيار مقرّ المجمع، وترميمه، والدلالات التاريخية لـمقرّه.	١٣٩
المبحث الثالث: قرارات المجمع وأهدافه.	١٥٥
المبحث الرابع: مدى إنجاز المجمع لأهدافه.	١٦٩
فهرست المصادر والمراجع	**١٩٩**

شكر وتقدير

يطيبُ لي أن أتقدمَ بالشكر والتقدير لكلّ من أسهم بالمساعدة في إنجاز هذا الكتاب، منذ أن كان مشروعـًا وحتى ظهوره مطبوعـًا، ضمن إصدارات الدولة الأردنية بمناسبة مئويتها الأولى، وأخصّ بالشكر والاعتراف بالفضل:

- معالي الدكتور باسم الطويسي الوزير الأسبق لوزارة الثقافة، الذي أولى نشر هذا الكتاب اهتمامـًا كبيراً.
- عطوفة الأستاذ هزاع البراري الأمين العام لوزارة الثقافة.
- وأخصّ بالشكر الدكتور حسن المجالي، والدكتور مخلد البخيت، والدكتور أحمد راشد من وزارة الثقافة.
- وممّن لهم حقّ الشكر الأستاذ الدكتور خالد الكركي، والأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت، والأستاذ الدكتور علي محافظة، والأستاذ الدكتور يوسف بكار، والأستاذ الدكتور همام غصيب، والأستاذ الدكتور محمد السعودي؛ والأستاذ الدكتور نضال العياصرة مدير المكتبة الوطنية؛ على مؤازرة هذا العمل ودعمه بالمصادر، أو العمل على توفيرها.
- ويطيب لي أن أشكر الدكتور قاسم النوافلة، والسيد كمال العضايلة من مكتبة جامعة مؤتة، والسيدة أسماء العطيات من مكتبة الجامعة الأردنية، والدكتور نبيل حريز والأستاذ نادر رزق والأستاذ عبد الله حافظ، والأستاذ لؤي فندي، والآنسة عذراء ياصجين، والآنسة جاودة الجبور من مجمع اللغة العربية الأردني.

- ولا بد لي من الإشارة إلى الملاحظات القيّمة التي أبداها الزملاء الفضلاء: الدكتور سيف الدين الفقراء، والدكتور ياسين أبو الهيجاء، والدكتورة خلود العموش، والدكتور عمر الفجاوي على مخطوط هذا الكتاب، فلهم جزيل الشكر، ولكلّ من ندّ عن فكري ذكر اسمه، وقدّم خدمة لهذا العمل.

- وقد أبدت زوجتي الدكتورة ختام العبادي كل العون والتشجيع على إتمام هذا العمل، فلها مني كل الشكر.

تقديم وتعريف

اشتمل هذا الكتاب الموسوم بـ(مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين ١٩١٨-٢٠٢١م)، على دراسة ثلاثةٍ من المجامع الرسميّة التي أسّسها الملوك الهاشميون في دمشق وعمان.

أما أول هذه المجامع فهو (المجمع العلميّ العربيّ بدمشق)، الذي أصبح يُعرف فيما بعد باسم (مجمع اللغة العربية بدمشق)، وقد أسّس هذا المجمع الملك فيصل بن الحسين عند دخوله دمشق سنة ١٩١٨م، وما تبع ذلك من قيام (الحكومة العربية)، أو (الحكومة الفيصلية)، التي كان لها الفضلُ في إنشاء كثيرٍ من المؤسسات الإدارية التعليمية، والسياسية والأدبية، في بلاد الشام.

ومن مؤسساتها الخالدة (المجمع العلمي العربي)، الذي رأسه محمد كرد علي، بعد أن استدعاه الملك فيصل من إسطنبول، وكلّفه برئاسة ديوان المعارف، ثم المجمع العلمي العربي.

وقد بذل كرد ورفاقه من المجمعيين جهوداً مخلصةً في تأسيس المجمع، وإنجاح مشروعاته في تعريب لغة الإدارة، والجيش، ولغة التعليم في المدارس والمعاهد، فقد كانت قبل ذلك باللغة التركية.

وكان المجمع تعبيراً عن رؤية الملك فيصل للنهضة والوحدة العربية، الـمَبنيّة على الرابطة القومية التي عمادها اللغة العربية، وانضوى تحت لواء تلك الرؤية الموحّدة

الجامِعة، الشاميون والعراقيون والحجازيون، وأصبحت دمشق عاصمةً لدولتهم العربية الجديدة، منذ زوال دولة بني أمية سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م.

وقد جاء كتاب (**مجامع اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين ١٩١٨- ٢٠٢١م**)، في ثلاثة أجزاء: اشتمل الجزء الأول من هذا الكتاب على ثلاثة فصول، تناولتُ فيها اللغة العربية بين سياستي التتريك والتعريب، وتأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق، وأعمال المجمع، وأبرز إنجازاته العلمية، وضمّ كلُّ فصلٍ منها ثلاثة مباحث، تناولتُ فيها أسبابَ فضّ الحكومة العربية للمجمع ووقف أعماله، ومساعي محمد كرد علي لإعادة المجمع للعمل، والمجمع العلمي العربي: أمل الوفاء بالوعد الملكي، وريادة كرد في تأسيسه.

أمّا الجزء الثاني من هذا الكتاب، فهو تتمة للجزءالأول، ومرتبط به ارتباطًا موضوعيًّا، وقد اشتمل الجزء الثاني على ثلاثة فصول، ضمّ كلُّ واحدٍ منها ثلاثة مباحث، ولذا فإنَّ المقدمة التي قدّمت بها للجزء الأول، هي مقدمة جامِعة للجزأين الأول والثاني.

ومـمّا وجبَ التنبيه إليه أنَّ هذا التقسيم جاء وفقًا لتعليمات النشر الخاصة بوزارة الثقافة، التي تشترط ألّا يزيد الكتاب الواحد على مئتين وخمسين صفحة، علمًا بأنَّ هذه التعليمات خاصة بالإصدارات والمطبوعات ضمن الخُطّة الوطنية الاحتفالية بتأسيس الدولة الأردنية هذا العام، بمناسبة مرور المئوية الأولى على قيامها.

أمّا الجزء الثالث من من كتاب (مجامع اللغة في عهود العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين ١٩١٨- ٢٠٢١م)، فإنّه فتناول (المجمعالعلمي العربي في الشرق) الذي أسّسه الأمير عبد الله بن الحسين في عمان سنة ١٩٢٣م في عهد الإمارة، وتناول أيضًا (مجمع اللغة العربية الأردني)، الذي أُسِّسَ في عهد الملك الحسين بن طلال سنة ١٩٧٦م، وما زال المجمعُ قائمًا حتى اليوم.

مقدِّمة

تعرَّضت اللغة العربية عبر تاريخها الذي يمتدّ خمسة عشر قرنـًا بعد ظهور الإسلام، لصدماتٍ عنيفةٍ، وتحدِّياتٍ صعبةٍ، كان الغزو المغولي في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين من أبرزها، إذ غزا التتار بجيوشهم الوحشية المدمِّرة مشرق العالم الإسلامي، حتى وصلوا إلى حدود مصر في سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م، ودمَّروا ما فيه من مظاهر الحضارة والعمران، فقتلوا العلماء، ودمَّروا المدن وأبادوا أهلها، وحرقوا دور الكتب، وأتلفوا ما فيها من المخطوطات، وعاثوا في أرض الإسلام قتلاً وأسراً، وتدميراً وحرقـًا، حتى بلغت كارثة التتر أوجها، فتصدَّى لهم المماليك فرسان الإسلام في واقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م في غور الأردن، وانتصر الـحقّ على الباطل، وهُـزِمَ التتارُ شرّ هزيمة، وتحرَّرت الشام من احتلالهم، ونجت مصرُ والمغربُ العربيّ والحرمان الشريفان من غزوهم، الذي عُرف بوحشيته وإبادته لكلّ علمٍ وحضارة وعمران، واسترقاقه أو قتله لكلّ إنسان.

وقد أضحت دولة المماليك بعد انتصارها العظيم في عين جالوت رمزاً للقوة الضاربة التي خلّصت أرض الإسلام وأهله من أقوى عدو منذ ظهور الإسلام وانتشار دعوته، وأصبحت لهذه الدولة القاهرة منزلةٌ ساميةٌ بين دول الشرق والغرب آنذاك، وأصبحت عاصمتها القاهرة مَـحجّـًا لكلّ السفارات والوفود السياسية، التي تتقاطر عليها سنويـًا طوال حكم المماليك، الذي دام قرابة ثلاثة قرون.

نعم، لقد تفوَّقت دولة المماليك عسكريـًا، وامتدَّ حكمها من أعالي الفرات حتى برقة، ومن البحر المتوسط حتى بحر العرب، وأصبح الحرمان الشريفان، وحرم

بيت المقدس في أرضها، وعملت هذه الدولة القاهرة على ازدهار التجارة التي تمرّ بأراضيها، ممّا وفَّر لها الضرائب والمكوس والإيرادات المالية الضخمة، فازدهرت البلاد اقتصاديًا، ونهض المماليك ببناء الجوامع والقلاع، والبيمارستانات والخانات، والمدارس والمكتبات، ودور العلم، في القاهرة ودمشق، وحلب والإسكندرية، ومكة المكرمة والمدينة المنورة، والقدس وصفد، وحمص وحماة، وطرابلس والسلط، وغيرها من مدن الدولة المملوكة الزاهرة.

وتوافد العلماءُ والطلبةُ من كلّ أرجاء العالم الإسلامي على مدارس هذه الدولة، التي وفَّرت لهم العيش الكريم والبيئة العلمية الصالحة، فازدهرت اللغة العربية في رحاب هذه المدارس والجوامع ازدهاراً عظيمًا، ونَشَرَ التاجُ الكندي، وابن مالك الأندلسي، وابن هشام المصري، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم من النحويين واللغويين والأدباء، لغةَ العرب وأدبَهم، وأخذ عنهم آلاف الطلبة الذين حملوا هذه اللغة إلى كلّ أرجاء العالم الإسلامي.

وقد استطاع المماليك بعلاقاتهم الدبلوماسية، وبتحالفاتهم السياسية، وببعثاتهم الدعوية إعادة اللغة العربية إلى مشرق العالم الإسلامي، فعادت راياتُ العربية مرفرفةً لغةً تعليميّةً ودبلوماسيّةً ودينيّةً، على بلاد التركستان، والأناضول، وخرسان، والعراق، وغيرها من البلدان التي حلَّت فيها الفارسية أو المغولية أو التركية محلّ اللغة العربية.

وازدهرت اللغة العربية في ديوان الإنشاء المملوكي في القاهرة، وما تفرَّع عنه من دواوين أُقيمت في نيابات الدولة كدمشق وحلب، وصفد والكرك، وطرابلس والإسكندرية، وديوان الإنشاء المملوكي هو مؤسسة كتابية وتعليمية، ولغوية وإدارية وعسكرية، يقوم على إدارتها والإشراف عليها عشراتٌ من كبار الكتَّاب والفقهاء واللغويين والأدباء، الذين يعملون على حماية اللغة العربية ونشرها وترسيخها في مؤسسات الدولة، وتعريب ما يَرِدُ إليها من الكتب باللغات الأعجمية.

فهذا الديوانُ أشبه ما يكون بمجمع علميّ ضخم، يدير الدولة، وينظِّم علاقاتها الخارجية، ويستقبل بريدها، ويحفظ وثائقها ومراسلاتها، ويعمل على إحياء تراثها، ويصوغ رسائلها ومراسيمها، ويكتب معاهداتها، وتقاليدها، ومناشيرها، ويُعنى بالمصطلحات والألقاب الديوانية. علماً بأنَّ جمهرة كتَّاب ديوان الإنشاء كانوا من العرب الذين يحوطون لغتهم، ويحافظون عليها خوفاً من الحكام العجم، الذين كان بعضهم يترفَّع عن الحديث بالعربية، ويتراطن مع رجاله وحاشيته بالتركية أو الفارسية، ولكنَّ ديوان الإنشاء بقي عربياً خالصاً، لا يتولّاه إلا العرب الخُلَّص، من عائلات عربية معروفة في مصر والشام .

وظلَّت الدولة المملوكية على سياستها ونهجها في السياسة والحرب، وفي الحكم والإدارة، وبقي ديوان الإنشاء المملوكي قلعةً حصينةً، تحافظ على الـهُويّة العربية واللغة العربية – وإن كان الحكَّام من أصول أعجمية – بل ساهم هذا الديوان في تعريب حكّام الدولة حتى نهاية العصر المملوكي، إلى أن سقطت دولة المماليك بعد معركة مرج دابق سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، ودخل العثمانيون بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها من البلاد العربية.

وعلى الرغم من بلاء الترك في الدفاع عن الأرض العربية من المغرب والجزائر غرباً، حتى العراق والخليج العربي شرقاً، وما كان لهم من مواقف عظيمة في هزيمة الإسبان والتصدِّي لهم في بلاد المغرب العربي، وتخليص العراق من الاحتلال الصفوي، ودحر البرتغاليين في البحر الأحمر والخليج العربي وفي بحر العرب، وردّهم البوكيرك عن الحرمين الشريفين، إلا أنَّ الجانب العلمي كان في حالة من التدهور والتراجع السريع في البلاد العربية التي دخلت في حمى الدولة العثمانية.

إذ أدّت سياسة بعض ولاة الترك وتسلُّطهم إلى خراب مئات المدارس في الشام ومصر، وتمَّ الاعتداء على أوقافها، فتراجعت اللغة العربية والعلوم الإسلامية التي كانت مزدهرة في رحاب هذه المدارس التي تشبه الجامعات المتخصصة في زماننا،

وسُرِقت خزائن الكتب الموقوفة، ورُحِّلَ بعضها إلى إسطنبول، وبيع كمٌّ وافرٌ من مخطوطاتها للأوروبيين والمستشرقين، فقلَّ العلماء وتناقص طلاب العلم، وهُجرت المدارس التي أصبحت خرابـًا، وأُكِلت أوقافها، وتفشَّت العامية بين سواد الناس، وأصبح التعليم محصوراً في الكتاتيب وبعض المساجد، وبخاصة في القرن التاسع عشر، وفي مطلع القرن العشرين.

ثمَّ قامت جمعية تركيا الفتاة السرّيّة، التي كان حزب الاتحاد والترقي واجهةً علنيّةً لها، بالانقلاب سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م على السلطان عبد الحميد، الذي تميَّز عهده ببعض الإصلاحات في العلم والإدارة، لكنّ الاتحاديين كشفوا عن نزعاتهم القومية الطورانية تجاه الولايات العربية، وفرضوا سياسة التتريك في إدارات الدولة ومدارسها ومعاهدها العليا، وفي المحاكم الشرعية، وأصبحت لغة الترك هي المهيمنة، ونُـحِّيَتِ العربيةُ، بل أصبحت لغةً ثانيةً في البلاد العربية التابعة للترك، حتى إنَّ معلِّم اللغة العربية في المدارس الرشدية والسلطانية، قد يكون تركيـًا جاهلاً بالعربية، وهدف الاتحاديين من ذلك اقتلاع العربية من أرضها، والهيمنة على الولايات العربية وتتريكها.

وبناءً على هذه الأوضاع المهينة المشينة، هبَّ كثيرٌ من أحرار العرب، وطالبوا بأن تكون لغتهم العربية هي اللغة الرسمية في الولايات العربية، وزاد الأمرَ سوءاً توريطُ الاتحاديين للدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، وبدأ حكَّام الترك وقادة جيوشهم في البلاد العربية بمطاردة أبناء العرب المطالبين بحريتهم، وزجّهم في السجون، وقام طاغوت الاتحاديين الأكبر أحمد جمال باشا السفَّاح بتشكيل المحاكم العرفية في بلاد الشام، التي أعدمت المناضلين من العرب في سبيل الحرية في ساحة المرجة بدمشق وفي عاليه في لبنان.

ورافق تلك الأعمال الإجرامية سَوْقُ أبناء العرب إلى ساحات القتال في الحرب الأولى، وحدوث الضائقة الاقتصادية الرهيبة التي تركت الآلاف من الناس يموتون جوعـًا، في حين أنَّ الحكَّام الأتراك كانوا يُثـرَوْنَ على حسابهم، ويتاجرون بأقواتهم،

وقد ساعدهم الإنجليز والفرنسيون على تهيئة أسباب ذلك الاحتكار، بفرض أساطيلهم الحصار على ساحل بلاد الشام.

وفي ضوء الأحوال السالفة، قام الشريف الحسين بن علي بالثورة على الأتراك في الحجاز سنة ١٩١٦م، ولقيت حركته قبولاً واسعـًا، يقول لطفي بك الحفَّار: «كان الحسين أول من بعث شعور العروبة، بعد أن سكنت نأمتها، وخمدت جذوتها دهراً طويلاً، وبعد أن كانت هذه الحركةُ محصورةً بين أفراد معدودين، لا يستطيعون الجهر بآرائهم والدعوة إلى مبدئهم القومي...»[(١)].

ووجدت دعوته إقبالاً وتجاوبـًا بين كثير من الأحرار والضباط والجنود العرب في بلاد الشام والعراق، والتحق كثيرٌ من المتنورين والضباط العرب بالثورة العربية، وقاد الأمير فيصل بن الحسين المتطوعة من الحجاز ومن الشام، وشكّل جيشـًا نظاميـًا من الضباط السوريين والعراقيين الفارّين من جيش جمال باشا السفَّاح، والتحقوا بالثورة العربية، ودخل الأمير فيصل دمشق فاتحـًا بمن انضمَّ إليه من العرب في مطلع تشرين الأول سنة ١٩١٨م، وسط احتفالات شعبية ضخمة فرحـًا بجلاء الترك، واحتفاءً بقدوم الأمير العربي، بعد أن قاسى الدمشقيون خصوصـًا، وأهل الشام عمومـًا، من مظالم الاتحاديين وغطرستهم واستبدادهم ما قاسوا.

وبدأ الأمير فيصل ببناء الدولة العربية أو الحكومة الفيصلية، التي عيَّن فيها الفريق علي رضا باشا الركابي حاكمـًا عسكريـًا، وتمكَّن الركابي من توطيد الأمن في دمشق والمنطقة الشرقية من سوريا، بينما أُخضع الساحل الشامي كاملاً للانتداب الفرنسي والانتداب الإنجليزي.

ومنذ الشهر الأول لقيام الحكومة العربية، بدأ الأمير فيصل والركابي بتطبيق سياسة تعريب المؤسسات العسكرية والإدارية والتعليمية، وأُسِّست عدة شعب أو لجان

(١) الحفَّار، لطفي: **ذكريات**، عُني بجمعها ونشرها: وجيه بيضون، مطابع ابن زيدون، دمشق، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ج٢، ص١٩٦ .

لخدمة قضية تعريب الدولة، منها: شعبة المراسلات، وشعبة التعريب، وشعبة الترجمة والتأليف، وشعبة المعارف، ونهض بأعباء العمل في هذه الشُّعَبِ كبارُ الأدباء والعلماء، والصحفيين والضبَّاط العرب، واستطاعت خلال أول أربعة أشهر من قيام الحكومة العربية، أن تحقّق كثيراً من الإنجازات نتيجةً لدعم الحاكم العسكري الركابي، الذي أمر أن يكون التعريب إجباريـًا وفوريـًا، وهدَّد بالعقوبات الشديدة كلّ من لا ينفِّذ أوامر التعريب من موظفي الدولة، يُضاف إلى ذلك تشجيع الأمير فيصل الذي جعل اللغة العربية الأساس الأول الذي تُبنى عليه الوطنية، وتقوم به النهضة العلمية الحديثة في الدولة العربية الوليدة .

وممَّا هو جدير بالتنبيه قضية غابت عن الدِّراسات التي تناولت تأسيس مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩١٩م، وما تلاه من مجامع لغوية في عمَّان سنة ١٩٢٣م، وفي القاهرة سنة ١٩٣٢م، وهي أنَّ الجذور الأولى لفكرة تعريب الإدارة والتعليم والجيش، قد بدأت في مكة المكرمة في سنة ١٩١٦م، أيام الحسين بن علي، إذ نجد أنَّ (القبلة) الجريدة الرسمية للدولة العربية في الحجاز ، قد نشرت برنامج المقررات الدراسية في مدارس الحجاز، وكان التركيز فيه على ضرورة إتقان العربية نحواً وصرفـًا، وإنشاءً وخطابةً؛ لغاية إعداد موظفي الدولة ومقاومة سياسة التتريك.

ثمَّ انتقلت فكرة تعريب جيش الدولة وإدارتها إلى معسكر الأمير فيصل في العقبة سنة ١٩١٨م، وتمَّ تشكيل لجنة تُعنى بتعريب المصطلحات العسكرية من التركية إلى العربية، وتُعنى أيضـًا بالمكاتبات والألقاب. وبناءً على ذلك، فإنَّ هذه الشُّعَب واللجان التي شكّلها الركابي في دمشق تُعَدُّ استمراراً وتتمةً وتوسُّعـًا لما بُدِئ به في مكة ثم العقبة، وأخيراً في دمشق التي تُعدُّ عاصمة العروبة والإسلام، وهو مما سنبيِّنه في هذه الدِّراسة.

وفي مطلع النصف الأول من شهر شباط عام ١٩١٩م، أمر الركابي بدمج شعبة المعارف وشعبة الترجمة والتأليف في ديوان واحد، عرف باسم ديوان المعارف،

ويرأسه محمَّد كرد علي، واستمرّ الديوان في تقدمه وعمله الناجح إلى أن قَدِمَ ساطع الحصري من بلاد الترك، وعُيِّنَ مديراً للمعارف، فرأى كرد علي في تعيينه سحباً لصلاحيات ديوان المعارف وتداخلاً معها، فعزم على الاستقالة، لكنَّ الركابي استرضاه، وحوَّل مجلس المعارف إلى مجمع علمي برئاسة كرد علي، في الثامن من حزيران عام ١٩١٩م، بناءً على اقتراح منه.

وبدأ المجمع العلمي العربي منذ ذلك التاريخ نشاطاً إدارياً وعلمياً واسعاً، فاختار المدرسة العادلية – بما لها من ماضٍ تاريخي وحضاري عظيم – مقرّاً للمجمع، وداراً للآثار التي يشرف عليها المجمع فنياً، وأشرف المجمع على دار الكتب الظاهرية، وأثرى مجموعاتها وكنوزها من المخطوطات القيِّمة، وحُدِّدت أهداف المجمع من خلال منشوره الذي وزِّع في كلّ المجامع والجامعات العالمية، وقام المجمع بخدمة اللغة العربية في دواوين الدولة، وفي الصحافة، وفي المدارس، وفي التعليم العالي، وتسارعت إنجازات المجمع، وحظي بشهرةٍ مدوية في بلاد الشام وخارجها، وأصبح منظوراً إليه على أنّه أهمّ مؤسسة علمية في بلاد الشام في العصر الحديث، ولكن بعد أقل من نصف عام فُضَّ المجمع، وتوقفت أعماله، ونحِّي محمَّد كرد علي وخمسة من أعضاء المجمع العاملين، وبقي فيه عضوان للإشراف على المكتبة الظاهرية ودار الآثار، وكان مبرِّرُ القرار الضائقةَ الاقتصاديةَ، وعدمَ توفُّرِ النفقات المالية.

ويقتصر هذا الجزء والجزء الذي يليه على تاريخ المجمع العلمي العربي بدمشق في عهد الحكومة العربية الفيصلية، التي لم تُتمّ الحولين من عمرها.

وتأتي أهمية هذا البحث من الآتي:

أولاً: إنَّ الدراسات السابقة في موضوع المجمع، لم تكشف لنا عن الظروف السياسية والملابسات التاريخية، التي نبت المجمع في أرضها، وبخاصة ما قامت به الحكومة العربية من جهود في سبيل إقامة المجمع.

ثانيًا: أشار بعض الباحثين إلى دور محمَّد كرد علي في تأسيس المجمع، ولكن لم يكشف عن الدوافع التي حدت به لطرح فكرة إنشاء المجمع على الحكومة العربية، ولم تتضح الأصول الفكرية التي تراكمت لدى كرد قبل طرحه لفكرة إنشاء المجمع.

ثالثًا: سلَّم أغلب الباحثين بأنَّ الضائقة المالية هي التي أدّت إلى تعطيلِ المجمع، ووقفِ عمله بعد ستة أشهر من تأسيسه، وهي مقولة لا يُسلَّم بصحتها، ونسعى لإقامة البراهين والأدلة على زَيْفها وبطلانها، ونرى أنّها كانت حجة ظاهرية لا توافق الواقع آنذاك، ولا تنسجم مع أهداف النهضة التي جعلتها الحكومة العربية هدفًا إستراتيجيًا لها.

رابعًا: يسعى البحث إلى الكشف عن دور السياسة، ومواقف الأحزاب السياسية التي أدّت إلى تجميد المجمع، ووقف دوره العلمي.

خامسًا: يحاول البحث أن يكشفَ عن الدور السلبي لساطع الحصري الذي عُيِّن وزيراً للمعارف في العهد الفيصلي، إذ اتخذ ساطع من محاربة المجمع، ومحاولة هدمه، والتقليل من شأنه هدفًا أساسيًا، وقد بَيّنَّا ذلك بالأدلة.

سادسًا: يحاول البحث تقصِّي الجهود الذي بذلها كرد علي في سبيل إعادة المجمع، واستئناف أعماله مع الحكومة والأحزاب، ومع الملك فيصل الذي وعد بالتدخُّل لدى الحكومة لإعادة المجمع، ولكنّه لم يفِ بوعده لظروف وأسباب بيّنها البحث.

أمَّا أهم الدراسات السابقة التي تناولت المجمع العلمي العربي بدمشق فهي:

١. **تاريخ المجمع العلمي العربي**، وهو كتاب ألَّفه أحمد الفتيح الأمين العام لوزارة المعارف السورية، والكتاب من مطبوعات المجمع، وقد نشره سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، وهو من أهمّ ما كُتِبَ عن تاريخ المجمع حتى الآن، وفيه

معلومات ووثائق لا توجد في غيره ممّا كتب عن المجمع، لكنَّه يقوم على منهج جمع المعلومات دون مناقشتها وتحليلها، ويكتفي بما هو مذكور دون نقده، وقد بحث الكتاب في تاريخ المجمع منذ تأسيسه حتى منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، وقد تناول الفتيح في كتابه: نشأة المجمع العلمي العربي، المجمع في خدمة اللغة العربية، محاضرات المجمع ودار الكتب، المجمع ودار الآثار، مجلة المجمع، مطبوعات المجمع، في إدارة المجمع وأعضائه.

٢. **المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق) في خمسين عامًا**، ومؤلِّفه عدنان الخطيب، وصدر عن مطبعة الترقي بدمشق، سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م، وتحدَّث الخطيب في كتابه عن الأعضاء المؤسسين للمجمع: محمَّد كرد علي، أمين سويد، أنيس سلوم، سعيد الكرمي، عز الدين التنوخي، عيسى إسكندر المعلوف، متري قندلفت، وقد بذل مؤلِّفه جهداً في الترجمة لأعضاء المجمع الثمانية، والتعريف بأعمالهم، وخدمتهم للعربية، وأشار إلى مصادر ترجمتهم.

٣. **محمَّد كرد علي مؤسِّس المجمع العلمي العربي**، وهو وقائع مهرجان عُـقِدَ بدمشق سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، بمناسبة مرور مئة عام على ولادة الأستاذ الرئيس محمَّد كرد علي، قدَّم فيه رؤساء المجامع العربية كلماتهم وانطباعاتهم عن كرد علي، وشارك فيه عدد من أعلام العربية وبعض طلاب كرد علي في ذلك المهرجان.

٤. **مجمع اللغة العربية بدمشق والنهوض بالعربية**، ومؤلِّفه محمَّد رشاد الحمزاوي، وطبع في تونس سنة ١٩٨٨م، ركَّز الحمزاوي في كُـتيِّبه على الكتابة العربية والنحو العربي، واللهجات وتطوير المعاجم، ووضع فهرسًا للمواضيع التي طرقها المجمع لترقية اللغة العربية، مثل: الاشتقاق والنحت والتعريب.

٥. **مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م)**، تأليف مازن المبارك، وقد صدر عن مجمع دمشق سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، وكُتيّب المبارك تعريف تاريخي بنشأة المجمع، ومراحله، ويضمّ مسارد بأسماء أعضائه.

٦. **من حاضر اللغة العربية**، لسعيد الأفغاني، وفيه إحاطة بحال اللغة العربية في بلاد الشام، وتحدّث فيه عن اللغة العربية في العهد الفيصلي، وعن دور مجمع دمشق في خدمة العربية ودعَّمه بالوثائق والملاحق والنصوص، وصدرت طبعته الثانية عن دار الفكر بدمشق ١٩٧١م.

وقد أفاد الباحث من الدِّراسات السابقة وغيرها من الدِّراسات الحديثة، التي تناولت الدولة العربية بدمشق، وهي الدولة التي نشأ المجمع في رحابها وبدعمٍ منها.

ومن أهمّ مصادر هذا البحث:

- **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، وبخاصة أعدادها التي صدرت في العشرينيات من القرن الماضي.
- **الجرائد الرسمية، ومنها**: جريدة (القبلة)، التي صدرت بمكة المكرمة سنة ١٩١٦م، وجريدة (العاصمة) التي صدرت بدمشق سنة ١٩١٩م في العهد الفيصلي، وجريدة (الشرق العربي) التي صدرت في عمَّان سنة ١٩٢٣م.
- المذكرات، ومنها: (المذكرات) لمحمَّد كرد علي، و(يوم ميسلون)، و(مذكراتي في العراق) لساطع الحصري، و(ذكريات) لعلي الطنطاوي، و(ذكرياتي) لمحمَّد مهدي الجواهري، و(مذكرات) محمَّد عزة دروزة؛ و(مذكراتي عن الثورة العربية) لأحمد قدري، و(ما رأيت وما سمعت)، و(عامان في عمَّان) لخير الدين الزركلي، و(ذكرياتي عن الثورة العربية) لمحمَّد علي العجلوني، و(الآثار الكاملة) للملك عبد الله بن الحسين، و(مكتب عنبر) لظافر القاسمي، وغيرها.
- مؤلَّفات محمَّد كرد علي، ومنها: (خطط الشام)، و(غرائب الغرب)، و(الإسلام والحضارة العربية)، وغيرها.

ويحاول البحث الإجابة على مجموعة من الأسئلة المتعلقة بقيام أول مجمع لغوي عربي بدمشق في العصر الحديث في عهد الحكومة العربية، ومعرفة السياقات التاريخية والسياسية التي جاء فيها، ومدى نجاح هذا المجمع، وتأثيره على تأسيس المجامع اللغوية العربية، ومن هذه الأسئلة:

- ما الظروف السياسية التي مهَّدت الطريق لقيام أول مجمع لغويّ عربيّ؟
- كيف أثَّرت سياسة التتريك التي انتهجها الاتحاديون في تبنّي فكرة قيام مجمع لغوي عربي؟
- ما دور الجمعيات السرّية العربية في نهاية العهد العثماني في إيقاظ شعور الأمة بدور اللغة الفاعل في توحيد العرب؟
- لماذا كانت دمشق سبَّاقة إلى إنشاء أول مجمع للغة العربية فيها قبل غيرها من العواصم العربية؟
- كيف شجَّع الملك فيصل بن الحسين ورجال حكومته قيام المجمع بدمشق، وهل عجز الملك عن الوفاء بعهده في إعادة المجمع بعد وقف أعماله؟
- ما الإنجازات العلمية التي حقّقها مجمع دمشق، وما الأسباب الظاهرة والخفية لفضّه ووقف أعماله بعد نصف عام من قيامه؟
- ما حقيقة الدور الذي أدّاه محمَّد كرد علي في إقناع الحكومة العربية بتأسيس المجمع، وفي الدفاع عن وجود مؤسسته؟
- هل كان المجمع العلمي الفرنسي هو المصدر والملهم لكرد علي في فكرة تأسيس المجمع؟
- ما الأثر السلبي للانتداب الفرنسي على مواصلة مسيرة المجمع؟
- إلى أي حَدّ أثَّرت الأحزاب في المجمع سلبًا وإيجابًا؟
- ما الأسرار الخفيّة لوقوف ساطع الحصري وزير المعارف، وعبد الرحمن الشهبندر وزير الخارجية، في وجه المجمع؟

- هل كانت قضية المجمع ميداناً للصراع بين التيارات العلمانية والقومية والإسلامية، والتبشيرية والحزبية، والعربية والطورانية؟

إلى غير ذلك من الأسئلة التي يحاول هذا البحث الإجابة عنها من خلال المنهج التاريخي الذي يقوم على استقصاء كلّ الروايات والأخبار الموثَّقة من مصادرها الأولية، ثمَّ مناقشة كلّ خبر أو رأي، أو موقف، وعدم التسليم بصحته أو قبوله، إلّا بعد الكشف والنظر الفاحص إليه من جميع الجوانب، ومحاولة الإحاطة بظروفه وسياقاته؛ تمهيداً للكشف عن علله وأسبابه، وربط نتائجه بمقدِّماته.

وقد اشتمل الجزء الأول من هذا العمل على ثلاثة فصول، يندرج تحت كلّ واحدٍ منها ثلاثة مباحث، وقد جاءت بعد المقدمة على النَّحو التالي:

الفصل الأول: اللغة العربية بين سياستي التتريك والتعريب:

المبحث الأول: الاتحاديون وفرض سياسة التتريك.

المبحث الثاني: الحكومة العربية وتعريب لغة الإدارة والتعليم والجيش.

المبحث الثالث: الحكومة العربية تُعيِّنُ محمَّد كرد علي رئيساً لديوان المعارف.

الفصل الثاني: تأسيس المجمع العملي العربي بدمشق:

المبحث الأول: موافقة الحكومة العربية على تأسيس المجمع (الأسباب والملابسات).

المبحث الثاني: دوافع محمَّد كرد علي لطرح فكرة قيام المجمع على الحكومة العربية.

المبحث الثالث: أصول فكرة المجمع عند كرد علي.

الفصل الثالث: أعمال المجمع وأبرز إنجازاته العلمية:

المبحث الأول: صدور قرار تعيين رئيس المجمع وتسمية أعضائه.

المبحث الثاني: اختيار مقرّ المجمع، وترميمه، والدلالات التاريخية لمقرّه.

المبحث الثالث: أهداف المجمع وقراراته.

المبحث الرابع: مدى إنجاز المجمع لأهدافه.

ويضمّ الجزء الثاني من هذا الكتاب ثلاثة فصول، هي تتمة الجزء الأول، أما الجزء الثالث من كتاب (مجامع اللغة في اللغة العربية في دمشق وعمان في عهود الهاشميين ١٩١٨-٢٠٢١م)، فإنَّه سيتناول (ال**مجمع العلمي العربي في الشرق**) الذي أسّسه الأمير عبد الله بن الحسين في عمان سنة ١٩٢٣م في عهد الإمارة، ويتناول أيضـًا (**مجمع اللغة العربية الأردني**) الذي أُسّس في عهد الحسين بن طلال سنة ١٩٧٦م.

الفصل الأول

اللغة العربية

بين سياستي التتريك والتعريب:

المبحث الأول: الاتحاديون وفرض سياسة التتريك.

المبحث الثاني: الحكومة العربية وتعريب لغة الإدارة والتعليم والجيش.

المبحث الثالث: الحكومة العربية تعيِّن محمَّد كرد علي رئيساً لديوان المعارف.

المبحث الأول

الاتحاديون وفرض سياسة التتريك

دخل العثمانيون بلاد الشام بعد معركة مرج دابق التاريخية في سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وأسفرت تلك المعركة المشؤومة عن هزيمة الدولة المملوكية، واندثارها وزوال حكمها من الشام ومصر وبلاد الحجاز، وحلَّ الترك محلَّ المماليك، وأصبحت الشام تُدار من إسطنبول بواسطة الولاة الأتراك الذين يتعاقبون عليها، ورافق ذلك انهيار المؤسسات التعليمية والإدارية والوقفية، التي كانت قائمةً أيام المماليك، وأصبحت اللغةُ التركيّةُ لغةَ الإدارة، وتراجعت التجارة والزراعة، وغلبت العجمة على أغلب إدارات الدولة، وزحفت الرطانة الأعجمية إلى لغة الناس.

وخلال أربعة قرون من حكم الترك، الذي كانت له بعض الجوانب الإيجابية في دفع الإسبان عن المغرب العربي، وفي ردّ البرتغاليين عن الحرمينِ الشريفينِ والخليج العربيّ، وفي طرد الصفويين من أرض العراق، والحفاظ على وجهه العربيّ، إلى غير ذلك من الأعمال التي تُحسَبُ للترك، وهي على جانب كبير من الأهمية عسكريـًا وإستراتيجيـًا، مما مكَّن الأرض العربية أن تبقى موحَّدة إلى مطلع القرن العشرين.

لكنْ ساءتِ الأحوالُ في بلاد الشام بعد أن قام الاتحاديون (جمعية الاتحاد والترقي) بخلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨م، وفرض سياسة التتريك الظالمة في الإدارة والتعليم، والجيش والأوقاف، وأصبحت اللغة التركية هي المهيمنة، ونُحِّيت العربيّة جانبـًا، واقتُلِعت من المدارس ومعاهد العلم، والدوائر الحكومية.

وزادت الأوضاع خرابـًا وسوءاً عندما أقحم الاتحاديون الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م إلى جانب الألمان، ضد الإنجليز والفرنسيين والروس، وأصبحت الولايات العربية ساحةً للحرب، وسيق أبناء العرب إلى جبهات القتال في

الأناضول واليمن، وبلاد الشام والعراق وغيرها؛ ليدفعوا شبابهم في حربٍ غاشمةٍ لا ناقةَ لهم فيها ولا جمل، بعد أن ورَّطهم الاتحاديون الطورانيون، الذين تغلغلت الجمعيات الماسونية في صفوفهم[1]، وجنَّدتهم الماسونية العالمية لخدمة أهدافها في هدم دولة بني عثمان، ومحو أمجادها العظيمة، وتمهيداً لانتزاع الولايات العربية من الدولة العثمانية؛ ليسهل عليهم تفكيك أرض العرب، وتحويلها إلى دويلات صغيرة، وكنتونات ضعيفة، ليس لها من مقوّمات الدولة سوى الاسم والعَلَم، والعملة المرتبطة باقتصاد الغزاة وعملاتهم.

وقد وصف أحدُ الباحثين الدور الخطير الذي قام به الاتحاديون الطورانيون قائلاً: «إنَّ سياسة الاتحاد والترقي في محاولة تتريك العرب وطمس اللغة العربية، وإشاعة الاستبداد، والترويج للثقافة المعادية للإسلام، وتغيير أعراف المجتمع، ما هي إلاَّ وسائل لمحو أيّ أثر إسلامي في المجتمع، وكانت هذه السياسةُ، بالدرجة الأولى، خدمةً لأهداف الجمعيات الماسونية التي ينتسب إليها، ويدين لها قادة جمعية الاتحاد والترقي، وتطبيق هذه السياسة وآثارها حقّق إنجازات عظيمة للمحافل الماسونية»[2].

وقد وُضِعت سياسة المستعمرين ضد العرب موضعَ التطبيق العملي في اتفاقية سايكس بيكو، التي قسَّمت الأرض العربية إلى مناطق انتداب أو نفوذ بين إنجلترا وفرنسا، ومهَّدت الطريق لإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين؛ تنفيذاً للوعود التي قطعها بلفور وزير خارجية بريطانيا، بإقامة وطن قوميّ لليهود، وبمؤازرةٍ من فرنسا لإنجاح هذا المشروع، الذي زرع كياناً عنصرياً حاقداً على العرب والمسلمين، في أرض أولى القبلتين؛ وليكون اليهودُ رأسَ الحربة للغرب في الأرض العربية؛ لمنعها

---

(١) انظر: رمزو، أرنست أ: **تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨م**. ترجمة: صالح أحمد العلي، ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠: ص١٢٢- ١٢٥.

(٢) راشد، أحمد إسماعيل: «**الثورة العربية الكبرى المقدمات والأهداف والمؤامرة الدولية**»، ضمن كتاب: الثورة العربية الكبرى (ثورة أمة في سبيل الحرية والنهضة)، أوراق عمل ملتقى عمان الثقافي الرابع عشر، منشورات عمان عاصمة للثقافة الإسلامية عام ٢٠١٧م، عمان، الأردن، ص٨٦-٨٧ .

من الوحدة والاستقلال الحقيقي، وإجهاض نهضتها، وسلب خيراتها، والهيمنة على كلّ مقوماتها، ولمنع اتصال آسيا العربية بأفريقيا العربية.

وبعد انقلاب الاتحاديين على السلطان عبد الحميد الثاني ١٩٠٨م، الذي شنُّوا على حكمه حربـًا إعلامية شرسة، ووُصِفَ بأنَّه (السلطان الأحمر)، وهو السلطان الذي لم يُرق قطرة دم لمتَّهم سياسيّ؛ خلا الجوّ للاتحاديين وأذنابهم، وحاربوا العنصر العربي واللغة العربية حربـًا لا هوادة فيها، وأولُ ما ظهر ذلك يوم انقلابهم، عندما أُلقيت الخطب في سالونيك - ابتهاجـًا بتنحية السلطان - باللغات: التركية، والأرمنية، والعبرية، ولم يُسمح بالخطابة في اللغة العربية، علمـًا بأنَّ بعضَ العرب الذين غُرِّرَ بهم، كانوا وَالِغِينَ في ذلك الانقلاب الذي جرّه عبد الحميد على نفسه؛ لمواقفه البطولية المخلصة لأمته ولشرف منصبه، وهي المواقف التي خلّدها التاريخ بأحرفٍ من نور يوم رفضَ طلب اليهود بأن يجعلَ لهم موطئ قدمٍ في الأرض المقدَّسة.

وقد وصف لنا محمَّد عزّة دروزة أحد الناشطين في الحركة العربية آنذاك، وكان من المعاصرين لمجريات الأحداث في تلك الفترة، ما تقوم عليه سياسة الاتحاديين تجاه العرب، وهي السياسة التي كانت المحرِّك الأساس لثورة العرب على الترك في الحرب العالمية الأولى، يقول دروزة: «وحدثونا فيما حدثونا به، أنّ في صفوف الاتحاديين الكبار عدداً من يهود سلانيك، وعدداً آخر من مُسلمي يهود سلانيك الذين كانون يُسمَّوْنَ بِـ(الدونمة)، وأنّ لهم نفوذاً كبيراً في الجمعية، وأنّ روح العنصرية التركية تغلغلت في نفوس شباب الترك والاتحاديين، وصار يوحي لهم بأنّهم أصحاب الدولة والسلطان، وأنّ لهم الحقَّ في أن يكونوا متفوقين في المناصب والمظاهر على العناصر الأخرى، ومن جملتها العرب، وأنّهم كانوا يصفون العرب بأوصاف بذيئة تحقيرية،

وأنّه كان يقع بين شباب العرب ورجالاتهم، وبين شباب الترك ورجالاتهم مهاترات ومشادَّات بسبب ذلك»[1].

وتمادى الاتحاديون في عنصريتهم للجنس التركي، وفي طورانيتهم الكريهة، وفي حربهم على اللغة العربية، ومن الأمثلة الغريبة العجيبة على هذا الفعل الشنيع المستهدفة به لغة العرب، أنّ السفير التركي في واشنطن نشر بياناً في سنة ١٩٠٩م، حظر فيه على العثمانيين العرب المقيمين بأمريكا مخاطبة السفارة العثمانية بغير اللغة التركية، علماً بأنّ «الجالية السورية هناك لا يقلّ عددها على نصف مليون، وأنّه ليس بينهم رجل واحد يُحسن اللغة التركية»[2].

وفوق ذلك، فإنّ الولاة في عهد الاتحاديين بل وقبل ذلك، كانوا يكرهون من يتكلّم بالعربية، ويعدُّون كلامه بها مَنقصةً وعيباً، بل إنَّ بعضَ الأتراك والكرد وغيرهم من موظفي الدولة، كانوا يكتمون معرفتهم بها؛ لأنَّ ذلك قد يجرّمهم أمامَ ولاةٍ طغاةٍ، وطورانيين متعصبين وحاقدين على الجنس العربي، وعلى لغته الشريفة[3].

ويبدو أنّ كره الترك للعرب كان متوارثاً عند بعضهم، يتناقله الخلف عن السلف عبر الأجيال، ولم يعترفوا بفضل العرب في نشر الإسلام بينهم، ولا بدورهم في تمدينهم ورفع شأنهم، وجعلهم في تاريخ الإسلام شيئاً مذكوراً، فقد ذكر محمَّد كرد علي حديثاً طريفاً عن القنصل السابق لفرنسا في طرابلس، يقول: «حدَّثني أحدُ أصدقائي من قناصل فرنسا، ونسيت إن كان المسيو پيات أو المسيو أوتافي، وكان كلاهما يُحسن العربية ويكتبها كأهلها، قال: كنت قنصلاً في طرابلس، أسمُرُ عند الوالي في بعض ليالي الأسبوع، ويسمُرُ معنا القناصل وكبار موظفي الولاية، وكان دأبُ هذا الوالي التركي لعنَ العرب جهاراً، فاتُّفِقَ في إحدى الليالي أنْ كان المجلس خالياً من سُمَّاره، وقد

(١) دروزة، محمَّد عزَّة (ت ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ): **مذكرات محمَّد عزة دروزة**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ١/ ١٩١-١٩٢.

(٢) مؤلِّف مجهول: **ثورة العرب الكبرى ١٩١٩**، منشورات وزارة الثقافة، عمَّان، ط٢، ١٩٩١م، ص٢٦.

(٣) انظر: كرد علي، محمَّد: **المذكرات**، طبعة مصوَّرة، دار أضواء السلف، الرياض، بلا تاريخ، ١/ ١٥٩.

قذف لسانُ الوالي لعناتِهِ المعهودةَ، فالتفتُّ إليه متأثِّراً من ترداد هذه النغمة، وقلتُ له: ولِـمَ دولتكم تبغضون العرب إلى هذا الحدّ؟ وتلعنونهم عند كلّ فرصة، وهل لهذا من سبب؟ إذا كان هناك شيءٌ أرجو أن تتفضلوا ببيانه. فقال: لا أعرف لذلك سببـًا، وهذا ما أَلِفْتُه من صغري، وكأنّه مغروس في قلبي، وأُشربته مع اللبن»[1].

وسواء أصحَّت تلك الرواية عن ذلك القنصل أم لم تصحّ، فإنَّ الروح الثقافية السائدة بين جمهرة الموظفين الرسميين من الأتراك في نهاية العصر العثماني، كانت قائمة على ثقافة التحقير للعرب والاستهزاء بهم، وعدّهم جهلة.

وقد حدَّثني أحدُ عناصر الجيش العثماني الذين رابطوا في اليمن، وواجهوا الإنجليز بها، وألحقوا بهم الهزائم، عن روح الكره السائدة بين الجنود الأتراك في ذلك الزمان، وكانت كلمتُهم دائمـًا للعربي عند أدنى خطأ (بيس عرب)، علمـًا بأنَّ غالبية جيش الترك في اليمن كانوا عربـًا من الشام، وأنَّ عقيدتهم القتالية كانت الدفاع عن الملّة، بل إنّ العرب هم الذين صدُّوا الإنجليز عن إسطنبول في الحرب العالمية الأولى، بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، الملقَّب بذئب الأناضول، وبعد النصر كان همّه اقتلاع كلّ ما هو عربي لغةً وحرفـًا، ودينـًا وعرقـًا، وحضارة وتاريخـًا، من ثقافة الترك.

ولم يقتصر الأمر على السلوك الشخصي والإداري والعسكري لدى الاتحاديين والطورانيين من الترك، بل تعدَّى ذلك إلى شؤون التعليم والتربية، وكان العمل جاريـًا على تقليل المدارس والمعاهد؛ تجهيلاً للعرب، وحجبـًا لنور العلم والمعرفة عنهم؛ لغاية إبقائهم غارقين في الجهل والأميّة، التي كانت لا تقلُّ عن سبعة وتسعين بالمئة بين أهل الشام.

لقد كانت لغة القرآن هي العدو الأول لجمعية الاتحاد والترقي الحاكمة، وقد عملت هذه الجمعية على اقتلاعها من المدارس الحكومية التي يدرّس بها أبناء العرب من المسلمين على وجه الخصوص، إذ كان يـحقّ لكلّ طائفة أن تُـدرِّس أبناءها باللغة التي

(١) محمَّد كرد علي، **المذكرات**، ١/ ١٦٠.

تختارها: «وكانت السلطاتُ العثمانية، تمنح كلّ طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية من غير المسلمين امتيازات خاصة، في كلّ ما يمتّ بصلة إلى الشؤون الدينية والمذهبية، ومنها التعليم، وبمقتضى ذلك كان يحقّ لكلّ طائفةٍ أن تعلِّم أبناءها باللغة التي تختارها، وتَرتَّبَ على ذلك السماح للنصارى العرب أن يتخذوا من اللغة العربية، لغة التدريس في مدارسهم الطائفية، بينما لم يُسمح بذلك للمسلمين العرب، الذين لم يجدوا أمامهم إلا المدارس الحكومية، التي كانت لغة التدريس بها اللغة التركية، وبعض الكتاتيب القديمة الموقوفة التي لم تنلْ أيَّ حَظٍّ من العناية والإصلاح»[1].

وقد ذكر لنا محمَّد كرد علي في مذكّراته الشائقة، حديثاً عجيباً عن علّامة الشام الشيخ طاهر بن صالح الجزائري (١٢٦٨-١٣٣٨هـ/ ١٨٥٢-١٩٢٠م)، الذي كان من أعلام النهضة العلمية في بلاد الشام، وله الدور الأكبر في تأسيس المدارس الابتدائية في الشام، وعاون في إنشاء (دار الكتب الظاهرية) بدمشق، و(المكتبة الخالدية)[2] في القدس، وغير ذلك من الأعمال المجيدة التي اضطلع بها أبو التعليم في بلاد الشام، ثمَّ أصبح فيما بعد عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق بعد رجوعه من مصر عام ١٩١٩م.

أورد محمَّد كرد علي عن الشيخ طاهر الجزائري ما نصّه: «قصَّ عليَّ الشيخ طاهر الجزائري قصةً عجيبةً في هذا الباب [باب محاولة الأتراك إبقاء العرب في حالة الجهل]، قال: قال لي كمال بك مدير معارف الولاية في إحدى العشايا، وكان كرعَ كؤوساً من الشراب، وهو سكران طافح: يا شيخُ ما هذا الاهتمام منك بنشر المعارف؟ -وكان الشيخ في أول شبابه مفتشاً لمعارف سورية، وهو الذي أنشأ لها مدارسها الابتدائية، وألَّف لها كتبَ التعليم الابتدائي كلّها- أنا أخذتُ من وزارتي كتاباً سرّيّاً بالأرقام،

---

(١) أحمد، حلمي سعيد: **النشاط اليهودي في الدولة العثمانية**، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة،٢٠١١م، ص٢٥١.

(٢) انظر: كرد علي، محمَّد: **كنوز الأجداد. أضواء السلف**، الرياض، ٢٠١٠م، ص٤-٧، الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ٣/ ٢٢١-٢٢٢.

تقول فيه: إنَّه تبيّن أنَّ المعارف عند المسلمين في سورية قد ارتفعت إلى درجة كافية، فاعمل جهدك على أن تؤخِّرها، لا على أن تقدّمها!!»[1].

واللافت للنظر، أنَّ كمال بك كان مديراً للمعارف في ولاية الشام في أيام مدحت باشا (أو أحمد مدحت بن حاجي (ت ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م)، الذي كان يُعدُّ من زعماء الإصلاح في الدولة العثمانية، وكان رئيساً لمجلس شورى الدولة، وتولَّى منصب الصدارة الأعظم، وكان والي سورية ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م[2].

وزادت حملات الاتحاديين على اللغة العربية ضراوةً مع نهاية عهدهم، إذ عمدوا إلى ضرب التعليم في بلاد الشام، عن طريق تعيين الجهلة من الترك معلمين للغة العربية، وقد وصف كرد علي ذلك بقوله: «ويوسدون – عن قصد – للتركي الذي لا يحسنُ النطقَ بكلمتين باللغة العربية، تدريسَ النحو والصرف، والمنطق وبلاغة العرب في مدارسهم الثانوية»[3].

ويبدو أنّ ولاة الأتراك وعمَّالهم كانوا حريصين على نشر لغتهم بين العرب من جانب، وعلى تجهيل العرب وإبقائهم على أمِّيَّتِهم من جانب آخر، وكان تجهيل العرب وإبعادهم عن نور العلم، وفرض اللغة التركية عليهم، سياسةً ثابتةً يعمل على تنفيذها وترسيخها كلُّ الولاة الترك، ولا يحيدون عنها ظاهراً وباطناً، علناً وسرّاً، ويؤكِّد لنا كرد علي الذي سرد لنا قصة ما وقع له مع إسماعيل فاضل باشا الذي كان والياً على سوريا، وكان يدَّعي صداقته لكرد، ومع عامل جبل عجلون التركي، الذي طلب من كرد اختيار ستين معلماً لستين مدرسة أهلية.

يقول: «عزم سكان عجلون أن يُنشئوها بأموالهم، فقضيتُ ثلاثة أشهر أبحث عن معلمين يحسنون التعليم في الجملة، فلم أظفرْ بأكثرَ من ثلاثة عشر معلماً، ومنهم من

(١) محمَّد كرد علي، **المذكرات**، ١/ ١٦٣.
(٢) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ٧/ ١٩٥؛ محمَّد كرد علي، كنوز الأجداد، ص٧.
(٣) محمَّد كرد علي، **المذكرات**، ١/ ١٦٤.

كان صاحب دكان، ومنهم من كان له كُتّاب خاص، ورافقتهم إلى الوالي ليسلّموا عليه، ويودِّعوه، ولأطلبَ لهم رخصةً بالركوب في القطار بنصف الأجرة.

وكان أول سؤالٍ سألهم إياه: هل تعرفون اللغة التركية؟ فأجابوا بغير الإيجاب، فامتقع لونه، والتفت إليَّ قائلاً: وكيف ذلك؟ فقلت له: أرجو أن يتعلموا، والآن سيعلّمون أبناء الفلاحين مبادئ القراءة والخط والحساب والعبادات، وانصرفنا من لدنه غير موفقين.

فقلت للمعلمين: إذا لم يكذب حدسي فأنتم غير ذاهبين إلى عجلون غداً، وبعد ساعتين تناولتُ برقيةً من عامل عجلون، يتوسّل إليَّ ألّا أرسل المعلمين، بعد أن كان يلحّ بسرعةٍ على إيفادهم، فعلمتُ أنَّ ذلك كان بإيعازٍ من الوالي، وأنّه قال: كيف ينتخب فلان المعلمين وأنت ترضاهم؟ وأظنُّ الوالي ما عتم أن رفع من عجلون ابن جنسه، الذي كان يريد لأهلها الخير، ومضت أيام ثلاثة، وزرت الوالي في داره بعد الغروب، وكان احتسى كؤوساً من المسكر، وعيناه تقدحان شرراً، فأول ما قال لي: يا فلان، هل أنت ولد؟ فقلت له: أنا رجل بحول الله، فقال: كيف تظن أنّا نعطي العرب سلاحاً يقاتلوننا به؟ العلم سلاح، ولا نريد أن نسلحكم، إنّ من سياستنا ألّا نعلمكم.

فتألّمتُ لهذا، ودعوتُ الله في سرّي ألّا يطيل أيام هذه الدولة، وقلتُ في نفسي: إذا هم منعوا التعليم الابتدائي عن رعاياهم العرب، وهو بمثابة الخبز في التغذية، كيف تصفو لهم قلوب الخواص منهم؟»[1].

وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى، ازدادت سياسةُ التتريك قمعاً وبطشاً، وشدةً وضراوةً، إذ أخذ الاتحاديون على عاتقهم ضربَ كلّ عربيٍّ نابهٍ، وأخذت تنسب للعرب الاتصال بالقناصل الأجانب، أو الانتساب لجمعيات سريّة، أو العمل الحزبي، وكَثُر الجواسيس الذين يَشون بأحرار العرب، وشكّل أحمد جمال باشا السفَّاح مجلساً عرفياً حربياً في دمشق، ومجلساً آخر في عاليه في جبال لبنان، وأخذ

(١) محمَّد كرد علي، **المذكرات**، ١/ ١٦١-١٦٢.

المجلسان العسكريان بإلقاء القبض على المتَّهمين، وجُلُّهم من الأبرياء الذين اتُّهموا بالتخابر مع القناصل، وعُلِّقت للمتهمين أعواد المشانق في دمشق وفي عاليه، وكانت هذه الأفعال مثاراً لسخط العرب على الوجود التركي في بلادهم، إذ عملوا بكلّ قوةٍ لإقناع هذه القوة الغاشمة التي نكّلت بأبنائهم ورجالاتهم ونوابغهم، اعتقالاً، وسجناً، وتعذيباً، وشنقاً، بوقف أعمالها الإجرامية.

ولكنّ الاتحاديين تمادَوْا في غيّهم، وأمعنوا في مظالمهم، فضاعت حياة شبان العرب ونوابغهم، ومفكريهم وأحرارهم على مذبح الاتحاديين الكارهين لكلّ ما هو عربي، وهرب بعض شباب العرب خوفاً من عَسف المجازر والمحاكم التركية، والتجؤوا إلى العربان في البوادي، أو فرّوا إلى القرى في الأماكن النائية، علماً بأنَّ الشهداء على أعواد مشانق السفاح كانوا من كلّ المدن السورية، ومن كلّ الطوائف والمذاهب في بلاد الشام[1].

وعلاوةً على حركة الإعدامات الظالمة لمفكِّري العرب وأحرارهم، وأدبائهم وعلمائهم، قاسى الناس المجاعة الرهيبة، والشدة العظيمة أيام الحرب العالمية الأولى، المعروفة عند أهل الشام بأيام سفر برلك، حيث قام الاتحاديون بنهب المحاصيل الزراعية والحيوانية العائدة لأهل الشام، وأخذوا يتاجرون بها وبالمواد الغذائية، ويجنون من ذلك الأرباح الوفيرة؛ بسبب احتكارهم الأقوات والأرزاق، وحرمانهم لأهلها من التقوّتِ بها، علماً بأنّهم يتضوَّرون جوعاً، ويموتون فقراً، وتُساق فلذات أكبادهم إلى جبهات القتال دفاعاً عن حزب ماسوني مستبدّ ظالم، يمنع الناس من التلفُّظ بألفاظ: المساواة والعدل، والحرية والقانون...

وقد وصف أحد الجنود العرب في جيش الأتراك سوء الحالة الاقتصادية والمالية في عام ١٩١٥م، المعروف بعام الجراد، قائلاً: «ماذا أكتب وقلبي مضطرب، وأفكاري

(١) انظر: آل جندي، أدهم: **شهداء الحرب العالمية الكبرى**، ط١، مطبعة العروبة، دمشق، ١٩٦٠م، ص٣٠-١٤٢.

مشغولة، من كثرة ما أسمع من فظاظة أخلاق هؤلاء الفجرة، ومن هول ما أرى كلّ يوم في ازدياد شقاء بني جنسي العرب الوطنيين، كلّ يوم يزداد موقفنا حرجًا، وقد أصبح الجميع لا طاقة له على احتمال اشتداد الضيق المالي العظيم، فضيق مالي، وحروب طاحنة وظلم، كلّ ذلك والأهالي صابرة على هذا النير التركي الثقيل»[1].

وعلى ضوء الأوضاع المأساوية السالفة الذكر، فإنّ شوق العرب إلى الحرية، ورغبتهم في الاستقلال ببلادهم، وخلع كلّ مظاهر التسلط والاستبداد التركي، دفعهم إلى الاتصال بالإنجليز بمصر، وقطعَ الإنجليزُ العهودَ والمواثيقَ لاستقلال الشام والعراق والحجاز – ولم يدرِ العرب أنّهم وقعوا في أحابيل الغدر الإنجليزي – وتوافق الطرفان على ذلك، بشرط دعم الشريف الحسين بن علي للإنجليز في حربهم ضد الأتراك، وانطلقت الثورة العربية من مكة المكرمة في العاشر من حزيران عام ١٩١٦م، وتراجع الترك عن أغلب الحجاز سوى المدينة النبوية الشريفة، بقيادة فخري باشا المقاتل الشرس، حتى نهاية الحرب العالمية عام ١٩١٨م، وأجبره ضبّاطه على الاستسلام، ونال صمود هذا القائد إعجاب خصومه في دفاعه المستميت عن مدينة رسول الله.

وتبيَّن للعرب بعد قيام الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٨م الدور الخبيث، والغدر البشع الذي قام به الإنجليز والإفرنسيس، إذ اتفقا على تجزئة الأرض العربية في الشام والعراق، وتقسيمها إلى مناطق انتداب ونفوذ، مع فصل جزء منها وهو الساحل الشامي الجنوبي (فلسطين)، ووضعه تحت الانتداب البريطاني، وأطلق عليه اسم المنطقة الجنوبية؛ تمهيداً لقيام دولة اليهود، بعد أن قطعت لهم بريطانيا وعداً مشؤومًا عُرِف بوعد بلفور في عام ١٩١٧م. وجعلت المنطقة الشمالية التي تضمّ جبل لبنان حتى لواء الإسكندرونة، تحت الإدارة الفرنسية، وأُطلق على ما تبقى من بلاد الشام اسم المنطقة الشرقية، وتكون لها إدارتها العربية مؤقتاً[2].

---

(١) تماري، سليم: «**عام الجراد (الحرب العظمى ومحي الماضي العثماني من فلسطين)**»، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية المقدسية، القدس، ٢٠٠٨م، ص١٨٠.

(٢) انظر: قاسمية، خيرية: **الحكومة العربية في دمشق**، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٧م، ص٥٢-٥٣.

المبحث الثاني

الحكومةُ العربيّةُ

وتعريبُ لغة الإدارة والتعليم والجيش

دخلت قوات الثورة في اليوم الأول من شهر تشرين الأول عام ١٩١٨م مدينة دمشق بعد رحيل الأتراك عنها، وسطَ فرحٍ شعبيّ عارم بزوال حكم الترك، ولحقها بعد ذلك بثلاثة أيام الأمير فيصل بن الحسين ، الذي أعلن في اليوم الخامس من الشهر نفسه تأسيس حكومة عربية باسم الشريف الحسين بن علي، وعيَّن علي رضا باشا الركابي الجنرال السابق في الجيش العثماني، وأحد الوجهاء الدمشقيين على رأس الحكومة العربية، وكان (اللنبي) القائد العام للقوات الحليفة قد عيّن الركابي حاكماً عسكرياً للمنطقة الشرقية قبل ذلك ببضعة أيام.

وقد استُقبِلَ الأمير فيصل استقبالاً عظيماً بدمشق وفي غيرها من المدن السورية التي دخلها، وقد وصف قدري قلعجي الذي كان معاصراً للأحداث ذلك الاستقبال المهيب، قائلاً: «... وصل الأمير فيصل إلى دمشق، فاستُقبِلَ فيها استقبالاً لم ترَ المدينة شبيهاً له منذ قرون، وقد تجدّد هذا الاستقبال الحافل في كلّ مدينة سورية دخلها؛ لأنَّ الأمير العربي البطل كان قد أصبح في نظر العرب رمزَ النضال القوميّ ضد المستعمرين، ورمزَ الحرية التي ينشدون...»[١].

ورُفِعَ العَلَمُ العربيّ على الدوائر الحكومية بدمشق، وبيروت، وحماه، وحلب، وغيرها من المدن الشامية[٢]. وبدأ الركابي بتنظيم إدارة المؤسسات والدوائر الحكومية التي كانت غارقة في الفوضى والفساد الإداري زمن الترك، وكانت لغة الدوائر والتعلُّم هي اللغة التركية التي فرضتها سياسة التتريك على الولايات العربية في الدولة العثمانية، وكانت قضية اللغة من أكبر التحديات التي واجهت الحكومة العربية الوليدة، العازمة

(١) قلعجي، قدري: **الثورة العربية الكبرى**، ط١، شركة المطبوعات، بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٩٥.
(٢) قاسمية، **الحكومة العربية في دمشق**، ص٥٦-٥٨.

على محو آثار التتريك من كلّ الإدارات والدوائر، وكان لديها الإصرار والقدرة على اتخاذ القرارات اللازمة لاقتلاع اللغة التركية، وإحلال العربية في مؤسسات الدولة، كتابةً وإدارةً، وتعليمًا وتدريبًا.

والدارس للمصادر الأساسية لتأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق، وأهمها: الجريدة الرسمية (العاصمة)، والمذكرات الشخصية لرجال الدولة، والبلاغات المالية، ومجلة المجمع وما صدر عنه من محاضر وجلسات، وغير ذلك من المصادر، يجد أنّ تأسيس المجمع وقيامه، وما تعرَّض له من مصاعبَ وعقباتٍ، وما مرَّ به من عواصفَ وتقلُّباتٍ، قد مرَّ في مرحلتين أساسيتين: الأولى تتجلى في قيام الدولة العربية أو الحكومة الفيصلية التي استمرّت قرابة عامين، والمرحلة الثانية تبدأ مع فرض الانتداب الفرنسي بقوة السلاح، واحتلال دمشق والمدن السورية الأخرى.

وسنبدأ بتناول المرحلة الأولى بكلّ ما فيها من ملابسات وحيثيات، وخطوات ومجريات، وعوائق وتحديات، ونجاحات وإخفاقات، وهي المرحلة التي سنقصر عليها بحثنا.

المرحلة الأولى: وهي مرحلة الحكومة العربية بدمشق.

ويمكن للباحث حصر أهمّ خطوات هذه المرحلة وإنجازاتها في الآتي:

أولاً: ترقية المعارف ونشرها، وهو هدف أساس حدّده الأمير فيصل في خطاباته، وعَدّ ترقيةَ المعارف، هدفًا ثانيًا بعد حفظ الأمن والنظام[1].

ثانيًا: تعريب لغة دواوين الدولة التي كان الركابي حريصًا على كتابة موظفيها بالعربية الفصحى فيها، وجعلها اللغة الوحيدة المعمول بها في مؤسسات الحكومة، وتهديد

(١) قاسمية، خيرية: «**المحات من الحياة التعليمية والثقافية في ظل حكومة فيصل في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م**»، بحث منشور ضمن كتاب: بناء الدولة العربية الحديثة، تحرير: هند أبو الشعر، ط١، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٨م، ص٢٠٧.

كلّ من يتخلّف من موظفي الدولة على استعمال العربية بالحسم، أو الطرد من وظيفته[1].

وتحقيقاً لهذا الهدف النبيل، شكّلت حكومة الركابي بضع لجان، تقوم على خدمة هدف التعريب، وترسيخه في مؤسسات الدولة العسكرية والمدنية والتعليمية، ومن هذه اللجان:

أ- **لجنة التعريب**: وتُعرف باللجنة أو الشعبة الرابعة، وكانت تابعةً لديوان الشورى الحربيّ الذي يرأسه اللواء ياسين الهاشمي، إذ كان هذا الديوان مقسماً إلى ثلاث شعب، تُعرف الثالثة منها باسم شعبة التعليم والتمرين العسكري، وقد قامت هذه الشعبة الناشطة بترجمة عدة كتب في العلوم العسكرية عن اللغة التركية، وتَمّ طبعها وتداولها في الوحدات العسكرية للحكومة العربية، ومن هذه الكتب: (آداب التحية العسكرية)، و (نظام الملابس العسكرية والمغفر)، و(رياضة الفرسان)، و(الفصل الخاص بالإيعازات: إيعازات الرياضة البدنية)، و(نظام خيل القُنية).

وتَرجمت هذه اللجنةُ مجموعةً أخرى من الكتب العسكرية التي كانت في مرحلة الطبع، حتى تاريخ ١٧ شباط سنة ١٩١٩م، وهي: (تعليم المشاة)، و(أقسام الرشاشة)، و(الرياضة البدنية)، و(فن الرماية للمدفعية/ القسم الأول)، و(فن الرماية للمشاة)، و(تعليم الفرسان)، و(رسالة في الدبابات)، و(رسالة في القذائف)، و(إيعازات المدفعية).

وذكر تقرير ديوان مجلس الشورى الحربي، أنّ هناك كتباً يجري تعريبها، وهي قيد الإنجاز، منها: (الخدم السفرية)، و(فن رماية المدفعية/ القسم الثاني)، و(تعليم المدفعية).

وأشار التقرير إلى وجود كتب جليلة يقوم رجال الجيش بترجمتها، وأخرى يقومون بتأليفها، ومن هذه الكتب: (مختصر في علم الرماية)، من تأليف قائم المقام السيد

(١) **المرجع السابق**، ص١٩٧.

عارف الدمشقي، رأس غرفة التسليح والكتاب، وكان الكتاب قيد الطباعة بتاريخ ١٧ شباط، ١٩١٩م. وكتاب (تخطيط الأراضي)، ويقوم على ترجمته القائد محمَّد خيري الدمشقي، معلم تخطيط الأراضي في المدرسة الحربية، وكتاب (فن الأسلحة)، يقوم بترجمته الملازم الأول رشيد الدمشقي معلم المدفعية.

ولم تكتفِ هذه اللجنة بتكليف المختصين القيام بتعريب هذه الكتب أو تأليفها، بل كانت: «تُبعث إلى لجنة خاصة تجتمع في المدرسة الحربية كلّ يوم، مؤلَّفة من خيرة الكتَّاب واللغويين لتهذيبها، ووضع اصطلاحاتها بالعربية الفصحى»[١].

وكان ياسين الهاشمي رأس ديوان الشورى الحربي، رئيساً لهذه اللجنة، ولكنّه كان مشغولاً بالتنقُّل بين دمشق وبغداد وعمَّان؛ لغايات تنظيمية وعسكرية، ولذا أصبح رشيد بن عبد الرزاق (ت١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م) الرئيس الفعليّ لهذه اللجنة، ولنا أن نتوقَّف عند هذه الشخصية التي تبدو إنجازاتها ومشاريعها في التأليف في العلوم العسكرية باللغة العربية، وفي تعريب الكتب العسكرية، وفي صوغ المصطلحات العسكرية باللغة العربية، وكأنّها مجمع لغوي عسكري جُنِّد فيه المخلصون والأكفياء من أبناء الأمة، كعبدالقادر المبارك (ت ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م)، ومراد الاختيار، وكانت هذه اللجنة تستعين بـ نخلة زريق، وتحسين الفقير، وعارف القوام[٢].

واللافت للنظر، أنَّ هذه اللجنة كانت من أنشط اللجان التي شُكِّلَتْ في تلك الفترة، وكان اجتماعها يومياً في المدرسة العسكرية؛ رغبة في تسريع وتيرة ترجمة العلوم العسكرية، وتعريب مصطلحاتها، ووضع ألفاظها التي تفتقر إليها لغة العرب ولم تعرفها من قبل، ومن الكتب التي وصلتنا من أعمال هذه اللجنة الرائدة: كتاب (تعليم المشاة)، المطبوع في المطبعة الحربية سنة ١٩١٩م، ويقع في ٢١٠ صفحات من القطع

(١) **جريدة العاصمة** (جريدة الحكومة الرسمية)، ١٧ شباط، سنة ١٩١٩م، ص٧.

(٢) انظر: المبارك، مازن عبد القادر: **مجمع اللغة العربية بدمشق** (١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م)، ط١، مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٥.

الصغير، وكُتب على غلافه: «تعليم المشاة، عرّبه رشيد بقدونس، وهذَّبه عبد القادر المبارك، ونخلة زريق، ورشيد بقدونس»[1].

ولنا أن نتوقَّف عند رئيس هذه اللجنة، ونلمَّ بطرفٍ من سيرته العطرة، فهو دمشقي أنهى دراسته الأولية في المدرسة الرشدية بدمشق، وتخرَّج من الكلّية الحربية بإسطنبول عام ١٨٩٥م، وأتقن التركية والفارسية، واليونانية والفرنسية، وقاتل في اليونان، وفي جبهة القوقاز، وكان عضواً في جمعية العهد التي تأسست عام ١٩١٣م، وكانت مقصورةً على الضباط العرب في دولة الترك، وأصدر في إسطنبول جريدة (الوطن) باللغة التركية، التي دافعت عن حقّ العرب في الاستقلال والوحدة.

وقد التحق بقدونس بالجيش العربي في سوريا مع بدايات الحكومة العربية، التي كان الركابي حاكماً عسكرياً لها، وعُيِّن بقدونس برتبة قائد فيها، وأشرف على حركة الترجمة والتعريب في الشعبة الثالثة من ديوان الشورى.

وترجم بقدونس كتباً عن التركية واليونانية، وكان صحفياً، ومؤرِّخاً، ومعلماً، وعالماً باللغة، فخدم العربية، وكان من الأعضاء المؤسِّسين للمجمع العلمي العربي بدمشق[2].

وتدليلاً على ضخامة الجهد العظيم الذي كان يقوم به بقدونس، وعبد القادر المبارك، وآخرون في لجنة التعريب، فإنّ مازن المبارك قد نشر رسالة مؤرَّخة بـ ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٠م، بعثها بقدونس إلى الشعبة الثالثة، وهي شعبة التعليم في مجلس الشورى الحربي، يقول بقدونس: «إنّني أترجم كتاب (الفروسية)، وكتاب (الداخلية) لأجل المدرسة الحربية، وأختصر كتاب (التاريخ) لجرجي زيدان؛ ليُدرَّس في المدرسة

---

(١) انظر: الزيبق، إبراهيم: **العلامة اللغوي عبد القادر المبارك**، ط١، مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢٠١١م، ص٥٧.

(٢) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ٣/ ٢٤؛ آقبيق، عزة علي: (**رشيد بقدونس الفارس الذي ترجَّل بصمت**)، https://syrmh.com.

الحربية، وأكتبه وأرسله إلى المطبعة، وأراقب طبع كتاب (تعليم المشاة) وأصحِّحه، وتهذيب كتاب (الأسلحة)، ونصحِّح ما يُترجَمُ شيئًا فشيئًا من كتاب (التعبئة)، كلّ هذا في زمن واحد، وقد تأتي أشياء أخرى متفرقة، يُراد منّا تهذيبها، أو كلمات تُبتغى ترجمتها، ولنا في المدرسة الحربية أربعة دروس في أربع ساعات في الأسبوع.

فكثرة الأشغال، وقلّة من يقوم بهذا الأمر، والأغلاط الكثيرة في الكتب المترجمة، وصعوبة وضع أسماء جديدة تليق بتلك المسميات الحديثة التي لم تكن تعرفها العرب، ولا كانت تتصوَّرُها، كانت سببًا لبطءٍ في الأعمال، وكانت داعيًا لتوقفٍ في الذهن، فلم يكن منَّا إلا الحيرة بأي عمل نبدأ، وأي عمل نؤخِّر، فأرجو أن تأمروني بما ينبغي أن أفعل، والأمر لوليه سيدي»[1].

ورسالة بقدونس السابقة تكشف لنا بجلاء عن الجهود الحثيثة التي يبذلها بقدونس، وعبد القادر المبارك، ونخلة زريق، وغيرهم؛ نظراً لازدحام الأعمال، وتعدّدها، وكثرتها، إذ تعدّدت أعمالهم في التأليف والترجمة، وتصحيح الكتب، وإلقاء الدروس، ووضع المصطلحات والألفاظ الحديثة التي لم تعرفها لغة العرب من قبل.

وممّا لا شكَّ فيه أنّ جهود هذه اللجنة، وصعوبة عملها، وكثرة مسؤولياتها، كانت من المقدمات الكبرى التي هيّأت الظروف لقيام المجمع العلمي العربي، وتقبُّلِ تلك الفكرة العظيمة التي أطلقها محمَّد كرد علي، وعرضها على علي رضا الركابي الحاكم العسكري الذي قَبِلَها، وشدَّ على يد محمَّد كرد علي ودعمه، وأيَّده في وضع مشروع المجمع العلمي العربي موضع التطبيق العمليّ، وبدأت خطواته الأولى التي سنتبيّن فيما بعد، أنّها كانت قفزات واسعة في التأسيس والعمل، والتخطيط والإنجاز، إبّان فترة الحكومة العربية، التي لم تَدُمْ سوى أقلّ من سنتين، وأُنجز خلالها ما قد تعجز المجامع عن إنجازه في عقدين.

---

(١) المبارك، مازن: «من تاريخ التعريب»، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**، ربيع الأول ١٤٢٨هـ/ نيسان ٢٠٠٧م، المجلد الثاني والثمانون، ص٢٢٤.

ويبيّن مازن المبارك أنّ: «مئات الكلمات العربية التي نستعملها اليوم في حياتنا العامة، وفي الجيوش العربية، هي من صنع تلك اللجنة، واللجان الأخرى، ومن أعانها وشاركها، ولا شكَّ أنّ لجنة تعريب المصطلحات العربية هي أول لجنة عرفها الوطن العربي، وبفضلها عمَّ استعمال المصطلحات العربية في الجيوش العربية»[1].

وممَّا هو جدير بالذكر، أنّ بقدونس كان المحرّك الأساس لهذه اللجنة، وقائد كورها، وحامل رحلها – كما تقول العرب في أمثالها – وكان بطلاً في الحرب، وبطلاً في العِلم، ورجلاً في الوطنية، بل كان معلمـًا عظيمـًا لها في ظروف الاحتلال الفرنسي البغيض، الذي أراد إسكات كلّ صوت ينادي بالوطنية وحبّ الوطن، بعد أن دخل الفرنساوي دمشق متغطرسـًا، ومفتخراً بما حقّقه في معركة ميسلون التي لم تزد عن أن تكون اشتباكـًا صغيراً، فصوّرها المحتلّ على أنّها معركة عظيمة.

وتعترس (غورو) وتغطرس في دمشق، وبغى وطغى، واستعلى على الوطنيين الذين أراد قمعهم وإذلالهم، وإسكات أصواتهم المطالبة بالحرية والاستقلال، فبثَّ بينهم الجواسيس الذين ينقلون له الأخبار، ويَشُون بالناس الأبرياء، وشباب دمشق آنذاك يتحسَّرون عندما رأوا أعلام الغازي الفرنسي، تُرفَعُ على الدوائر العربية التي نُزِعَ عنها عَلَمُ حكومتهم العربية، الذي خفق في سماء عاصمة العروبة والإسلام سنتين، وأُدخِلَتِ الفرحة إلى قلوب الأحرار والوطنيين الذين قاسوا ويلات الوجود التركي أربعة قرون، وقضي على دولة المماليك العظمى التي كانت عربية في مؤسساتها ومعاهد التعليم فيها، بعد أن عُرِّب المماليك[2].

وقد كتب الأستاذ ظافر القاسمي في كتابه الشائق (مكتب عنبر)، وهو استرجاع لذكرياته عن ذلك المكتب العظيم الذي كان حصنـًا حصينـًا للعربية، وتخرَّج منه

---

(١) المبارك: **من تاريخ التعريب**، مرجع سابق، ص٢٢٦.

(٢) انظر: الدروبي، سمير: **مقدمة في دراسة الترجمة والتراجمة في ديوان الإنشاء المملوكي**، ط١، أمانة العاصمة، عمَّان، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

كوكبة من كبار النابهين والأدباء، وعقد القاسمي فصلاً قصيراً بعنوان «رشيد بقدونس: أول من جاهر بتعليم الوطنية للطلاب في قاعات الدرس، كان بطلاً من أبطال الثورة الفكرية»، وقد كان لبقدونس صيحة وطنية عظيمة مدوية في مكتب عنبر، ولم يخشَ أذناب فرنسا وجواسيسها، وذلك عند أول احتلالها دمشقَ في الخامس والعشرين من تموز سنة ١٩٢٠م.

يقول القاسمي: «رُوي لي أنَّ المرحوم رشيد بقدونس، وكان أستاذاً للتاريخ، ندَّد بالاحتلال، وبهذا الانتداب الذي فُرِض فرضاً. وكان في الصف طالب أراد أن يتخابث، فقال للأستاذ: دعنا من هذا الحديث، وهو يتظاهر بالخوف على الأستاذ أن يصيبه أذى، وإذا بصوت رشيد بقدونس يعلو حتى يكاد يسمعه كلّ من في مكتب عنبر، وينهض من مقعده، ويصيح في وجه الطالب المتخابث: اذهب إلى (غورو) Gouraud ، وقل له: إنّ رشيد بقدونس يُعلِّم الطلاب الوطنية"[1].

ولا شكَّ أن بقدونس المعلِّم، ورجل السَّيف والقلم، كان مدفوعاً بما قام به الفرنسيون من تقويض لمشروع النهضة العربية، وهدم لآمال الأمة في الوحدة والحرية والاستقلال الذي كان مطلباً شعبياً في الشام كلّها، وكان متأثراً بما رفعه غورو من شعارات تذكِّر بالحروب الصليبية وثاراتها، عندما ركل قبر صلاح الدين الأيوبي – قدَّس الله روحه – برجله النجسة، قائلاً: «ها قد عدنا يا صلاح الدين»، وما درى (غورو) أنَّ أحفاد صلاح الدين سوف يردّون عليه هذه الإهانة لقبر صلاح الدين، وأنّه سيسمع أزيز الرصاص الأصفر بأذنيه، وسيرى الموت الأحمر بعينيه، وهذا ما حدث بعد ذلك، عندما أمطره أدهم خنجر ورجاله بالرصاص، وما نجا من الموت إلا بأعجوبة، عندما غطاه ذنب من أذناب الإفرنسيس بجسمه، وجعل منه درعاً يقي (غورو) ذي اليد التي بترها الترك في معارك جناق قلعة، ممّا جعل من حقده على العرب والمسلمين حقداً مركباً.

---

(١) القاسمي، ظافر: **مكتب عنبر**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بلا تاريخ، ص١٠٤-١٠٥.

ويا ليت روحه زُهِقت على يد الباسل أدهم خنجر الذي هو أشدُّ مضاءً من كلّ سيف وخنجر، وليعرف الأعداء أنّ هذه الأمة بها ألف سليمان الحلبي، وألف خنجر وخنجر، وغيرهم من أبطال الأمة الذين يصدمون أعداءها غير مبالين بالموت الأحمر.

وقد كانت عناية الحكومة العربية في الإنفاق على هذه اللجنة لمشروع التعريب ونهضة اللغة العربية في مطلع القرن العشرين، من خلال العمل المؤسسي الراسخ الذي تشرف عليه الدولة، وتنفق عليه بسخاء، وتتخيَّر له الرجال والعلماء الأكفياء، ويدلّنا على ذلك ما ذكر علي الطنطاوي في ذكرياته عن أستاذه الجليل المربِّي الكبير عبد القادر المبارك، الذي كان اليد اليمنى لبقدونس في الدأب على العمل في ميدان خدمة لغة القرآن، والذي أصبح فيما بعد من الرعيل الأول من مؤسسي المجمع العلمي العربي، ومن أعضائه العاملين، يقول الطنطاوي: «وكان في مجمع دمشق أوائل العهد بالانتداب الفرنسي، لجنة دائمة لتعريب المصطلحات والأسماء. وأذكر أنَّ شيخنا المبارك مرَّت معه في الدرس إحدى هذه الكلمات، فلم نتنبّه لها، فقال إنّ هذه الكلمة كلّفت الدولة مئة ليرة، يوم كانت مئة الليرة راتب وكيل وزارة»[1].

أمّا نخلة زريق (ت١٩٢١م)، فقد كان معلمـًا كبيراً، وقد شارك بقدونس والمبارك وغيرَهم في التعريب والترجمة، وتصحيح الكتب العسكرية، ووصفته الموسوعة الفلسطينية بأنّه: «عاش عمره متأثراً بالقرآن الكريم، مؤمنـًا بأنَّه يحوي أسمى المبادئ، وأكثرها فائدة للمجتمع، وإخلاصـًا للإنسانية، وكان لزريق الفضل في بعث اللغة العربية، وقيام نهضة أدبية في فلسطين، وقد جعل من مسكنه في القدس منتدى أدبيـًا، يجتمع فيه أدباء القدس، وكانت له مكتبة عامرة بأمَّهات كتب اللغة والأدب والتاريخ»[2].

ويتَّضح لنا ممّا سبق خطورة الدور الذي أدّته لجنة التعريب المنبثقة عن الشعبة الثالثة، وهي شعبة التعليم في ديوان الشورى الحربي، وقد تمكَّنت لجنة التعريب هذه من إنجاز

(١) الطنطاوي، علي: **ذكريات**، دار المنارة، جُدّة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٢٦٧.

(٢) **الموسوعة الفلسطينية**، مادة: (نخلة جريس زريق: (١٨٦١-١٩٢١م))، ط١، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٤م، ج٤، ص٤٥٨.

تعريب المصطلحات العسكرية خلال فترة وجيزة؛ لتصبحَ لغةُ الجيش العربي الحامي لاستقلال الدولة، والمدافع عن بقائها، لغةً عربيّةً لا أعجميةً، ولا تكون لغة هجينة تسري في مفاصلها وشرايينها شوائبُ الألفاظ: التركية والفارسية، والإنجليزية والفرنسية، وغيرها من اللغات.

وقد بيَّن ساطع الحصري الذي كان شاهد عيان على ذلك الجهاد اللغوي للحكومة العربية، التي وصفها بأنّها: «قطعت في هذا المضمار شوطًا كبيراً جداً، أوصلها في مدة وجيزة إلى حدٍّ أبعدَ مـمّا وصلت إليه الحكومة المصرية في عدة عقود من السنين؛ لأنَّها عرّبت الاصطلاحات العسكرية أيضـًا، في الوقت الذي كانت أسماء الرتب العسكرية، والإيعازات العسكرية لا تزال تركيةً في مصر، وجعلت لغة التعليم عربيةً في المعاهد العالية، في الوقت الذي كانت لا تزال التدريساتُ في المعاهد العالية المصرية تجري بلغات أجنبية، فلا نغالي إذا قلنا: إنّ الدولة السورية التي تألَّفت عقب الحرب العالمية الأولى، كانت (دولة عربية) بكلّ معنى الكلّمة»[1].

قلت: إنَّ كلام ساطع حقّ، وجهود الحكومة العربية بدمشق كانت مخلصةً للعربية، وهي حكومة عربية في نشأتها وسياستها وأهدافها، ولكنَّ ساطعـًا في كلّ ما كتب، حاول أن يتناسى المجمع الذي قلما يجري ذكره على لسان قلمه، محاولاً طمس ذكره، وتهميش دوره، وهو ما سنبيِّنه في ما بعد.

ب- شعبة الترجمة والتأليف، وتُعرف بالشعبة الأولى:

شكّلت الحكومة العربية هذه الشعبة في الثامن والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٨م، واستمرّت في أداء مهماتها ووظائفها وأعمالها حتى الثاني عشر من شهر شباط عام ١٩١٩م، وقد كُلِّفَتْ هذه اللجنة التي عمرت قرابة الشهرين ونصف الشهر بثلاثة أمور:

(١) الحصري، ساطع: **يوم ميسلون**، طبعة جديدة، دار الاتحاد، بيروت، بلا تاريخ، ص ٢٤٥-٢٤٦.

الأول: تدبّر أمر اللغة العربية الرسمية؛ أي العناية بلغة الدواوين وإصلاحها، والإشراف عليها.

الثاني: نشر الثقافة اللغوية والعربية بين موظفي الحكومة العربية.

الثالث: تنقية دواوين الدولة وسجلاتها، ووثائقها ومراسلاتها من المصطلحات التركية، وتوطين المصطلحات العربية فيها[١].

وقد تجلّى هذا الهدف من خلال قيام الحكومة العربية بإلغاء الألقاب والرُّتب التي كانت متداولةً في الشام أيام الدولة العثمانية، إذ كانت ألقاب الباشوية والأفندية والبكاوية هي المتداولة، فتخلّت عنها الدواوين، واستعملت بدلاً منها الألقاب العربية مثل: السيد، والأستاذ، والمعلم، وكانت الصحافة في الشام سبَّاقةً إلى التخلّي عن ألقاب: أفندي، وبك، وآغا، وخواجا وغيرها[٢].

ومن الأمثلة على جهود هذه الشعبة ما جاء في قرار مجلس الشورى عدد ١٨١ والمؤرخ بـ ٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٨م: «لدى المذاكرة، تقرّر بأنّ معاملات الطابو كافةً تجري وفقـًا لنظاماتها السابقة بلا تغيير، وأنّ الدفاتر القديمة تُستعمل لبينما يُطبع خلافها باللغة العربية، والسندات القديمة لا يجوز استعمالها، بل يُطبع خلافها على موجب الأنموذج المربوط، وتُعطى لأصحابها مؤقتـًا، فينبغي تبليغ الكيفية لوكيل مديرية الطابو؛ لكي يوفق السير على هذا المنوال»[٣].

وقد نهض بأعباء هذه اللجنة مجموعةٌ من كبار العلماء والأدباء، يقول الفتيح: «وكان من أول الأعضاء العاملين في شعبة الترجمة والتأليف، السادة: أمين سويد،

---

(١) انظر: الفتيح، أحمد: **تاريخ المجمع العلمي العربي**، ط١، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ص٣.

(٢) انظر: الحكيم، يوسف: **سورية والعهد الفيصلي**، ط٢، دار النهار، بيروت، ١٩٨٠م، ص٤٢.

(٣) **جريدة العاصمة**، العدد الخامس، ٤ آذار، ١٩١٩م، ص٥.

أنيس سلوم، عز الدين [آل] علم، عيسى إسكندر المعلوف (زحلة)، والشيخ سعيد الكرمي (مفتي طول كرم السابق)»[١].

واللافت للنظر، أنَّ الأعضاء العاملين في هذه الشعبة، قد أصبحوا أعضاء عاملين في المجمع العلمي العربي، وفي بعض المجامع اللغوية العربية فيما بعد، ولهم الأبحاث اللغوية والمقالات العلمية الكثيرة التي نُشرت في مجلة مجمع دمشق، وفي غيره من المجامع اللغوية في ما بعد.

ويرى محمَّد كرد علي أنّ هذه الشعبة هي القاعدة التي قام عليها المجمع، يقول: «وكان المجمع أول أمره يُعرف بالشعبة الأولى للترجمة والتأليف، التي تأسّست على أثر تأليف الحكومة العربية في أواخر خريف سنة ١٩١٨م»[٢].

وقامت هذه اللجنة بتدريس موظفي الدولة الإنشاء، واللغة العربية، وقد آزرها في ذلك سليم الجندي وخليل مردم بك[٣].

وعَيَّنت الحكومةُ لجنةً أو شعبةً أخرى في ديوان الحكومة، وقد عُرِفَتْ بالشعبة الثانية، مهمّتها صياغة القرارات والمراسلات والبلاغات قبل نشرها على الناس، وكان من أعضائها: سليم الجندي، وشاكر الحنبلي، وسعيد المستوتي[٤].

وألَّفت الحكومة العربية لجنةً أو شعبةً أخرى تختصّ بشؤون المعارف وأحوالها، وما يتعلق بذلك من مدارس وكتب مدرسية، وقد عُرفت آنذاك بالشعبة الثالثة، أو اللجنة الثالثة[٥].

وقد حدث بين الباحثين خلطٌ كبيرٌ في أمر هذه اللجنة وتاريخها، فقد ذكرت خيرية قاسمية –وهي من أوائل الباحثين الذين كتبوا عن الحكومة العربية بدمشق، والدارسين

---

(١) الفتيح، **تاريخ المجمع العلمي العربي**، ص٤.
(٢) كرد علي، محمَّد، **مجلة المجمع العلمي العربي**، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، مجلد ٢، ص٣٥٤.
(٣) الفتيح، **تاريخ المجمع العلمي العربي**، ص٤.
(٤) انظر: المبارك، **مجمع اللغة العربية بدمشق**، ص٤.
(٥) انظر: قاسمية: **الحكومة العربية**، ص٢٣٤.

لتاريخها السياسي ونظمها الإدارية والتعليمية – ما نصّه: «وأنشأت الحكومة الشعبة الأولى للترجمة والتأليف في ٢٨ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٨م، ضمّت إليها أمور المعارف، وجعلتها كلّها ديوانـًا للمعارف برياسة محمَّد كرد علي في ٢٤ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٩م، وعهد إلى الديوان الاهتمام بأمر اللغة العربية، ونشر الثقافة بين الموظفين، واستبدال المصطلحات العربية بالتركية في الجيش ودوائر الحكومة»[١].

قلت: إنَّ تعيين محمَّد كرد علي رئيسـًا لديوان المعارف، كان قبل التاريخ الذي ذكرته قاسمية ببضعة أشهر، وتحديداً في ١٢ شباط ١٩١٩م، وفق ما يقول محمَّد كرد علي نفسه[٢].

أمّا استبدال المصطلحات العسكرية العربية في الجيش بالمصطلحات العسكرية التركية، فكان موكولاً به آنذاك إلى لجنة التعريب التابعة لديوان الشورى العسكري كما أسلفنا بيان ذلك، ثم أصبحت لجنة التعريب للمصطلحات العسكرية من مهام المجمع العلمي فيما بعد، ومن صميم أعماله.

وذكر أستاذنا مازن المبارك ما نصّه: «واختصَّت اللجنة الثالثة بشؤون المعارف والكتب المدرسية، وتألَّفت من ساطع الحصري مدير المعارف رئيسـًا لها، وعز الدين علم الدين، وعبد الرحمن الشهبندر، وكان لهذه اللجنة أن تستعين بمن تشاء»[٣].

قلت: عندما شَكَّلَ علي رضا الركابي الحاكم العسكري هذه الشُّعَب أو اللجان بتاريخ ٢٨/ ١١/ ١٩١٨م، لم يكن ساطع الحصري مقيمـًا في دمشق، بل كان في بلاد الترك، ولم يحضر إلى دمشق إلا بعد تكليف محمَّد كرد علي برياسة ديوان المعارف في ١٢/ ٢/ ١٩١٩م[٤].

---

(١)انظر: قاسمية: **الحكومة العربية**، ص٢٣٤.

(٢) انظر: كرد علي، محمَّد: **مجلة المجمع العلمي العربي**، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، مجلد ٢، ص٣٥٤.

(٣) المبارك، **مجمع اللغة العربية بدمشق**، ص٥.

(٤) انظر: كرد علي، محمَّد، **المذكرات**، ج١، ص٢٧٧.

وستكون لنا وقفة مع ساطع الحصري ودوره في ديوان المعارف، وعلاقته بمحمَّد كرد علي، وتأثير ذلك على المجمع العلمي العربي الفتيّ، الذي حاول بعضهم إعدامه في الأشهر الأولى من عمره، وتمكَّنت الأحزاب السياسية والجمعيات السرّيّة من كتم صوت المجمع، على الرغم من الدفاع المستميت الذي أبداه كرد علي، مُسخِّراً في ذلك علاقته مع الملك فيصل، وكلّ أصحاب النفوذ في الحكومة الفيصلية، وهو ما سنبيِّنه في ما بعد.

المبحث الثالث

الحكومة العربية

تُعيِّن محمَّد كرد علي رئيساً لديوان المعارف

خَطَت الحكومةُ العربيةُ خطواتٍ واسعةً وسريعةً للأمام في سبيل تعريب مؤسسات الدولة، فبعد أربعة أشهر من قيامها، رأت مقدار الخلط والاضطراب، والتداخل والاختلاف بين أعمال شعب: الترجمة، والتعريب، والمعارف؛ فعزمت على تشكيل ديوان ينسِّق أعمالها، فقلبت شعبة الترجمة والتأليف إلى ديوان له مجلسه العلمي، وضمّت إليه شؤون المعارف والتعلم، وأطلقت عليه اسم ديوان المعارف الذي صدر قرار تشكيله بتاريخ ١٢/ ٢/ ١٩١٩م، وعُيِّن محمَّد كرد علي رئيساً له.

ويروي لنا محمَّد كرد علي قصةَ ترؤُّسه لديوان المعارف، ويبيِّن لنا أنّه غادر دمشق قبل سقوطها بأيدي الحلفاء، وكان مقيماً في الأستانة، وبعد قيام الحكومة العربية بدمشق بثلاثة أشهر عاد إليها[1]؛ أي مع مطلع عام ١٩١٩م تقريباً؛ رغبة منه في إعادة جريدته (المقتبس) إلى سابق عهدها.

ويبيّن محمَّد كرد علي، أنّ قبوله لرياسة ديوان المعارف كان إكراماً منه لصديقه علي رضا باشا الركابي، يقول: «لمّا عُدْتُ من الأستانة بعد هدنة الحرب العالمية (١٩١٨م)، جاءني صديقي القديم رضا باشا الركابي الحاكم العسكري في دمشق، يسلِّم عليَّ في داري، ويطلب إليَّ قبول رياسة مجلس المعارف، فقلت له: إنّي أنوي العودة إلى إصدار الجريدة والمجلة، ونشر كتبي الجاهزة، فوعدني بأنّ أمانيَّ تتحقق كلّها مع القيام بالعمل الذي يطلب قيامي به.

وقال: اقبل هذه الوظيفة التي ستكون وزارة فيما بعد، فليس عندي غيرك للقيام بها، فاعتذرتُ، ومـمّا قلتُ في الاعتذار إليه: إنّي لم أُربِّ نفسي لأكون موظفاً، ولو

(١) كرد علي، محمَّد، **خطط الشام**، ط٢، دار العلم للملايين، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ج٦، ص٣٤١-٣٤٢.

أحبُّ التوظُّفَ – كما تعلم – لكنتُ اليوم في أرقى المناصب. وأصرَّ عليَّ كثيراً، وقبض بيده على لحيته، وقال: إكراماً لهذه. فأخجلني، فقبلتُ على شرط: أن يعاونني معاونة فعلية مدة وجوده في الحكم، فإذا تنحَّى عنه استقلتُ معه»[1].

وحكاية كرد علي السابقة تدلّنا على أربعة أمور في الأقل:

الأول: قوة العلاقة وعمق الصِّلة بين كرد علي، وبين صديقه الحاكم العسكري الركابي، فكلاهما دمشقي، وهما من وجهاء دمشق، وكرد له حضوره في المجتمع الدمشقي من خلال مجلة (المقتبس) العلمية والأدبية، وجريدة (المقتبس السياسي) التي كانت تدافع عن حقوق الدمشقيين، ولها عليهم تأثير قوي.

الثاني: ثقة الركابي، وهو أقوى رجل في الحكومة العربية، بعد الأمير فيصل، بكفاية كرد علي، وقدراته العلمية والأدبية والإدارية، فهو الرجل القادر على حمل أعباء هذه المسؤولية الصعبة في تعريب دواوين الدولة، والارتقاء بمستوى المعارف، وإصلاح لغة الإدارة فيها. ولعلَّ الركابي قد وجد قصوراً في أعمال اللجان السابقة، وتباطئاً في إنجاز الأعمال الموكول إليها القيامُ بها، وربما كان العمل أضخم من طاقاتها.

الثالث: أنَّ كُرْدْ قَبِلَ برياسة مجلس المعارف بناءً على وعد شفوي من الركابي، ويفهم من سياق القصة بأنّه سيكون وزيراً للمعارف في المستقبل، وهي أقصى أماني كرد التي ستمكِّنه من تحقيق طموحاته التربوية والعلمية والأدبية، ومشاريعه الفكرية في إعادة العربية إلى سابق مجدها في نهضة الأمة.

الرابع: أنَّه يحمل مشروعاً قومياً، ويرفض أن يكون مجرد موظف، حتى لو كان موظفاً كبيراً، وصاحبُ المشروعِ لا يُقيَّدُ بحدٍّ أو قيد.

---

(١) كرد علي، محمَّد، **المذكرات**، ج١، ص٢٧٧.

وممَّا هو جدير بالذكر، أنَّ كُرْد علي كان حريصاً على ارتقاء هذه اللغة، وتنقيح أساليب الكتابة فيها ممّا علق بها من أدران العاميّة، وعيوب الركاكة في الأسلوب، وتفشِّي اللحن الواضح ، وقد وضع كرد ذلك موضع التطبيق العملي، يوم كان يصدر مجلته (المقتبس الأدبي والعلمي) في دمشق، ولدينا شهادة دقيقة من فخري البارودي أحد رجالات النهضة العربية، وشهادته تؤكّد لنا أنَّ كُرْد علي كان يدرِّب الكتَّاب العاملين معه في مجلته على الترجمة الصحيحة من لغة الترك إلى لغة العرب، ويقوم بالإشراف على لغتهم، ويصحِّح أخطاءهم فيها.

يقول البارودي – بعد أن رأى الجرائد المأجورة قد انصرفت عن رسالتها، وأصبحت تنشر الموضوعات المبتذلة والفكاهية – : «وكان الأستاذ كرد علي قد دعاني مراراً إلى العمل معه في (المقتبس)، فاعتذرتُ بانشغالي بجريدتي. فلمّا تركت جريدتي لبَّيتُ دعوته، وقضيت عنده في (المقتبس) مدةً تزيد على السنة، تمرَّنت خلالها على الترجمة من التركية إلى العربية، وكان يصحِّح لي أغلاطي، ويشرف على لغتي، وبقيتُ بعد ذلك أتردَّد عليه إلى أن سافرت إلى أوروبا»[1].

ونصّ البارودي السالف يكشف لنا بجلاءٍ عن اهتمام كرد بلغة الصحافة، وحرصه على إصلاحها، وتدريب الممتهنين لها في زمن كان التضييقُ فيه على العربية سياسةَ حزب الاتحاد والترقي الحاكم في بلاد الشام، فكرد معلم الصحافة العربية وأستاذها ورائدها في دمشق، ولا غرو في ذلك، فهو صاحب أول جريدة صدرت في دمشق واسمها (الشام)، وهو صاحب (المقتبس السياسي) أول جريدة يومية في دمشق.

وقد حاول كاتب هذه السطور الوقوف على قرار تكليف محمَّد كرد علي برياسة هذه اللجنة الموسعة، التي أصبحت مجمعاً علمياً بعد ذلك بأربعة أشهر، إلّا أنّني لم أجد له نصاً في المصادر التي وقفت عليها، ولكنَّ كُرد علي ذكر لنا أنَّ هذه اللجنة كان موكولاً إليها «النظر في أمور المعارف، والتأليف، وتأسيس دار آثار، والعناية

(١) البارودي، فخري: **مذكرات البارودي**، دمشق، ١٩٥١م، ج١، ص٨١.

بالمكاتب، ولاسيما دار الكتب الظاهرية»[1]. ويضاف إلى هذه الأعمال ما كانت تقوم به لجنة الترجمة والتأليف من إصلاحٍ للغة الدواوين، ونشر العربية بين موظفي الدولة، إلى غير ذلك من الأعمال العلمية.

والمتقصِّي لنشاط ديوان المعارف أو مجلس المعارف الذي أصبح كرد يرأسه في الثاني عشر من شباط عام ١٩١٩م، يلاحظ أنَّ روحـًا جديدة قد دبَّت في هذا الديوان، وأنَّ وتيرة أعماله قد تسارعت بظهور هذا الفارس الجديد الذي يُحسن الإدارة، ويخلص في العمل، وله من المواهب والمؤهلات العلمية والأدبية ما يؤهِّله بكلّ اقتدار للنهوض بهذا الديوان الذي وصفه كرد بقوله: «وبدأتُ رئيسـًا على جماعة من الشيوخ، منهم من درَّس العلوم الدينية، ومنهم من شدا شيئـًا من الأدب، والتجانس بينهم قليل»[2].

ويظهر من تتبُّع أخبار ديوان المعارف في جريدة (العاصمة)، وهي الجريدة الرسمية، أنَّ شهر آذار من عام ١٩١٩م، وهو الشهر الثاني لرياسة كرد للديوان، قد تميَّز بجهود مكثفة للديوان، ونورد بعضَها تدليلاً على أهميتها وخطرها:

أ- توعية المجتمع والدولة بأهمية اللغة العربية:

بعد أن تولّى كرد رياسة ديوان المعارف ببضعة أسابيع، نشرت الجريدة الرسمية مقالة حماسية تحثُّ الناس على العناية باللغة العربية، والمقالة بعنوان: (خذوا بيدها)، ولم يكشف كاتب المقالة عن اسمه، ونُشِرت باسم كاتب مستعار هو (عليم)، والقارئ لهذه المقالة الجليلة يدرك أنّها عكست شعور الأمة نحو لغتها قبل قرن من الزمان، وما زالت قريبةً من نفوسنا حتى الآن، إذ هي تحمل همومنا وتطلعاتنا نحو هذه اللغة الشريفة، التي تنكَّر لها كثيرٌ من أبنائها، وتراطنوا باللغات الأعجمية، ووقفوا في وجهها في المعاهد والجامعات، ونحِّيت عن تعليم العلوم والمعارف العصرية، خلافـًا لما

(١) كرد علي، **مجلة المجمع العلمي العربي**، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، ج٢، ص٣٤٥.
(٢) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٢٧٧ .

عليه الحال عند سائر أمم الأرض التي تفتخر بلغاتها، وتعلِّم بها كلّ العلوم الحديثة، وتتقدَّم وتبدع، بل تتفوَّق على الأمم التي فرضت لغتها بالسلاح والاقتصاد والعولمة.

بدأ الكاتب مقالته بتقرير بدهية من البدهيات التي لا يختلف فيها العقلاء، فقال: «أنا من الذين يعتقدون أنْ لا حياةَ ولا احتراماً لأمة من الأمم إلا باحترام لغتها، وترقيتها، ورفع منارها، ونشر آثارها»[1]. وهذا أمر مقرَّر في العقول السليمة، ويدلّنا عليه أنّ ممثلي الأمم الحية لا يتحدثون في المحافل الدولية إلا بلغاتهم القومية، ويُعدُّ حديثهم بغيرها عاراً عليهم، وواضعاً لقدرهم؛ لأنّه اعتداء على كرامة لغة الأمة التي يسعون إلى تمكينها[2].

ويشير كاتب المقالة إلى أنّ الأمم تدافع عن لغتها بالأرواح والأموال لتظلَّ قويّةً ومَهيبةَ الجانب، فعزّتها من عزة لغتها، يقول: «ومتى كانت اللغةُ عزيزةً عند قوم، قريبةً من قلوبهم، جاريةً في دمائهم، ممتزجةً في عواطفهم، افتدوها بالأرواح، وبذلوا في سبيلها كلّ رخيص وغال؛ لتظلَّ رفيعة الجانب، وإن حاول الخصوم إطفاء نورها، وخفض مقامها»[3]. ويضرب على ذلك أمثلةً من التاريخ الفرنسي والألماني، وكيف أنَّ النساء كنَّ يُعلِّمن أطفالهن لغتهم الأم سرّاً في أوقات المحن والشدائد والحروب.

وبعد كلّ هذه المقدِّمات عن حبّ الأمم للغاتها، يقول: «وليت شعري أليست لغتنا العربية جديرةً بأن تُحبّ وتُعشق، وتُفتدى بالمال والأرواح؟ أليست هي الرابطة الوحيدة الباقية لنا من آثار السلف، والذخيرة الثمينة التي أهديت من عهد سلف؟ أليست هي الرفيقة الأمينة التي لا يُملُّ حديثها، والتحفة الرائعة التي يروق لنا قديمها وحديثها؟ أليس سقوطنا بسقوطها، ونهوضنا بنهوضها؟»[4].

---

(١) **جريدة العاصمة**، ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، السنة الأولى، عدد ٢٩، ص٢.

(٢) انظر: السيد، محمود: «**التمكين للغة العربية: آفاق وحلول**»، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، المجلد ٨٣، ص٣٠١-٣٢٨.

(٣) **جريدة العاصمة**، ١٣٣٧هـ/ ١٩٩١م، السنة الأولى، عدد ٢٩، ص٢.

(٤) **جريدة العاصمة**، ١٣٣٧هـ/ ١٩٩١م، السنة الأولى، عدد ٢٩، ص٢-٣.

ثمَّ يتحدّث كاتب هذه المقالة عن مميزات العربية، وخصائصها ومحاسنها واتساعها، فيقول: «لغتنا من أغنى لغات العالم مادةً، ومن يقل غير قولي، فليُدلِ بحجّته، وليلقِّمني حجراً ! لغتنا غنيّة في مفرداتها وعباراتها، غنيّة في تراكيبها وأساليبها، بليغةٌ شعراً ونثراً، كتابةً وخطابةً، معقولاً ومنقولاً».

ويبشِّر المقالُ ببزوغ فجر جديد للعربية، وأنّ بشائر نهضتها قد بدأت، وأنّ الدولة قد ألزمت موظفيها بالإسراع في تعلّمها كتابةً، وإنشاءً، ونحواً، وكان قرارها صارمًا في ذلك، يقول: «بالأمس نبّهت حكومتنا الحاضرة جميع مأموريها، وحثّتهم على الاعتناء بدرس قواعد اللغة، وإتقانها، والتمرُّن عليها كتابةً وإنشاءً، وإلّا كانوا عرضةً للعزل والفصل»[1].

ويُبرِزُ كاتب المقال الدور الكبير الذي يقوم به ديوان المعارف في سبيل خدمة هذه اللغة، والعمل على رقيّها، وإغنائها بالمصطلحات العلمية، والأوضاع اللغوية، لما لم يكن معروفًا في العربية من المستحدثات، والعلوم والمعارف العصرية، يقول: «وديوان المعارف يضمُّ اليوم نخبةً من رجال العلم والفضل، وكانوا ولم يزالوا من أشدّ الناس غيرةً على اللغة، كأعرفهم بما فيها من غزارة المادة، واتساع النطاق، وأعلمهم بما لها من القابلية لسائر المصطلحات العلمية، والأوضاع العصرية على اختلافها، وما تحتوي عليه من ضروب النحت والاشتقاق، والاستعارة، والمجاز، وما هنالك من المحسّنات التي لا يتيسَّر وجودها في غيرها من اللغات»[2].

ويلتفتُ الكاتب إلى أهمية المدرسة في نهضة اللغة العربية، إذ يقوم معلِّموها المحبُّون للغتهم في غرس بذور حبِّها في نفوس الطلبة، يقول: «وكذلك المدارس الوطنية اليوم من مدارس للذكور والإناث، تبثُّ روحًا جديدة في الناشئة، بفضل عَمدةٍ وأساتذةٍ مهذّبين، توفّر فيها العلم الصحيح، والخلق الكريم، والحبُّ الأكيد لهذه اللغة الشريفة»[3].

---

(١) **المصدر السابق**، ، ص٣.

(٢) **المصدر السابق**، عدد ٢٩، ص٣.

(٣) **جريدة العاصمة**، ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، العدد ٢٩، ص٣.

ويثني كاتب المقال على دور الصحفيين المخلصين للغة الأمة، وما لهم من جهدٍ واضحٍ في ترقية هذه اللغة، بأقلامهم ومقالاتهم ومواقفهم الفكرية، يقول: «وبين رجال الصحافة اليوم، وحملة الأقلام فيها، نرى فئة كريمة تُنشئ من المقالات والمباحث، ما يُعدُّ من أفضل ما سطَّرته أقلام الكتَّاب والمنشئين في الوطن والمهجر، على رغم اضطراب الحركة الفكرية حتى اليوم»[1].

ويؤكِّد الكاتب على توحيد الجهود وتكاملها بين الحكومة، وديوان المعارف، والمدارس، والصحافة؛ للعمل على تعزيز العربية، والتمكين لها، والعمل على نهضتها، يقول: «فالحكومة، وديوان المعارف، والمدارس، والصحافة العربية، لم تتوحَّد غايتها قبل اليوم، ولا انصرفت همّتها دفعة واحدة على تعزيز هذه اللغة، والسير بها على مناهج التحسين والتنشيط»[2].

ويَعدُّ الكاتب عناية الحكومة العربية، وديوان المعارف، والمدارس، والصحافة باللغة العربية من نعم الله على هذه الأمة، بل هي بشرى سارة تُزَفّ لكلّ عربي يريد عودة لغته إلى سابق عزّها وغابر مجدها.

وتعقيباً على المقالة الرائعة التي قطفنا بعض أزهارها الذكية العَرف ، فإنّنا نرى أنّها تعبِّر عن سياسة ديوان المعارف الذي أصبح كرد علي رئيساً له، ومُحرِّكاً لها بقوة دفع هائلة، بل ربما كان كرد هو من خطّها بيراعه، أو أنّه أوحى إلى بعض أعضاء ديوان المعارف بكتابتها، ونشرها في الجريدة الرسمية.

وعلاوةً على ذلك، فإنّ بعضاً ممّا جاء في المقالة، وبخاصة الحديث عن محاسن العربية وخصائصها، وقابليتها للتعريب والنحت والاشتقاق، والأوضاع اللغوية العصرية، هو مما وجد في أهداف المجمع، وتضمّنه منشوره الصادر بعد إذاعة هذه المقالة ببضعة أشهر، مما سيأتي الحديث عنه.

---

(١) **المصدر السابق**، عدد ٢٩، ص٣.

(٢) **المصدر السابق**، عدد ٢٩، ص٣.

ب- إعلان ديوان المعارف بشأن العاديات بسوريا:

فقد نشرت الجريدة الرسمية ما نصّه: «جاءنا من رأس ديوان المعارف ما يلي: تحتاج إدارة المتحف الملوكي في دمشق، إلى ضمّ شتات جميع ما تيسَّر لها الحصولُ عليه من العاديات المبعثرة في ربوع الشام، مثل: النواويس، والتماثيل، والمسلّات، والأحجار، التي زبرت عليها كتاباتٌ باللغة العربية، وغيرها من اللغات القديمة التي حكم أهلها هذه البلاد، وما بقي من آثارهم كالنقود، والأواني على اختلاف أنواعها، والقطع الكوفية المعمولة بالفسيفساء أو القيشاني، والأسلحة والألبسة المستعملة على اختلاف العصور، وغير ذلك من آثار صناعات الأقدمين.

فالرجاء ممّن تيسّر له الحصول على مثل هذه الآثار، أن يقدّمها إلى المتحف الملوكي في هذه العاصمة، وديوان المعارف يتعهّد بدفع الثمن المناسب، ولا شكّ أنّ كلّ وطني لا يتأخر عن تقديم ما لديه لمتحف الأمة؛ لأنَّ ذلك مما يورثه فخراً وذكراً، إن كان على سبيل الهدية، وإلّا فالحكومة العربية تُعطيه قيمة ما تساوي مجموعته مع الشكر»[1].

وكرّرت جريدة العاصمة الإعلان الصادر في العدد العاشر منها، في العدد الحادي عشر، أي بعد ثلاثة أيام من صدوره، وذلك بتاريخ ٢٥ آذار سنة ١٩١٩م، وكرّر الإعلانُ نفسه وللمرة الثالثة في العدد الثاني عشر من الجريدة الرسمية، الصادرة بتاريخ ٢٧ آذار ١٩١٩م؛ لما للموضوع من أهمية.

ويبدو أنّ موضوع الآثار قد أخذ في ديوان المعارف طابعَ الاستعجال؛ لما له من أهميةٍ لصون عاديات البلاد وآثارها وحفظها، بعد أن هرَّب لصوصُ الآثار كثيراً من كنوزها إلى خارج البلاد، إذ وَجدت هذه التجارةُ سوقـًا رائجةً لدى تجارها وسماسرتها من الغربيين، الذين يجمعونها لمتاحف بلادهم.

---

(١) **جريدة العاصمة**، ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد ١٠، ص٧.

وممّا يدلُّ على خوف الحكومة على آثار الشام – التي ذهب كثيرٌ منها أيدي سبأ بفعل الأعمال غير المشروعة، التي قام بها مهرِّبو الآثار وسماسرتها – ما أصدره الركابي الحاكم العسكري بتاريخ ٢٨ تموز ١٩١٩م: «بوجوب بذل الاعتناء بالمحافظة على الآثار القديمة، وبقائها على حالتها الأصلية، وألّا تمسَّها يدٌ»[١].

وعلاوةً على الإعلانات الثلاثة التي أطلقها كرد علي من ديوان المعارف –الذي نرى أنّه يمثّل النسخة الأولى من المجمع العلمي– فإنّ ما كتبه عيسى إسكندر المعلوف عن أهمية الآثار في العلم والتاريخ واللغة، ونشره في جريدة العاصمة[٢]، يكشف لنا مقدار الوعي الحضاري في الدولة العربية، التي يبدو أنّ بعضَ رجالها أخذوا يبدون اعتراضهم على جمعها في متحف، يقول المعلوف: «قد يعترض بعض الناس على اكتشاف الآثار، والسعي في جمعها بمتاحف، ودرس لشؤون مخلفيها قائلين: أيُّ فائدةٍ في استنطاق الصوامت، وحشدِ الجوامد، والاحتفالِ لها؟! فهم على ضلالٍ مبينٍ في ما يعتقدونه»[٣].

ويقدّم المعلوف الأدلة والبراهين التي تؤكّد أهمية العاديات والآثار، ويعدُّها قائداً للمدنية، ورائداً للعمران في عصرنا، ومن أدلته:

١- أنَّ علم الآثار هو الذي دلَّ المعاصرين على أنَّ أجدادهم أول من أنشأوا المدارس، وجعلوا التعليم إجباريـًا، ووضعوا المؤلفات في فنّ التربية والتعليم.

٢- أنَّ علم الآثار هو الذي دلَّ علماء اللغة على اللغة السنسكريتية، وهي لغة قدماء الهنود، أمّ اللغات الأوروبية.

٣- أنَّ علم الآثار دلَّ على أنّ القدماء وضعوا المعاجم، وألَّفوا الموسوعات، وأقاموا دوراً للمجامع والمتاحف.

---

(١) **جريدة العاصمة**، عدد ٤٥، السنة الأولى، ٢٨ تموز، ١٩١٩م، ص٤.

(٢) **المصدر السابق**، عدد ٤١، السنة الأولى، العاشر من تموز، ١٩١٩م، ص ص٤-٦.

(٣) **المصدر السابق**، السنة الأولى، تموز، ١٩١٩م، عدد ٤١، ص٤.

٤- أنَّ علم الآثار هو الذي دلَّ على أنّ الفينيقيين قد توغَّلوا في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا، ونقلوا إليها مصنوعاتهم ومنسوجاتهم، وأنَّهم قد برعوا في الملاحة وركوب البحر.

٥- أنَّ علم الآثار دلَّ على أنّ الشرقيين قد وصلوا إلى أمريكا، واستعمروها قبل اكتشافها من الغربيين.

٦- أنَّ علم الآثار دلَّ على أنّ اليونان قد أخذوا علمهم وحضارتهم عن الفينيقيين، والآشوريين، والمصريين، وغيرهم من أمم الشرق التي انتحل الإغريق حضارتها، وسرقوا تراثها وعلومها[١].

ويستمرّ عيسى إسكندر المعلوف في إقامة الحجج، وإيراد البراهين، وضرب الأمثلة والوقائع على أهمية علم العاديات؛ ليُعرِّفَ الناسَ أهميته ودوره في نهوض الأمة، التي هي في حاجةٍ إلى أن تقفَ على تراث أجدادها، وأن تبنيَ كما بنى أسلافها، ولا تتخلّف عن ركب الحضارة المعاصرة الذي تتنافس الأمم في ميدانه، وتتبارى في مضماره، وبخاصة إذا علمنا أنّ الغرب المستعمر كان يتَّهم الشرقيين بالجهل والتخلُّف، وأنّهم أمم متخلِّفة تفتقر إلى العلم والحضارة، ويزعمون أنّ «حكم فيصل يغلب عليه طابع البداوة، يوجّهه فيه المتطرفون الذين لا يتحملون المسؤوليات في مصير الوطن»[٢]، وكانوا يجاهرون بذلك وينشرونه بين الناس.

وفوق ذلك، فإنَّ تجربة ديوان المعارف في البحث عن الآثار، واستجلاب كنوزها، والمحافظة على ما زال قائمًا منها، كانت هي الطريق الذي ترسَّمه المجمع فيما بعد، إذ اهتمّ اهتمامًا عظيمًا بالحفاظ على الآثار، وضمّها في متحفٍ يحوطها، ويحميها ويصونها من حرامية الآثار وتجَّارها، فأكسب ذلك المجمع سمعةً مدويةً في الشرق والغرب، ولاسيما بين المستشرقين الذين زاروا دار الآثار التي آل أمرُ الإشراف الفني عليها للمجمع.

---

(١) انظر: **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، تموز، ١٩١٩م، عدد ٤١، ص ص٤-٦.

(٢) العجلوني، محمَّد علي: **ذكرياتي عن الثورة العربية**، ط١، مكتبة الحرية، عمَّان، ١٩٥٦م، ص٧٩.

وممّا هو جدير بالذكر، أنّ بعض خصوم المجمع، ممّن كادوا له، وتآمروا على بقائه، وأرادوا دكَّ حصنِه، وطمسَ إنجازاتِه، ووأدَ طموحاتِه، قد اتخذوا من جمع المتحف للآثار علةً لاتهامه بتبديد الأموال على الآثار التي لا فائدة منها، زعمًا منهم، وقصوراً عن إدراك الغايات السامية التي هدف إليها المجمع، بعد أن رأى آثار أمته تُسرق وتُنهب، وتُهرَّب لمتاحف الغرب، ويُثرى من ذلك زعنفةٌ من التجار والمهرِّبين واللصوص، الذين لا قيمة عندهم للغة أو تاريخ أو حضارة.

وقد أولى ديوان المعارف الذي قُلِبَ إلى المجمع العلمي العربي فيما بعد، أمرَ دورِ الكتب والمخطوطات عنايةً فائقةً، ونشر ديوان المعارف في الخامس والعشرين من آذار سنة ١٩١٩م، في العدد الحادي عشر من جريدة (العاصمة) إعلانًا نصه:

من رأس ديوان المعارف:

«عزمت الحكومة العربية على إنشاء دار للكتب في هذه العاصمة، تجمع فيها نفائسَ الكتبِ القديمة والحديثة، من مخطوطةٍ ومطبوعةٍ، في العلوم والفنون المتنوعة، في اللغة العربية وغيرها من اللغات المشهورة؛ لكي يتسنّى للأمة العربية الارتقاء العلمي والأدبي، بمطالعة ما تختاره من تلك الكتب، فمن كان عنده شيءٌ منها، وأراد أن يبيعه فليُعلِمْ بذلك ديوانَ المعارف، فيُعطى الثمن الذي يتمّ عليه الاتفاق، بلا ترددٍ ولا مماطلة»[1].

وقد أعادت جريدة العاصمة الإعلان نفسه في العدد الثاني عشر من المجلة الصادر بتاريخ ٢٧ آذار، وهو ما فعلته في إعلان جمع العاديات والآثار والمخطوطات السالف ذكره.

وكتب عيسى إسكندر المعلوف مؤزِّراً إعلان رئيس ديوان المعارف، عن عزمه على إنشاء دارٍ للكتب في دمشق، مقالةً بعنوان (المكاتب والعرب)، وقد نشرها في عددين

(١) انظر: **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ٢٥ تموز، ١٩١٩م، عدد ١١، ص٨.

من جريدة العاصمة[1]، وممّا جاء في تلك المقالة التوجيهية والتشجيعية للأمة، على دعم مشروع تأسيس مكتبة وطنية بدمشق:

- إنَّ الأمم القديمة قد اشتهرت ببناء المكتبات، كالبابليين الذين تركوا مكتبة ضخمة من الرّقم الطينية المرقومة بالخط المسماري، وكشفتها البعثات الآثارية، وكذلك الفراعنة، واليونان، والبطالمة، والعرب وغيرهم من الأمم.
- إنَّ الأمم القديمة كانت تتبارى في جمع الكتب والمخطوطات، وترسل البعوث العلمية لاستنساخ المخطوطات من البلاد النائية، واستجلابها إلى بلادهم.
- إنَّ العرب من أكثر الأمم عنايةً بخزائن الكتب، كخزانة العباسيين في بغداد، والفاطميين في مصر، والأمويين في الأندلس، وغيرها من دور الكتب العربية المنتشرة في أرجاء العالم الإسلامي.

ويختم المعلوف مقالته بكلمةٍ يصوّر فيها الحال المأساوية للمخطوط العربي في زمانه، وما جرى لهذا التراث من تغريب وسرقة، وتبديد وضياع، يقول: «ولولا ذهابُ كثيرٍ من الذخائر إلى أيدي الغربيين[2]، لضاقت البيوت عن المؤلفات والمصنفات من معرّب ومؤلَّف أو مجموع، على أنّنا لا نأسف لتلك الذخائر إذا وقعت في أيدي من يحفظها، ويستفيد منها، ويفيد غيره، أَسَفَنا على ما يُفقد منها، ويُتلف بإغراء الجهلة، أو يُخزّن ويُحبس في البيوت؛ لتنسج عليه العناكب قماطر، فينام نومه الأبدي، أعاذنا الله من هذا البخل القاتل، وذلك الظلم المفجع»[3].

ولا ننسى أنَّ عيسى إسكندر المعلوف كان عضواً في شعبة الترجمة والتأليف التي قُلِبَتْ إلى ديوان المعارف، ولذا فإنّ مقالته تدلّ بوضوح على سياسة ديوان المعارف

(١) انظر: **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ٢١ نيسان، ١٩١٩م، عدد ١٩، ص٣٢؛ ٩ أيار، عدد ٢٤، ص١-٣.

(٢) انظر: صالحية، محمَّد عيسى: **تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة**، ط١، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٥م، ص٥-٦١، وانظره في صفحات أخرى.

(٣) **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ٩ أيار، عدد ٢٤، ص٣.

تجاه تأسيس المكتبات، وجمع المخطوطات التي أوشك كثير منها على التلف؛ لحبسه في البيوت، ولبخل أصحابه على من يستحقّون الاطلاع عليه، أو أن يكون مصيره إلى الأيدي العابثة التي لا تقدِّر قيمته العلمية، فتفرِّط به، وقد يسقط من يد الدهر، فتكون الخسارةُ جسيمةً على العلم والأمة.

ولم يقتصر كرد في نشاطه في ديوان المعارف على الدعوة إلى إنقاذ الآثار، وتأسيس متحف لها، ولا على الحثّ على جمع المخطوطات وإنقاذها من يد البلا، بل التفت أيضـًا إلى مجلس المعارف الذي وصفه بأنَّه: «جماعة من الشيوخ، منهم من درس العلوم، ومنهم من شدا شيئـًا من الأدب، والتجانس فيهم قليل»[1]. ولا يمكن أن نفهم من كلامه السابق أنّه يقلِّل من الشيوخ الأجلاء أو يطعن بهم؛ لأنّه يعرف دور بعضهم في النهضة والتنوير، كشيخه طاهر الجزائري، وشيخه محمَّد عبده وغيرهم، ولكنّه ربّما أشار إلى جمود بعضهم، ووقوفه عند حدود ما أَلِّف عليه علماء زمانه، أو ما سقط إليه من كتب عصور الانحطاط، إضافة إلى عدم استعداد بعضهم للأخذ بالجديد النافع الناجم عن الاحتكاك بالحضارة الغربية.

ولذا سعى كرد إلى إضافة أعضاء جُدد، يمكن أن يفيدوا مجلس المعارف، وينهضوا بمشاريعه، فاختار لمجلسه عالمين فاضلين، ورفع بذلك إلى الأمير فيصل الذي وافق على ترشيح كرد لهما، ونشرت الجريدة الرسمية في باب التبليغات الرسمية ما نصّه: «صادق سمو الأمير المعظم على ما ارتآه رئيس ديوان المعارف، من ضمِّ الأستاذينِ: عبد القادر المغربي، والسيد ديمتري قندلفت إلى أعضاء ديوان المعارف»[2].

ويبدو أنَّ ترشيح محمَّد كرد علي للمغربي وقندلفت كان مدروسـًا وموفَّقـًا، فأصبحا فيما بعد عضوينِ عاملينِ في مجلس المجمع، وهما من الأعضاء المؤسسين للمجمع، وقندلفت (ت١٩٣٣هـ) كان أديبـًا وشاعراً، ومترجمـًا مجيداً عن اللغة الإنجليزية، وله

(١) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٢٧٦.
(٢) **جريدة العاصمة**، السنة الأولى،٢٧ آذار، ١٩١٩م، ص٧.

كتب مترجمة منها: (مدرسة الغد) لجون ديوي، وكتاب في (تربية الأطفال ومدارسهم)، وكتاب بعنوان (المدرسة والاجتماع)، وغير ذلك[١].

وحرص محمَّد كرد على استقطاب الكفاءات، وأصحاب الخبرات من خارج بلاد الشام، فقد ذكر أنّه بعد مدة من تسلّمه لرياسة مجلس المعارف: «كتبت إلى الأستاذ ساطع الحصري الحلبي في الأستانة، أريده الشخوص إلى دمشق؛ ليتولى إدارة داري المعلمين والمعلمات، فلم يُـجِبْني على كتابي»[٢]، ولم يكشف لنا كرد شيئـًا عن أسباب عدم ردّ ساطع على دعوته للعمل في المعارف.

ويبدو أنّ مجلس المعارف كان حريصـًا على نشر التعليم بين فقراء الطلاب، وبخاصة إذا علمنا أنّ التعليم كان مأجوراً، وبالتالي فإنَّ أبناء الفقراء كانوا محرومين من نور العلم، وكانت نسبة التعليم المجاني ضئيلة جداً، فقد «جعل مجلس الشورى سابقـًا، العدد المقرّر قبوله في المدارس السلطانية والإعدادية مجانـًا في القسم الليلي من الفقراء عشرة من المئة، وقد ظلَّ القسم النهاري مسكوتـًا عنه، إلا أنّه بناءً على مراجعة مديرية المعارف بهذا الشأن، وبالنظر لكثرة الفقراء الأذكياء، فقد قـرّر المجلس المذكور بتاريخ ٦ مارت سنة ١٩١٩م، ورقم ٣٢١ قبول ثلاثين في المئة منهم في القسم النهاري...» [٣]. والمقصود بالمجلس هنا مجلس الشورى، مما يدلُّ على أنّ رئيس مجلس المعارف محمَّد كرد علي، حاول إقناع مجلس الشورى بأهمية توسيع دائرة القبول المجاني لفقراء الطلاب، وقد تكون هذه أولَ دعوةٍ تصدر لمجانية التعليم الحكومي في بلاد الشام.

وفوق ذلك، فإنّ فخري البارودي وهو من رجال الحكومة العربية، وكان لصيقـًا بالأمير فيصل، قد تأثَّر بدعوة مجلس المعارف، ومساعي محمَّد كرد علي لزيادة

(١) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٢٧٣.
(٢) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٢٧٧.
(٣) **جريدة العاصمة**، ١٨ آذار، ١٩١٩م، عدد ٩، ص٥.

عدد المدارس، وعدد المقبولين فيها، فكتب مقالةً في الجريدة الرسمية، حاول فيها الدفاع عن موقف الحكومة من التعليم، بعد أن تزايد الضغط الشعبي والرسمي عليها بخصوص زيادة عدد المدارس، ودعا فيها الشعب أيضاً إلى تأسيس المدارس الأهلية، وعدم الاتكال على ما تقوم به الحكومة، يقول: «مهما أنشأت الحكومة من المدارس، لا تقدرُ أن تفيَ بحاجة الأمة، وبالأخص لأنَّ وارداتها لا تمكّن من النفقة على المعارف بقدر المطلوب... والحكومة تبذل وسعها في تعميم العلم، ونشره بين الناس، فقد أنشأت المدارس الأولى والثانوية بقدر ما تسمح به ميزانيتُها، وشرعت في الاهتمام بالمدارس العالية، بعد أن فتحت أبواب الكلّيّة الطبيّة»[1].

ويتضح أنَّ محمَّد كرد علي قد أولى المدارس عناية قصوى أثناء رياسته لمجلس المعارف، يقول عن نفسه: «وأخذتُ في درس حالة المدارس لإصلاحها على ما يلائم روح الأمة العربية»، ممّا يدلّ على أنّ الروح التركية التي أنشأت هذه المدارس في عهدها، كانت متغلغلةً في نفوس الطلاب والمعلمين الذين عُلِّموا بها منذ الصغر، وأصبحت مصدراً لعيشهم، أو طريقاً لتعيينهم في مناصب الدولة، وصعّبَ على النفوس مفارقةَ ما ألفته، واعتادت عليه، ولاسيما في أيام الطفولة، فكرد يريد انتزاع الروح التركية المتأصِّلة من نفوس المعلمين والطلاب، وزرع الروح العربية الجديدة المتوثِّبة للحرية والاستقلال والنهضة.

و«روح الأمة العربية» إذن هي كلمة السرّ العميقة التي نجدُها خلفَ كلِّ ما قام به كرد علي من أعمال، ويبدو أنّ كرد علي كان حريصاً على إذكاء روح الأمة وما قدّمته حضارتها للإنسانية، وأنّها صاحبة الفضل على كلّ الشعوب والحضارات؛ لأنَّ الأمة آنذاك كانت تتعرّضُ لهجمةٍ شرسةٍ من المستعمرين الذين ينكرون حضارة العرب ومدنيتهم أصلاً، فألقى محاضرةً في النادي العربي بهذا الخصوص، وقد نقلت

(١) البارودي، فخري: «مدرستان ضروريتان- إلى التجار والمزارعين-»، **جريدة العاصمة**، ١٠ آذار، ١٩١٩م، العدد ٧، ص١.

الجريدة الرسمية خبر تلك المحاضرة كالآتي: «محاضرة ممتعة: ألقى الأستاذ البحّاثة محمَّد أفندي كرد علي مساء الثلاثاء المنصرم في النادي العربي محاضرةً، بحث فيها عن علاقة العرب بالغرب، فكان لها الوقعُ الحسنُ في نفوس الحاضرين؛ لما تضمّنت من الشواهد التاريخية المؤيدة لما للعرب من الفضل على الغرب، في كثيرٍ من الشؤون الاجتماعية والعلمية»[1].

وممّا جاء في تلك المحاضرة القيّمة التي بيّنَ في ديباجتها أنَّ الأمير فيصل بن الحسين نجح في فصل المسألتين الشرقية والعربية، وقال: «ربّما كان بين أهل الغرب اليوم عدد قليل من الناس لا يثبتون مَزيّةً للمدنية العربية القديمة، وهؤلاء ممّن أخذوا معلوماتهم عن كتب أملاها المتعصبون منهم، وبعضهم من سكان الأديار الذين ضاقت عن تحمّلهم، مثل أرض فرنسا وسويسرا الحرة، لكنَّ هناك مئات من علماء المشرقيات اختصّوا بعلوم الحضارة العربية، والتاريخ العربي في مظانّه، وبلغته، وأزالوا غشاوة الأوهام عن العوام، بما أنشأوه من المجلات بلغاتهم المختلفة، يُبيّنون للناس مجدَ هذه الأمة الغابر... وهؤلاء هم الذين يخدمون العلم للعلم، ولا يتبعون فيه على الغالب هوى النفوس في السياسة، ولا سلطانَ للأديان تمليه على ضمائرهم»[2].

وعلاوة على عناية ديوان المعارف بجمع الآثار والعاديات، والمخطوطات، وإنشاء المكتبات، وإصلاح المدارس علميـًا وفكريـًا، فإنّه التفت إلى المطبوعات التي تفيد في تعريب الدواوين وتنظيمها، ونشر الديوان على نفقته رسالة لأحمد تيمور باشا في «الرُّتب والألقاب»[3].

وذكرنا سابقـًا أنّ محمَّد كرد علي كان يقوم –بدعم من الأمير فيصل بن الحسين– باستقطاب الكفاءات والخبرات العلمية العربية، عندما تولّى رياسة مجلس المعارف، وأنَّه كاتبَ ساطعـًا الحَصْري الذي كان مقيمـًا في الآستانة، وعرض عليه إدارة داري

(١) **جريدة العاصمة**، ١٧ أيار، ١٩١٩م، عدد ٢٦، ص٤.
(٢) كرد علي، محمَّد: **القديم والحديث**، ط١، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، ص٢٦.
(٣)انظر: **جريدة العاصمة**، ١٧ أيار، ١٩١٩م، عدد ٢٦، ص٤.

المعلمين والمعلمات، إلا أنّه لم يردَّ على كتابه[1]. ولا ندري علةَ إحجام ساطع عن الرَّدِّ على كرد، ولماذا لم يقبل هذه الوظيفة المهمة في تلك الأيام؟ هل كان استصغاراً لأمرها؟ أم أنّ جهاتٍ أخرى كانت تسعى لساطع؟ وربَّ ساعٍ لقاعد كما تقول العرب في أمثالها.

واللافت للنظر، أنَّ جريدة العاصمة نشرت في عددها التاسع عشر الصادر في الحادي والعشرين من نيسان عام ١٩١٩م في باب (تبليغات رسمية)، أنّه قد صدرت موافقة سمو الأمير فيصل بـ «تعيين الأستاذ ساطع الحصري مفتشاً عاماً للمعارف في المنطقة الشرقية»[2].

إنّ تعيين ساطع مفتشاً عاماً للمعارف في المنطقة الشرقية مع نهاية نيسان، قد مهَّدت له الطريق ليصبحَ بعد ذلك مديراً عاماً للمعارف، ممّا أثار غضب كرد علي، الذي رأى في ذلك التعيين تجاوزاً وتعدّياً على مجلس المعارف الذي يرأسه، كما أنّه رأى في ساطع منافساً خطراً له في مجلس المعارف، وبيَّن لنا كرد علي أربعة أمور في مسألة تعيين ساطع مديراً للمعارف:

أولها: أنّ تلاميذ ساطع قد قاموا له بدعاية واسعة في الحكومة العربية.

وثانيها: أنّ ضغطاً وإصراراً حزبياً على الركابي جعله يرضى به مديراً عاماً للمعارف.

وثالثها: أنّ هذا التعيين كان «على غير إرادة الركابي»[3].

ورابعها: أنَّ الركابي قد لام كرد علي شخصياً، وحمّله جزءاً من مسؤولية هذا التعيين، قائلاً له: «أنتَ الذي جنيتَ على نفسك بامتداحك الرجل واستدعائك له»[4]. ويتبع كرد لوم الركابي له على استدعاء ساطع، بالقول: «وكتم عنّي ما جرى على عادة

---

(١) انظر: كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٢٧٦.
(٢) **جريدة العاصمة**، ٢١ نيسان، ١٩١٩م، عدد ١٩، ص٦.
(٣) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٢٧٧.
(٤) **المصدر السابق**، ج١، ص٢٧٧.

السياسيين في التكتم»[1]، ما يوحي بأنّ خلافاً ونزاعاً قد جرى بين الركابي وبين رجال الأحزاب في حكومته، التي ربما مارست ضغطاً سياسياً قوياً عليه انتصاراً لتعيين ساطع.

(١) المصدر السابق، ج١، ص٢٧٧.

الفصل الثاني

تأسيسُ المجمعِ العلميّ العربيّ بدمشق:

المبحث الأول: موافقة الحكومة العربية على تأسيس المجمع (الأسباب والملابسات).

المبحث الثاني: دوافع محمَّد كرد علي لطرح فكرة قيام المجمع على الحكومة العربية.

المبحث الثالث: أصول فكرة المجمع عند كرد علي:

دعوات اللغويين في مصر وبلاد الشام لإنشاء المجامع اللغوية.

اشتغال كرد علي بالصحافة في مصر وتعرّفه على مفكريها.

رحلاته إلى بلاد الغرب واطلاعه على مجامعها.

المبحث الأول

موافقة الحكومة العربيّة على تأسيس المجمع

(الأسباب والملابسات)

وفي ضوء هذه الخلافات الدائرة حول تعيين ساطع الحصري مديراً للمعارف بين الحكومة ومحمَّد كرد علي، الذي رأى في الصعود السريع لساطع مدعوماً بمؤيدين له في الدولة، ومن الأحزاب، تهديداً لمركزه في المعارف، وبعد أن ظهر له جلياً عدم قدرة الركابي على وقف التيار القوي الذي يناصر ساطعاً، الذي استطاع بسرعةٍ ترسيخَ نفوذه في المعارف، رأى كرد أن يترك الحكومة، ويتخلّى عن العمل فيها، وتعبيراً عن احتجاجه وسخطه وغضبه، يقول: «فلزمتُ عندها داري»[1]، ويقول في موضع آخر: «وحصل خلاف بيني وبين الحكومة، فأردتُ التنحِّيَ عن رياسة ديوان المعارفً»[2]. ولكنَّ الحكومة لم تفرِّط بكرد علي، ولم تتخلَّ عنه، وتمسَّكت ببقائه فيها للأسباب التالية:

أ- **العلاقة المتينة والصداقة القوية التي تربط بين الركابي الحاكم العسكري**، وهو الرجل النافذ الكلمة في الدولة العربية، وكرد علي، ولذا فإنّ الركابي لم يفرّط بكرد بسرعة؛ لما يُعرف به من كفايته الإدارية والأدبية، وأكثرَ من الإلحاح[3] عليه في البقاء في مجلس المعارف.

ب- **أنّ كرد علي من الشخصيات المهمة في المجتمع الدمشقي**، وكان تأثيره قوياً على توجيه الرأي العام في دمشق، بل في بلاد الشام، من خلال الحياة الصحفية لهذا الرجل منذ أيام الأتراك، وبخاصة أنّه صاحب جريدة (المقتبس)، ذائعة الصيت، وذات المصداقية في بلاد الشام.

---

(١) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٢٧٧.

(٢) كرد علي، محمَّد: **خطط الشام**، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ج٦، ص٣٤٢.

(٣) انظر: كرد علي، محمَّد، **خطط الشام**، ج٦، ص٣٤٢؛ المذكرات: ج١، ص٢٧٧.

ج- **يبدو أنّ الركابي طلب من أعضاء مجلس المعارف**، وهم من نخبة العلماء في الشام، إقناع كرد علي بالبقاء، وعدم ترك العمل في الحكومة.

د- **أنّ ترك محمَّد كرد علي الحكومة**، وتخلّيه عن العمل بها، سيلحق ضرراً اقتصاديـًا كبيراً بأعضاء المجلس؛ لأنَّ الحكومة ستستغني عن خدماتهم، وتَصرفُهم من العمل، وقد وصف لنا كرد الحالة البائسة التي سيصيرُ إليها أعضاء ذلك المجلس، بقوله: «فكانوا يتوسَّلون إليَّ أنواع التوسُّل، ويصرخون بأنّي إذا لم أقبل بالبقاء، فالحكومة تصرفهم من الخدمة، فأكون السببَ في قطع أرزاقهم، وهم أرباب عيال، يجبُ عليَّ أن أراعيَهم وأرحمهم»[1].

هـ- **أنّ كرد علي كان صديقاً للأمير فيصل**، وهو الذي طلب منه الحضور من الآستانة، ودعمه ماليـًا في إعادة إصدار جريدة (المقتبس)، وسنفصِّل أمر العلاقة بين الأمير فيصل وكرد علي فيما بعد.

وما كان من كرد إلا أن استجاب لإلحاح صديقه الركابي رجل الدولة، وصاحب النفوذ فيها، كما أنّه استجاب لتوسُّلات زملائه في المجلس، الذين أصبح مصدر رزقهم ورزق عيالهم مرتهنـًا ببقائه في الحكومة، فتغلَّب عليه الجانب الإنساني، جانب الرحمة والشفقة على كرامة هؤلاء العلماء الذين خدموا العربية والعلم، وبالتالي ليس لهم إلا الاحترام والاستجابة لطلبهم له بالبقاء، ومواصلة العمل في الحكومة، وكما قال المتنبِّي شاعر العربية الأول: «إنَّ المعارف في أهل النُّهى ذمم».

وبناءً على المعطيات والحيثيَّات السابقة، آثر كرد علي مصلحة الجماعة على مصلحته الخاصة، وتغلَّب على حظ نفسه، وقهر النزعة الغضبية فيها –على قوتها– وقَبِلَ البقاء في مجلس المعارف والعمل مع الحكومة.

---

(١) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٢٧٧-٢٧٨.

لكنّ الاستجابة الكريمة والمثمرة في بقاء كرد في المجلس، كانت مشروطةً ومعلّقةً على استجابة طلبه العظيم، الذي لم يكن مطلباً شخصياً بل كان مشروع أمة، ويتبيَّن ذلك من خلال ما قاله للركابي في تلك الأيام الحاسمة في حياة مجلس المعارف، والتي ستكون الاستجابة لطلب كرد، له ما بعده، وستترتّب عليه نتائج علمية خطيرة، تتعلّق بحياة لغة العرب ومصيرها في الشام، وفي كلّ البلاد العربية، يقول كرد مخاطباً الركابي: «إن كنت تحرص على بقائي في الحكومة، فأنا أرضى على أن ينقلب هذا المجلس برئيسه وأعضائه مجمعاً علمياً مرتبطاً بالحاكم العام مباشرة، فَقَبِلَ وصدر المرسوم بذلك»[1].

فقبول الركابي لاقتراح كرد علي، بقلب مجلس المعارف إلى مجمع علمي، يعني الموافقة الرسمية الأولية على ميلاد أول مجمع علمي عربي في العصر الحديث؛ بفضل تلك الفكرة العبقرية التي قدحت في ذهن هذا العالِم النِّحْرير، الذي نذر حياته في الدفاع عن العربية، منذ أيام الاتحاديين إلى وفاته سنة ١٩٥٣م.

وممّا لا شكَّ فيه، أنَّ نجاح كرد في طرح فكرة تأسيس المجمع على الدولة، وقدرته على التأثير عليها، واستجابتها السريعة لها، يُعَدُّ إكراماً وتقديراً لكرد علي، ولمن معه من العلماء في مجلس المعارف من جانب، ودليلاً على إخلاص الركابي، الذي استجاب لطلب كرد ولبَّاه خدمة للغة أمته، ولكرامتها من جانب آخر.

إنَّ هذه الاستجابة من الركابي لمشروع إقامة المجمع، لا يمكن أن تفهم على أنّها إرضاء لصديق، أو من باب الخوف على رزق مجموعة من العلماء الأفاضل فحسب، بل هي استجابة لها عللها وأسبابها القريبة والبعيدة، ومن هذه الأسباب:

أ- ثورة التعريب التي أعلنها الأمير فيصل بن الحسين في العقبة، فعندما وصل جيش الأمير فيصل إلى العقبة سنة ١٩١٨م، وكانت جمهرة قادة هذا الجيش من الضباط العرب

(١) كرد علي، **المذكرات**، ج٨، ص٢٨٧.

السوريين والعراقيين، الذين انضموا إلى الثورة العربية، بدأ الأمير فيصل مشروع تعريب لغة الجيش، وما يصدر عن ديوانه من مكاتبات، وقد كشف لنا عن هذه المعلومات الخطيرة –التي ربما لا يعرفها كثير من الباحثين– محمَّد علي العجلوني (ت ١٩٧١م)، وهو أحد القوَّاد الذين شاركوا في الثورة، وحاز العجلوني أعلى الرتب العسكرية في الجيش العربي الأردني فيما بعد، وعندما وصل العجلوني إلى معسكر الأمير فيصل في العقبة، كتب له كتاباً «بخط يده إلى جعفر باشا العسكري القائد العام»[١]، وأوصاه بالاحتفاظ به «كضابط له مؤهلات المحارب»[٢].

وعندما وصل العجلوني إلى سرادق العسكري المضروب على شاطئ النخيل في العقبة، عَرَّفه على كبار ضباط القيادة، كنوري السعيد، وشاكر عبد الوهاب الشيخلي، وغيرهم من الضباط، وجلّهم من العراقيين. وعَـيَّـنَ الهاشمي العجلوني مساعداً للشيخلي، الذي كان مديراً لشعبة الحركات، يقول العجلوني : «وكان أول عمل قمتُ به، الاشترا ك في لجنة أُلِّفت لترجمة المصطلحات العسكرية من التركية إلى العربية، فوضعنا ألفاظاً عربية للرُّتب، وصيغ الإيعازات، كما هيَّأنا بعض الأنظمة»[٣].

ويشير العجلوني إلى أنّه أبدى اقتراحاً بخصوص عناوين المكاتبات الصادرة عن هذه اللجنة، يقول: «ومـمّا أذكره أنّني اعترضتُ يومئذٍ على تقديم عنوان الوظيفة في الرسائل الرسمية على اسم الشخص، وبيَّنت أنّ تقديم الاسم على العنوان، هو المنسجم مع التقاليد العربية في صدر الإسلام، وفي عهد الخلفاء من بني أمية وبني العبَّاس، وارتاح نوري السعيد إلى هذا الاقتراح، وقال: إنّ هذه الطريقة تتفق والقاعدة الغربية الجارية اليوم عند الأمم الراقية»[٤].

---

(١) العجلوني، محمَّد علي: **ذكرياتي عن الثورة العربية**، ط١، مكتبة الحرية، عمَّان، ١٩٥٦م، ص٣٦.
(٢) العجلوني، **المصدر السابق**، ص٣٦.
(٣) العجلوني، **المصدر السابق**، ص٣٧.
(٤) العجلوني، **المصدر السابق**، ص٣٧.

ويبيِّن العجلوني أنَّه قد طالب بإلغاء الألقاب المستخدمة في المكاتبات الرسمية، كما كان عليه الرسم في العصر العثماني، كما أبدل مصطلحاً للحجازيين في المكاتبات بمصطلح جديد، يقول: «وقد أثرت مسألة إلغاء الألقاب في بدء الأمر أكثر من مرة في العقبة، وقد أُهملتْ في الرسائل الرسمية، بينما كانت تجري على الألسن فقط، وكذلك فقد أبدل لقب (الشيخ) الذي يطلق على الموظفين والضباط في الحجاز بلقب (السيد)»[1].

قلت: إنّ هذه اللجنة الرائدة لمشروع تعريب لغة الجيش، ولغة الدواوين، كانت من المقدمات الكبرى التي مهَّدت الطريق للتعريب، وجعلته سهلاً أمام المجمع العلمي العربي بدمشق؛ لأنَّ قضية التعريب أصبحت من أعمدة النهضة عند هؤلاء الرجال الشرفاء، أمثال: العسكري، والشيخلي، والعجلوني وغيرهم، بدعم مباشر من الأمير فيصل بن الحسين.

ب- العناية القصوى عند الركابي باللغة العربية، وحرصه الشديد على تعريب كلّ مؤسسات الدولة والمجتمع، إذ أراد للعربية أن تصبح لغة التخاطب والتكاتب، والحديث والتعليم، والصناعة والزراعة، والمال والأعمال، ويدلُّ على ذلك ما ذكره كرد علي عن صرامة الركابي في قضية التعريب: «بدا له أن يُعرّب الحكومة والأهالي، فكان لا يسمح لأحدٍ أن يتكلّم بالتركية أمامه، ولو كان لا يعرف غيرها، وينفر من كلّ من يلفظ لفظة واحدة منها، وقيل: إنه استدعى مرةً ترجمانـًا ليترجمَ له كلام رجل تركي، وينقل له كلامه بالتركية، وهو يعرف التركية كالأتراك، قضى جُلَّ عمره لا يتكلّم بغيرها، ولا يكتب سواها»[2].

وعلاوةً على ذلك، فإنّ الركابي كان يهدّد الموظفين الذين لا يتكلّمون العربية في دوائر الحكومة بالطرد من وظائفهم، أو الحسم من رواتبهم[3].

---

(١) العجلوني، **المصدر السابق**، ص٣٧.

(٢) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٢٣٣.

(٣) انظر: قاسمية، **الحكومة العربية في دمشق**، ص٢٣٤.

قلت: يجب أن تقفَ الأمةُ إلى مثل هذا الحاكم إجلالاً واحتراماً، وعرفاناً بالجميل، لا لمن يعادون العربية جهاراً نهاراً، ويسمحون للغات الأعجمية بالتغوُّل عليها في كلّ مناحي الحياة. والركابي رجل دولة بحق في دمشق، وفي عمَّان في ما بعد، «وليس كلّ الرجال فحولاً» كما يقول المتنبي.

ج- رؤية الأمير فيصل بن الحسين للغة العربية وأهميتها بالنسبة للدولة العربية، إذ آمن الرجل بالعروبة، وهي الرابطة الجنسية القوميّة التي تقوم على اللغة العربية، وتوحِّدُ العرب جميعاً، وقد بيّن ذلك في خطابه التاريخي في النادي الأدبي بحلب في شهر حزيران عام ١٩١٩م، ومما جاء في ذلك الخطاب: «... أمّا أنا فأقول لا أكثرية ولا أقلية لدينا، ولا شيء يفرِّق بيننا، إنّما نحن جسم واحد، ولا شكَّ أنَّ أعمال الحكومة المؤقتة تدلّ على أن لا أديان ولا مذاهب، فنحن عرب قبل موسى ومحمَّد وعيسى وإبراهيم، نحن عرب تجمعنا الحياة، ويفرّقنا الموت... وأؤمِّلُ أنَّ كلّ من يتكلّم بالعربية يشعر بمثل هذه العواطف التي أشعر بها...»[1].

د- تشكّلَ رأيٌ عامّ يدافع عن العربية ويناصرها، ويحثّ الشباب على تعلّمها والإقبال عليها، والتمسّك بها، إذ نجد في المقالة التي كتبها محب الدين الخطيب بعنوان (قوميتنا العربية)، دفاعاً شديداً عن العرب ولغتهم، وذلك حينما رأى بعض أساتذة المدارس في عصره، ولعلّها المدارس التبشيرية، يعملون على ترسيخ بعض الأفكار المغلوطة في أذهان الناشئة، فدرَّسوهم على أنَّهم فينيقيون وآراميون، امتزجت دماؤهم بدماء اليونان والرومان، ولكنَّ محب الدين الخطيب يرفض هذه الأوهام، ويردّها مبيِّناً أنَّ الفينيقيين والآراميين والسريان هم عرب، أصلهم من جزيرة العرب، وكذلك فإنَّ الأموريين والكنعانيين خرجوا من جزيرة العرب.

ويقول: «إنّ القاعدة المتبعة اليوم في أوروبا، لتعيين الجنسية هي اللغة، ومسقط

(١) **جريدة العاصمة**، ١٦ حزيران، ١٩١٩م، العدد ٣٥، ص٤.

الرأس، ليس إلَّا... إنّ الأمم السامية التي كانت قبل بضعة آلاف سنة تتكلّم بلغة واحدة، اضطرّتها عوامل الزمن والمكان إلى تنويع لهجاتها، والتفريق بين ألسنتها»[١]

ويحمل الخطيب على من يتنكّرون للعربية من أبنائها، ويقلّلون من شأنها، ويحطُّون من رفعتها وقدرها، وينعتهم بالعقوق والمكابرة، ويقول مبيّنًا مكانة هذه اللغة الأصيلة: «ومن أعظم مفاخر هذه اللغة الجميلة، أنَّها أصبحت واسطة تفاهم الساميين، ولا غرو فهي سليلة اللغة السامية الأولى، ووارثة مجدها وسؤددها، رغم أنف كلّ عاقّ ومكابر»[٢].

وكتب محمَّد حمدي السفرجلاني مقالةً بعنوان (اللغة العربية وأبناؤها)، بيَّن فيها أنَّ الأسلاف كانوا يحافظون على لغتهم وشرفهم، في حين أنَّ أحفادهم في عصرنا أصبحوا من أزهد الناس بها، وأقبل كثيرٌ من أبنائها على تعلّم اللغات الأجنبية، وتكاسلوا في تعلُّم اللغة التي خلّدت تاريخهم ومجدهم، بعد أن مضى زمن ليس بالقليل واللغة العربية مهجورة في حيّز العدم، ليس لها وجود إلا في معاجمها، حتى أتاح الله لها فئةً من رجال مصر وسوريا، أحيوا ما اندرس من معالمها، وروّجوا سوقها»[٣]. فالعصر هو عصر إحياء وتجديد لهذه اللغة، وعصر إقبال على بعث أمجادها، وإحياء كنوزها وآثارها، وإظهار رونقها ومحاسنها؛ لتأخذ دورها الحضاري بين لغات العالم المتمدِّن.

ويشير السفرجلاني إلى عودة اللغة إلى أهلها بعد الانقلاب على الأتراك، ويأمل أن تنفق سوقها بين أهلها وفي ديارها، بعد خمولها وكساد سوقها، وإهمالها أيام الترك، ولذلك فإنّه يستنهض همم شباب الأمة وعزائمهم إلى النهوض بلغتهم، بعد أن رأى تقاعسًا منهم في تعلمها وذيوعها ونشرها[٤].

---

(١) الخطيب، محب الدين: «قوميتنا العربية»، **جريدة العاصمة**، ٧ أغسطس، ١٩١٩م، عدد٤٨، ص١-٣.

(٢) المصدر السابق، ص٣.

(٣) السفرجلاني، محمَّد حمدي: «**اللغة العربية وأبناؤها**»، جريدة العاصمة، ٢١ أغسطس، ١٩١٩م، عدد ٥٢، ص٧.

(٤) انظر: السفرجلاني، «**اللغة العربية وأبناؤها**»، ٢١ أغسطس، ١٩١٩م، عدد ٥٢، ص٧.

ولا نريد الاسترسال في تقديم الأدلة التي هيَّأت ذهن الركابي، وشرحت صدره لقبول هذا الاقتراح الخطير الذي قدَّمه كرد علي لتحويل مجلس المعارف إلى مجمع علمي لغوي، وهو ما قبله الركابي –بلا مناقشةٍ أو جدلٍ أو إرجاء– في تمهيد طريقه، ووضعه موضع التنفيذ الفوري في برامج الحكومة العربية، ولا غرو في ذلك، فهو الرجل الصلب القويّ المخلص للغة أمته، المتعصِّب لها أشدَّ التعصُّب، بعد أن أدرك الضيم والقهر والاستبعاد الذي عانته في نهاية العصر التركي، وعاش سياسة الاتحاديين الهادفة إلى اجتثاث العربية من جذورها في أرضها.

يقول سعيد الأفغاني واصفاً جهود الركابي في التعريب: «وقد وقف الحاكم العسكري كثيراً من جهوده ووقته على خطا التعريب، يسهر عليها بنفسه، وكان إذا أراد أمراً بلغه مهما عَسُرَت الشقّة إليه، وكان من لطف الله لهذا العهد، أنَّ حاكمه العسكري وقد قبض على الأمور بيد من حديد، حزماً وعزماً ومضاءً، حتى لقبّه بعض الناس بـ (هندبرغ العرب)»[1].

وقد أصدر الركابي قراره التاريخي بتقسيم ديوان المعارف الذي كان محمَّد كرد علي رئيساً له إلى قسمين: قسم يختص بالمعارف العامة، والثاني يهتم باللغة العربية والمكتبات والآثار، وقد جاء القرار على النحو التالي:

(١) الأفغاني، سعيد: **من حاضر اللغة العربية**، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٧١م، ص٦٢-٦٣.

رقم ٥٦٩٨/ ٢٣٤٧

لحضرة رئيس ديوان المعارف المحترم

«دفعـًا للالتباس الذي يمكن وقوعه، نسبنا أن يسمّى ديوانكم بالمجمع العلميّ (آقادمي)، وإنَّا نرجو إفراز ميزانية المدارس على حِدة، وإرسالها إلى مدير المعارف العام، والسلام عليكم».

في ٨/ ٦/ ١٩.

حاكم سوريا العسكري

علي رضا الركابي[1]

ويبدو لكاتب هذه السطور أنَّ صدور هذا القرار التاريخي الذي فصل ميزانيةَ المدارس، عن ميزانية مجلس المعارف، وأمرَ بتحويل ما يخصّ المدارس إلى مديرية المعارف التي أصبح ساطع الحصري مديراً عامـًا لها، كان حلاً وسطـًا ترضى به جميع الأطراف المتصارعة في الحكومة العربية، فقد أرضى القرار تلاميذ ساطع ودعاته وأنصاره في الدولة، ووضع حدّاً للتداخل المالي والإداري بين ديوان مجلس المعارف، ومديرية المعارف من جانب، ورعى لكرد حقّه في خدمة الحكومة العربية، وحفظ له كرامته وهيبته ومكانته في المجتمع الدمشقي، وحقّق أمنيته في قيام أول مجمع رسمي علمي له شخصيته المستقلة؛ ليؤدي دوره في خدمة لغة الأمة وحضارتها، وتراثها وآثارها.

(١) الفتيح، **تاريخ المجمع العلمي العربي**، ص٨؛ المبارك، **مجمع اللغة العربية بدمشق**، ص٦.

المبحث الثاني

دوافع محمَّد كرد علي

لطرح فكرة قيام المجمع على الحكومة العربية

لا ريب أنّ جرأة كرد علي، وشجاعته الأدبية في طرح فكرة إنشاء المجمع العلمي، على الركابي الحاكم العسكري في زمن الحكومة العربية، ونجاح هذا الاقتراح، وصدور قراره الرسمي، تجعلنا نقف متأملين وباحثين على العلل والأسباب، وعلى الظروف والعوامل، وعلى السياقات التاريخية والاجتماعية التي دفعت كرد إلى ذلك، التي يمكن أن نردُّها للآتي:

أ- دعوة محمَّد كرد علي إلى اللغة العربية، وإيمانه بها لغة أدب وعلم، وقضاء وإدارة، وسياسة، وحضارة:

فعندما عاد كرد من مصر إلى الشام سنة ١٩٠٨م بعد إعلان القانون الأساسي في الدولة العثمانية، وسقوط الاستبداد، أصدر كرد في دمشق (المقتبس)، وهي أول جريدة يومية تصدر في دمشق، وكانت تنشر الأفكار والمقالات النافعة التي لقيت قبولاً ورواجًا بين الناس[١]؛ لأنَّها كانت تتناغم مع ما في نفوسهم، وتدافع عن مطالبهم، وتردّ ظلم الظالمين عنهم، وتدعو إلى سيادة العربية في البلاد العربية، يقول كرد: «وأكثرُ ما كنتُ أردّد نغمته التعليمُ باللغة العربية في الابتدائي والثانوي، وجعل المحاكمات بالعربية في الولايات العربية، وأن يعرف العمَّال بأجمعهم اللغة العربية، إلى غير ذلك من المطالب المعقولة»[٢].

وقد حاول الاتحاديون شراء كرد ورشوته، فما أفلحوا في ذلك، ثم عزموا على اغتياله، وطُلب للوالي التركي[٣]، وتـمَّ اضطهاده، وكان خوفهم من أنَّ دعوته لسيادة

(١) انظر: كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٦٢.
(٢) **المصدر السابق**، ج١، ص١٠٢.
(٣) انظر: **المصدر السابق**، ج١، ص٦٢.

اللغة العربية في الولايات العربية، قد تنتقل إلى غير العرب من أصحاب اللغات الأخرى، يقول: «وكان بعض الأتراك يتألمون من سماع هذه النغمة؛ لئلا تسري بزعمهم إلى: الأكراد، والألبان، والروم، والأرمن وغيرهم من العناصر العثمانية»[1].

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى، أنشأ كرد جريدة (الشرق) بأمرٍ من جمال باشا السفاح؛ لتكون جريدة الدعاية التركية الألمانية في بلاد الشام.

ويحكي لنا كرد ما وقع له مع جمال باشا السفاح: «سألني القائد مرةً مازحـًا: ما لكَ لا تكتب مقالاتٍ في العرب، ومجد العرب، وفضل لغة العرب؟ كما كنت تكتب قبل الحرب، فقلتُ له: الآن نحن في شغل شاغل عن ذلك، وبعد الحرب نعود – بحول الله – إلى ما كنَّا عليه، فضحك ضحك استهزاء...»[2]. وممَّا لا شكَّ فيه بأنّ ردة فعل السفاح، على جواب كرد علي، تدلُّ على الباطن المظلم لهذا الرجل الهازئ بالعرب ولغتهم وحضارتهم، الحاقد على جنسهم وأرومتهم.

والخبر السابق يدلُّنا بجلاء على أنَّ قادة الترك كانوا عارفين بالقضية الأساسية التي تؤرّق أحرار العرب، وهي قضية اللغة العربية التي أصبحت شغلاً شاغلاً لكرد وغيره من الأحرار، فهو يتبنَّاها ويدافع عنها، وينشر الوعي بأهميتها ومشروعيتها بين الناس.

وكان كرد معروفـًا أيضـًا لدى رجال الدولة التركية، بما لديه من معرفة موسوعية بالأدب العربي والحضارة العربية، وعُرف أيضـًا بمقدرته الخطابية الفذّة باللغة العربية، وقدرته على هزّ المستمعين، فقد ذكر كرد لنا واحداً من مواقف جمال باشا السفاح، عندما قال: «في القدس علنـًا، وأنا أخطب أمامه على مائدةٍ ضمّت زمرةً كبيرةً من أعيان الديار الشامية: إنِّي لا أفهم أحداً ممّن يخطبون أمامي باللغة العربية في سورية وفلسطين، إلا كرد علي، فإنّي أفهم ما يقول، ويكهرب أعصابي أيضـًا»[3]. وهذا يدلّنا

(١) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص١٠٢.
(٢) كرد علي، **المذكرات** ، ج١، ص١٠٨.
(٣) **المصدر السابق**، ، ج١، ص١٠٨.

على تفنّن كرد علي وبراعته الخطابية، وقدراته الإقناعية على التأثير في السامعين وهزّهم.

وبناءً على ما تقدَّم، فإنّ محمَّد كرد علي كان واحداً من الذين يحملون رايات الدفاع عن العربية، ويطالبون بإحيائها في أرضها، ويرفضون هيمنة اللغات الأعجمية عليها، ويدعون إلى استردادها سابقَ عزّها وغابرَ مجدها، وكان معروفاً بذلك لدى الدولة التركية التي لم يكن موقفها إيجابياً من لغة العرب، ومن يتكلّمون بها، ويدعون إليها.

وممّا يزيد الأمر وضوحاً، ويكشف لنا عن استماتة كرد علي في الدفاع عن حصن العربية الذي لا يريد له السقوط بيد أعدائها، والذي أحدق به الخطر الداهم نتيجة لتقاعس أبناء العربية عن نصرتها، ما قاله عندما سمع محاضرات كبار علماء فرنسا في الأكاديمية الفرنسية، ورأى ما هاله من كيدهم وحقدهم، ومجاهرتهم بالعداوة للعرب والإسلام، ورأى من العرب قصورهم في طلب العلم، وتهافتهم على تعلّم اللغات الأجنبية والحديث بها، وإهمالهم لعربيتهم، يقول: «نتناغى بالوطنية، ونندب حظّ العربية، ونحن أبناؤها الذين نعقّها ولا نتعلّمها، أليس مما يزعج أن يخاطب العربي أباه وأمه، وأخاه وصديقه بغير لغته الأصلية»[1]. قلت: كيف لو رأى كرد علي ما آل الأمر اليوم؟!!

ويعيب كرد على العرب قصورهم عن تعلّم لغتهم، ويَعدُّ عدمَ الإقبال عليها عاراً وشناراً، وقصوراً وإدباراً، يقول: «أنا إنْ كنت عربياً، وأحبّ العرب، وأريد نهوضهم، أيتيسّر لي كلّ ما أريد، إذا لم أخاطبهم وأخطبهم، وأكتب بلغتهم التي يفهمونها؟! أنا إن كنت أريد الاطلاع على مجد آبائي وأجدادي، أأتمكّن من ذلك بدون دراسة ما خلَّفوه من آثارهم؟! وهل يتيسّر هذا إلا باللغة التي كتبوا بها؟»[2].

(١) كرد علي، محمَّد: **غرائب الغرب**، ط٢، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، ص١٦٠.
(٢) كرد علي، **غرائب الغرب**، مصدر سابق، ص١٦٠.

ويعاتب العرب على زهدهم بلغتهم، بينما يقبل الأجانب والمستشرقون على تعلّمها، وإتقانها والبراعة فيها، يقول: «أيزهد سلالة العرب الأكارم في لغتهم، ويتعلمها المستشرقون أكثر من علماء العرب أنفسهم؟ أيزهد العربيُّ ابنُ العشرين في العربية، ويتعلّمها رجل أعجمي في الستين من عمره؟»[1].

قلت: هذا ما قاله كرد قبل قرن وعقد من الزمان، فكيف لو رأى اليوم كثيراً من أبناء الأمة الذين درسوا في الغرب، وتخرّجوا في جامعاته بأعلى الشهادات العلمية، يعادون العربية جهاراً نهاراً، ويصمونها بالعجز والقصور، وهم أول من يوصف به لتقصيرهم في النهوض بلغتهم، ومحاربتهم لها تنفيذاً لأوامر الغزاة والمستعمرين الذين تَرَبَّوْا على أيديهم.

ب- عبقرية المكان والإنسان الدمشقي:

وُلد محمَّد كرد علي في دمشق سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، وتعلَّم فيها اللغة العربية، والتركية، والفرنسية، والفارسية، حتى أصبح قادراً على الترجمة من الفرنسية وإليها، وأخذ فيها علوم العربية، والأدب والإنشاء، عن الشيخ طاهر الجزائري، والسيد محمَّد المبارك، والشيخ سليم البخاري[2].

وعلى الرغم من أنّ أكثر البلاد العربية كانت آنذاك في حالة ظاهرة من الانحطاط في اللغة والأدب والعلوم، بقيت جذوة العلم متَّقدة، ومشاعل الحضارة دامت موفوعة في بلاد الشام، وأقام بعض الولاة والقضاة والباشاوت عدة مدارس، بقي بعضها عامراً حتى زمن كرد علي، وآخر هذه المدارس في العصر العثماني مدرسة الطبّ التي أنشأها السلطان عبدالحميد سنة (١٣٢١هـ)، وأنفق على بنائها وتجهيزاتها ولوازمها بسخاء؛ لمنافسة مدرستي الطب الأمريكية واليسوعية في بيروت[3].

---

(١) كرد علي، محمَّد: **غرائب الغرب**، ط٢، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، ص١٦٠-١٦١.
(٢) انظر: كرد علي، **خطط الشام**، ج٦، ص٣٧٤.
(٣) انظر: كرد علي، **خطط الشام**، ج٦، ص٩٨-٩٩.

ويحشد لنا كرد علي عشرات الأسماء من الأعلام الذين عُرفوا في زمانه، فمنهم علماء الدين والفقه، وعلماء الفلسفة والعلوم المادية والاجتماعية والتاريخية، ومنهم الأدباء والشعراء والكتَّاب، ويذكر منهم شيوخه وأقرانه ورصفاءه في المجمع[1].

ولم يغب عن فكر كرد وخاطره وذكرياته، أنّ دمشق هي العاصمة الثانية في الإسلام، إذ أصبحت عاصمة بني أمية، ومنها انطلقت الفتوحات الإسلامية الكبرى التي أتـمَّتْ ما شرع فيه الخلفاء الراشدون من الفتح ونشر الإسلام، فوصلت إلى الصين شرقـًا -التي كانت مشروع رجل دولتهم في العراق الحجَّاج بن يوسف الثقفي، فتحها ونشر الإسلام فيها- إلى فرنسا غربـًا، فتحقّق لهم من الانتصارات العسكرية المذهلة ما لم يتحقّق لغيرهم من الدول، لا من قبلهم ولا من بعدهم، وكانت إنجازاتهم في ميدان تعريب الدواوين في الدولة العربية، وتعريب سكان البلاد المفتوحة، لا تقلّ خطراً عن انتصاراتهم العسكرية.

وقد أطاحت عملية التعريب بالحواجز بين الفاتحين وأهل البلاد الأصليين، و«ولدت أخيراً أكمل لغة في العالم، والأكثر قدرة من اللغات المحلية على تلبية كلّ الضرورات والمتطلبات، كما أنّها ظلّت بلا منازع بين لغات البلدان المفتوحة، وسرعان ما تبيّن أنّ غناها ودقتها كانا يسمحان لها بالتعبير عن كلّ لطائف الفكر ودقائقه»[2]، كما يقول المستشرق جاك ريسلر.

وفي دمشق أنشأ معاوية بن أبي سفيان أول بيت للحكمة، كانت فيه الكتب والدفاتر، وفيه الرجال الذين يسامرونه بحكاية أخبار الأمم وتواريخهم، ومن دمشق انطلقت شعلة الترجمة والتعريب في الحضارة الإسلامية، عندما قام الأمير العالم خالد بن يزيد بن معاوية، وأمر بترجمة كتب الطب والكيمياء والفلك، ونقلت كتب الفرس في

---

(١) انظر: **المصدر السابق**، ج٤، ص٦٦-٦٩.

(٢) ريسلر، جاك: **الحضارة العربية**، تعريب: خليل أحمد خليل، ط١، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٩٣م، ص٥٤ .

السياسة والإدارة لهشام بن عبد الملك[1].

وأقام النوريون والأيوبيون والمماليك مئات المدارس ودور العلم بدمشق بخاصة، وفي بلاد الشام بعامة، وقصدها طلاب العلم من أرجاء العالم الإسلامي آنذاك، وما زال بعضها باقيًا وشاهداً على عظمة بناتها، ومنها انطلقت مشاريع استرداد الأرض المقدسة، وهي عاصمة نور الدين زنكي، وعاصمة تلميذه البارّ صلاح الدين بن أيوب، الذي قاد جموعه من دمشق إلى تل الجموع، ثم انصبّ إلى طبرية كالسيل الجارف قائداً لجيوش الإيمان، وجرت الملحمة الكبرى في حطين، وأسر ملوك الفرنج، وهدم جيوشهم الجرارة، واستردّ بيت المقدس مدينةً للسلام دون إراقة قطرة دمٍ فيها، علمًا بأنَّ دماء المقدسيين قد جرت أنهاراً عندما دخلها وحوش الفرنج.

ووصف ابن جبير الأندلسي دمشق قائلاً: «جنة المشرق، ومطلع حُسنه المُؤنق المُشرق، وهي خاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها، وعروس المدن التي اجتلَيْنَاها...»[2]. وفيها جامع بني أمية الذي يُعدُّ من أقدم جوامع الإسلام، وأعظمها بناءً وإحكامًا، وفيه حلقات العلم والتدريس، وفيه العشرات من خزائن الكتب الموقوفة[3]، إلى غير ذلك من الجوامع والمساجد، والترب ومدارس العلم الموقوفة على طلابه، ولذلك فإنَّ كرد علي كان يصرُّ دائمًا ويؤكِّد في تقاريره التي يرفعها من المجمع إلى

---

(١) انظر: النديم، محمَّد بن أبي يعقوب (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): **الفهرست**، تحقيق: رضا تجدد، بيروت، بلا تاريخ، ص٤١٩؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م): **التنبيه والإشراف**، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م، ص١٠٨؛ الدروبي، سمير: **الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٣٦.

(٢) ابن جبير، محمَّد بن أحمد (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م): **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص٢٣٤.

(٣) انظر: الدروبي، سمير: «**خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أمية في دمشق من القرن (٦-١٠هـ/ ١١-١٦م)**»، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام وهو بعنوان: **الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين**، تحرير: محمَّد عدنان البخيت، ط١، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، م٢، ص١٤٣-١٦٢.

الدولة السورية في زمن الانتداب الفرنسي، على أنَّ دمشق تستحقّ مجمعاً علمياً يليق بمكانتها، ودورها العظيم في التاريخ الإسلامي، والحضارة العربية الإسلامية.

لقد كتب كرد علي في مذكراته ست صفحات عنونها بـ (دمشق)، وإنَّ ما خطّه كرد بيراعة عن هذه المدينة يُعدُّ من أجلّ ما كتب عنها –على كثرته– لأنه نفذ إلى الروح الخلاقة، وإلى الروح العبقرية الكامنة في هذه المدينة، التي كانت معمورةً من عشرة آلاف سنة، ووما زالت حتى الآن، وجد أن لهذه المدينة طابعاً خاصاً جعلها مختلفة حتى عن أقرب المدن إليها، ولها قدرة عجيبة على سرعة النهوض والتمدّد في عمرانها وسلطانها، يقول: «إنَّ لدمشق طابعاً خاصاً في طبيعتها، وروحها، ومرافقها لا تشبه المدن الداخلية، ولا المدن الساحلية... وانتقلت دمشق في أيام بني أمية من حاضرة صغيرة، إلى عاصمة كبيرة، يمتدّ حكمها مسافة تسعة أشهر في أوروبا وأفريقية وآسيا... وأصبحت في مئة سنة سيدة المدن والعواصم في الأرض كلّها»[1].

ويستذكر كرد عظمة عمران بني أمية بدمشق، وما قام به العباسيون من أعمال وحشية لتدمير الأعمال العمرانية العظيمة التي بناها بنو أمية، ولكن بقي منه ما بقي؛ لأنَّ فطرة الدمشقيين مبنية على صون آثار الأقدمين وعادياتهم، يقول: «وما أقامه الأمويون في دمشق من أعمال العمران تعذّر على السفاح والمنصور من خلفاء العباسيين أن يقضوا عليه... ذلك لأنَّه كان من فطرة الدمشقيين الاحتفاظ بمصانعهم وعادياتهم»[2]. ويضرب كرد مثالاً على ذلك جامع بني أمية الذي تعرَّض لكلّ أنواع التخريب من التتار والصليبيين الذين نجحوا في إضرام النيران فيه وتدميره[3]، لكنَّ الإنسان الدمشقي سرعان ما يعيده إلى ما كان عليه.

---

(١) كرد علي، **المذكرات**، ج٣، ص٨٦٤.

(٢) كرد علي، **المذكرات**، ج٣، ص٨٦٤.

(٣) انظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): **مقامة رشف الرحيق في وصف الحريق**، دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٩-٢٦.

ويذكِّر كرد بالخراب الذي لحق بالمؤسسات والأوقاف والمعاهد العلمية زمن الأتراك، إذ لم يبقَ فيها إلا ثلاث مدارس من عشرات المدارس، إضافة إلى ظلم ولاة الترك وتسلُّطهم، ممّا أدى إلى تراجع الحياة المادية والعلمية في دمشق، يقول كرد: «ولولا أنَّ في طبيعة الدمشقيين حيوية عجيبة في الصنائع والتجارة، لأصبح أهلها بادية؛ لكثرة ما لقوا من الشدائد، ولقد أثبتوا في جميع الأدوار أنّهم في صنائعهم آية»[١].

ويؤكّد كرد على أنَّ دمشق من أهمّ مراكز العلم في العالم الإسلامي، وأنها كانت مقصداً لطلاب العلم منذ الفتح الإسلامي وحتى زماننا، وأن كلّ العلوم الإسلامية كانت تدرَّس بها، إضافة إلى وجود المدارس الطبية والهندسية، كما نبغ فيها مفكرون ومجدّدون، ومؤرخون وسياسيون لهم شهرة مدوية في العالم، وما زالت مؤلفاتهم من أجلّ المصادر، كابن عساكر، وابن خلكان، وابن تيمية، وابن فضل الله العمري، والذهبي، والصفدي، وابن كثير، وغيرهم المئات من العلماء والأدباء[٢].

ويُعدِّد كرد علي محاسن الدمشقيين وما اتَّسموا به من براعة في التجارة قديماً وحديثاً، وما لديهم من قدرة عجيبة على اقتباس الحضارة، وتعلُّم اللغات، وإقامة الصناعات الحديثة في بلادهم، وما عرفوا به من استعداد للنهضة العلمية، يقول: «وفي العهد الحديث أنشأت دمشق مجمعاً علمياً، وجامعة، وأصلحت التعليم بكلّ فروعه، وأخذت روحها تسري إلى الديار الشامية كما كانت منذ القديم»[٣].

جـ- قراءة كرد الواعية للأدب العربي وتبحُّره في مصادر التاريخ والحضارة الإسلامية

تميَّز كرد علي باطلاع واسع على التراث العربي تاريخاً وأدباً وعلماً، وقد كان والده حريصاً على تعليمه، فاشترى له مكتبة وهو فتى يافع، وحرص على بقائها بين يدي ولده عندما حاول أحد وجهاء دمشق أخذها منه، يقول كرد: «وأذكر أنّ والدي

(١) كرد علي، **المذكرات**، ج٣، ص٨٦٥.
(٢) انظر: **المصدر السابق**، ج٣، ص٨٦٥-٨٦٨.
(٣) كرد علي، **المذكرات**، ، ج٣، ص٨٦٨.

ابتاع لي كتبًا من إحدى التركات، وكانت تباع التركات في الجامع الأموي بعد صلاة الجمعة، وغرّم فيها ألفًا وخمسمئة قرش، فبلغ ذاك الوجيه الخبر، وجاء إلى دارنا في المساء، وكان يعرف والدي، وله به صحبة، فطلب إليه أن يعطيه الكتب، أو بعضها على سبيل العارية، فأبى والدي أن يدفعها إليه، وقال له: إنّني اشتريتها للصبي يتعلّم بها، ولا سبيلَ إلى أن أخرجها من خزانته حتى لا أكسر شوقه، وقال لي بعد انصرافه: يا ولدي لو دفعناها إليه ما عادت إلينا»[1].

ويبدو أنَّ الأب الحاني كان حريصًا على تعليم ابنه، فجلب له المعلمين الخصوصيين، وعندما رأى فيه ذكاء ونجابة، وشوقًا للكتب، وحبًّا للعلم، اشترى له هذه المكتبة المخطوطة، وعلَّمه الحرص عليها، وعدم التفريط بعاريتها للواغلين الذين يبتزُّون الناس كتبهم، وما أكثرَهم في كلّ زمان! وللأسف فإنَّ هذا الطراز من النفوس يُعطّل على أصحاب هذه الكتب الانتفاع بها.

ويذكر لنا كرد أنّ أحد الشيوخ الذين كانوا يصدّون الناس عن تعليم أبنائهم، قد قال لكرد –وقد أصبح شابًا يكتب بالصحف– : «بلغني أنَّ عندك خزانة كتب، قلت: صحيح ما بلغك، منها ما كان اشتراه والدي لي، ومنها ما ابتعته أنا. فقال: أريد أن أزورها، فقلت له: لا تزورها ولا تراها. قال: ولِمَ لا؟ قلت: لأنَّك تسرق الكتب على ما أكّد لي غير واحد، ولذلك لن تراها»[2].

والخبران السابقان دليل واضح على حبّ كرد للتراث، الذي سعى في ما بعد للحفاظ عليه في خزانة المجمع، وفي المكتبة الظاهرية، وجعل من جمع المخطوطات وحفظها تمهيداً لنشرها، من أهمّ أهداف المجمع العلمي فيما بعد.

وعندما ألَّف كرد موسوعة (خطط الشام)، اطّلع على ألف مصدر أو أكثر ما بين مخطوط ومطبوع، ورحل إلى خزانة المستشرق كيتاني في إيطاليا، وانتفع بكنوزها،

(١) المصدر السابق، ج١، ص٣٧.
(٢) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٢٨.

ولذلك كوَّن معرفة عميقة بالتراث العربي الإسلامي تاريخاً وأدباً، ولغة وحضارة، منذ العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر العثماني.

ومن البدهي القول: إنَّ كرد كان عارفاً بأسواق العرب التي كانوا يجتمعون فيها لإنشاد الأشعار، وللمفاخرات، وللمطارحات الأدبية، وكانت هذه الأسواق تقام سنوياً، ويحضرها كثير من العرب من كلّ القبائل، ممّا ساهم في تقارب لهجاتهم، وتوحيد لغتهم، إذ كانت هذه الأسواق موزّعةً على أرجاء جزيرة العرب، منها ما يعقد في مكة والطائف كذي المجاز وعكاظ، ومنها ما يقام في صنعاء، وحضرموت، ودومة الجندل، وعُمان وصحار وغيرها.

أمّا في العصر الإسلامي، فإنَّ مجالس الخلفاء كانت تجمع الشعراء والكتَّاب، والعلماء والحكماء والفقهاء، وتُطرح فيها الأشعار والأفكار، وتُجرى المناظرات والمحاورات، وتُبحث فيها المسائل العلمية والفقهية. ومجالس: المهدي والرشيد، والمأمون والمتوكلّ، تناقلها الرواة، وتناثرت أخبارها في كثير من المصادر الأدبية والتاريخية.

وأقرب ما في تاريخنا الحضاري إلى مفهوم المجامع الحديثة، هو بيت الحكمة الذي أُسّس في عهد الرشيد ببغداد، ورعاه ابنه المأمون حتى بلغ أوجه في عهده، وضمَّ بيت الحكمة مخطوطات كتب الحكمة اليونانية التي اجتلبها المأمون بالشراء والحرب، وأرسل البعثات العلمية لتحصيلها[1]، وفيه التراجمة الذين ينقلون العلوم والآداب إلى العربية، وله جهازه العلمي، والإداري، والفني، وعمل المأمون على وضع نتائج أعمال بيت الحكمة موضع التطبيق العملي، وعلمها لأذكياء أبناء الأمة.

وكتب كرد عن حضارة المسلمين في الأندلس قائلاً: «وكان للعلماء والمؤرخين

---

(١) انظر: الدروبي، سمير: «**الرعاية وأثرها في تحقيق النصوص المترجمة في العصر العباسي**»، بحث منشور ضمن وقائع مؤتمر تحقيق التراث الذي عقد في مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص١٩٤-٢٢٧

والشعراء والأدباء في الأندلس مجامع علمية وأدبية أشبه بالمجامع أو الأكاديميات في هذا العصر؛ وذلك لنشر العلم والمعارف»[1].

وليس هدفنا هنا استقصاء وتقصي أخبار تلك المجالس والدور والبيوت العلمية التي تهتمّ بالعلم واللغة، فهي كثيرة وممتدة في التاريخ الإسلامي، حتى في عصور الضعف والانحلال.

لا شكَّ في أنَّ كرد علي صاحب الاطلاع الواسع، وقد وصف نفسه: «وكنتُ أطالع كلّ ذلك مطالعة تدبُّر، وألتقط جواهرها»[2]، فهو القارئ النهم للتراث، والباحث عن أدبه وظواهره وتاريخه، والمحقّق لكتبه ومخطوطاته، والملتقط لجواهره ودرره، والبصير بجوانب الأصالة والإبداع والضعف والتقليد في هذا التراث، وقد أفاد منه فائدة عظيمة في طرح تأسيس المجمع العلمي؛ لأنَّه وجد أنَّ رعاية الدولة، وعناية خلفائها وأمرائها ووزرائها باللغة والأدب والعلم، وتشجيعهم للعلماء، وكفالة العيش الكريم لهم، كانت من أسباب رقي المدنية وازدهار الحضارة في الدول الإسلامية، التي أصبحت لغتها العربية لغة العلم والحضارة الإنسانية، بما نيف على ألف عام، وعنها أخذ الأوروبيون علومهم، وقامت حضارتهم.

د- وقوف كرد علي على تاريخ المعهد العلمي الذي أقامه نابليون بمصر

بدأ تاريخ المجامع العلمية في العالم العربي مع حملة نابليون على مصر والشام عام ١٧٩٨م، ودام الاحتلال الفرنسي ثلاث سنوات، انتهت بهزيمة الفرنسيين، وخروجهم مدحورين مذمومين، نتيجة للمقاومة الوطنية التي أبداها المصريون والشاميُّون، ومساعدة الدولة العثمانية لهم في طرد الغزاة.

---

(١) كرد علي، محمَّد: «**غابر الأندلس وحاضرها**»، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، مجلد٢، ص٢٣٢.

(٢) جبري، شفيق: **محاضرات عن محمَّد كرد علي**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

لقد قام الفرنسيون بتدمير الأحياء، وهدم المساجد والآثار التاريخية، ونهب الأموال والممتلكات، وسبي النساء، ودكّ قرى الصعيد بالمدافع، وهدم المدارس التاريخية، وتحويل بعض المساجد إلى خمَّارات، يقول الجبرتي: «... توالى الهدم والخراب، وتغيير المعالم، وعمَّ الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبي، فهدموا تلك الأخطاط والجهات والحارات، والدروب والحمَّامات، والمساجد... وهدموا أبنية رأس الصوة... وما بذلك من المدارس القديمة المشيَّدة، وكذلك أبنية باب القرافة ومدارسها، ومساجدها... وتخرب أيضًا جامع الرويعي وجعلوه خمَّارة... وحاربت الفرنسيس بولاق، وفتكوا في أهلها، وغنموا أموالها، وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات، صرن مأسورات عندهم، فزيوهن بزي نسائهم... ولما حلَّ بأهل البلاد من الذل والهوان، وسلب الأموال، واجتماع الخيرات في حوزة الفرنسيس ومن والاهم... وخطب الكثير منهم بنات الأعيان، وتزوجوهن رغبة في سلطانهم ونوالهم...»[1].

وهذا قليلٌ من كثير الشناعات والبشاعات، والمجازر والجرائر، التي ارتكبها الإفرنسيس في مصر والشام، إذ قتلوا ما لا يقل عن خُمس الرجال بمصر، وهدموا تسعين بالمئة من قصور القاهرة، ومدارسها ومساجدها، إلى غير ذلك من أفعالهم الإجرامية التي كان الجبرتي شاهد عيان عليها.

ولكنَّ الجبرتي أبان لنا عن جانب حضاري آخر جاء به الفرنسيون لمصر، عندما وصف لنا المعهد العلمي الفرنسي في مصر، وكان مندهشًا لما به من الآلات، والمختبرات والتجهيزات، والمعاجم والموسوعات، والفنيين والمهندسين، يقول الجبرتي في وصف هذا المعهد العلميّ: «...وفيه جملة كبيرة من كتبهم، وعليها خُزَّان ومباشرون يحفظونها، ويحضرونها للطلبة... فتجتمع الطلبة منهم على يوم قبل الظهر بساعتين... وإذا حضر إليهم بعض المسلمين ممَّن يريد الفرجة لا يمنعونه الدخول...

(١) الجبرتي، عبد الرَّحمن بن حسن (ت١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م): **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**. تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج٥، ص٢٥٨-٢٦٣.

وإذا رأوا فيه قابلية أو معرفة، أو تطلُّعاً للنظر في المعارف، بذلوا له مودّتهم ومحبتهم، ويحضرون له أنواع الكتب المطبوع بها أنواع التصاوير... وتواريخ القدماء، وسير الأمم... وعلوم الطبّ والتشريح، والهندسيات، وجرّ الأثقال، وكثير من الكتب الإسلامية مترجم بلغتهم... ولهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات، واجتهاد كبير في معرفة اللغة والمنطق، ويدأبون في ذلك الليل والنهار، وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات وتصاريفها واشتقاقاتها، بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون من أي لغة كانت إلى لغتهم في أقرب وقت...»[1]..

إنَّ وصف الجبرتي لهذا المعهد العلمي يدلُّ على البون الشاسع بين علم الشرق ومعرفته، وما وصل إليه الفرنسيون من معارج الرقي والتقدم العلمي والمدنية حينذاك، ممّا أثار دهشة الجبرتي وهو من كبار علماء زمانه، فوقف مبهوتاً مندهشاً أمام ما لديهم من مختبرات وآلات، ومعاجم وموسوعات ومصوَّرات إلى لغتهم، فكانت هذه المشاهدة بمثابة جرس الإنذار المدوي في آذان الشرق؛ كي يهبّ من رقدته، ويستيقظ من غفوته، ويأخذ بأسباب العلم والحضارة، وإلّا فإنَّ مصيره المحتوم سيكون كارثياً، ويُحكم عليه بالفناء والانقراض، أو ينتهي أمره إلى الذلّ والاستعباد الذي مارسه الفرنسيون فعلياً في غزوهم.

ويبدو أنّ هذا المعهد العلمي الفرنسي كان محطَّ إعجاب من محمَّد كرد علي الذي ينظر دائماً إلى الجانب المشرق لا المعتم من التاريخ، وبيّن أنّه عندما جاء نابليون، كان المشرق العربي في حالة من الانحطاط، وكان ضمن حملته العلماء في كلّ العلوم والفنون، وأنشأ لهم مجمعاً علمياً في القاهرة، هادفاً منه إلى تقدُّم العلوم والفنون، وقسَّم مجمعه إلى أربعة أقسام تختص بدراسة: الرياضة، والطبيعيات، والاقتصاد السياسي، والآداب والفنون، وكلّ قسم فيه اثنا عشر عضواً.

---

(١) الجبرتي، عبد الرَّحمن بن حسن (ت١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م): **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**. تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج٥، ص٥٦-٦١.

ويشيد كرد بالجهود العلمية التي بذلها علماء المجمع في البحث، وفي تأسيس مكتبتهم، وفي جلب مطبعتهم، وفي كشفهم عن الآثار، يقول كرد: «ولئن أخفقتْ حملةُ نابليون، فإنَّ العمل العلميَّ الذي قام به رجال البعثة العلمية، من بحث وفحص وتصوير... أبقى إلى اليوم أثراً علميًا فاخراً باهراً، تطأطئ أمامه الرؤوس إجلالاً وإكباراً»[1]..

وبناءً على ما تقدم، فإنّ مجمع نابليون كان محطَّ إعجاب كرد وتقديره، وكأنّه يتمنّى إقامة مجمع دمشقي ينهض باللغة، ويؤسّس المكتبات، ويكشف عن كنوز المخطوطات، وينقِّب عن الآثار والعاديات، ويصونها في المتاحف من أيدي الجهلة والعابثين، وهذا ما تحقَّق له في ما بعد أيام الدولة العربية.

(١) كرد علي، محمَّد: **الإسلام والحضارة العربية**، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١، ص٣٨٧؛ وانظر: أسكاورس، توفيق: «**معهد مصر العلمي ومجلس المعارف المصري**»، مجلة الهلال، ١٩١٣م، سنة ٢١، ص٥٧٩-٥٨٧.

المبحث الثالث

أصول فكرة المجمع عند كرد علي

يمكن ردّ أصول فكرة المجمع العلميّ عند كرد علي إلى الدعوات والمحاولات التالية:

أ- دعوات اللغويين في مصر والشام لإنشاء المجامع اللغوية.

لم يتوقَّف الاهتمام بإنشاء المجامع العلمية عند مجمع نابليون في مصر، الذي كان كرد علي معجباً بدوره في إيقاظ الأذهان إلى تقدم الغرب وتخلّف الشرق، بل جرت محاولات أخرى كثيرة لإقامة مجامع لغوية تخدم العربية، منها:

- **الجمعية المصرية**: تأسّست بمصر عام ١٨٤٠م، واقتصر أعضاؤها على الاشتغال بالمسائل اللغوية والآثارية[١].
- **الجمعية السورية (١٨٤٧-١٨٥٢م)**: وهي مجمع أسّسه المرسلون الأمريكان في بيروت برئاسة وليم طومسون، ويوحنا ورتبات، وكان من أعضائه ناصيف اليازجي، وبطرس البستاني، ونيف عددُ أعضاء هذه الجمعية على الخمسين عضواً، منهم العاملون ومنهم الشرفيون[٢].
- **جمعية المعارف**: أسّست بمصر سنة ١٨٦٨م، أسّسها محمَّد باشا عارف، وكان هدفها نشر الثقافة العربية، وأصدرت مطبعتها عدداً من أمَّات كتب التراث مثل: (تاج العروس)، و(البيان والتبيين)، و(أسد الغابة)[٣].

---

(١) انظر: إسكاورس، **معهد مصر العلمي**، ص٥٨٦.

(٢) انظر: المعلوف، عيسى إسكندر: «**المجامع العلمية في العالم**»، مجلة المجمع العلمي العربي، **١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م**، مجلد ١، ص ص١٠٤-١٠٥، الزواهرة، تيسير: **تاريخ الحياة الاجتماعية في لواء دمشق من ١٨٤٠-١٨٦٤م**: ط١، جامعة مؤتة، الأردن، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص١٦٧.

(٣) انظر: الدسوقي، عمر: **في الأدب الحديث**، ط٨، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م، ج١، ص٩٦.

• **المجمع العلمي الشرقي**: أنشئ في بيروت ١٨٨٢م، ولم يعمّر طويلاً[١]، وكان من أعضائه يعقوب صروف، وسليم البستاني، وإبراهيم اليازجي، وجرجي زيدان.

• **مجمع البكري**: نسبة لمحمَّد توفيق البكري، أنشئ بمصر سنة ١٨٩٢م، وكان البكري رئيساً له، ووضع المجمع طائفة من الألفاظ العربية، بدلاً من المسميات الأجنبية، مثل: معطف مكان (بالطو)، وبطاقة بدلاً من (كارت) وغيرها[٢].

• **مجمع لطفي السيد**: نسبة إلى أحمد لطفي السيد، أقيم سنة ١٩١٧م، وكان سليم البشري رئيساً له، ووضع بعضَ الألفاظ التي لم تدم في الاستعمال لغرابتها[٣].

وزيادة على هذه الجمعيات أو المجامع اللغوية، ومحاولاتها المخلصة لخدمة العربية، فإنّ جهود كبار اللغويين في خدمة العربية، يمكن أن تكون نبراساً وملهماً لكرد في تأسيس المجمع، وبخاصة **جهود إبراهيم اليازجي** (ت ١٩٠٦م) الذي كان كرد علي معجباً بحبّه للعربية، وتوافره على خدمتها في الصحافة والتأليف، يقول كرد: «ومن أبحاثه الممتعة: (أمالي لغوية)، (أغلاط العرب)، (أغلاط المولدين)، (اللغة العامية واللغة الفصحى)، (اللغة والعصر)، (أغلاط لسان العرب)، (المجاز)، (الشعر)، (التعريب)، (العلوم عند العرب)، إلى غير ذلك من المقالات والأبحاث الممتعة»[٤].

وأصدر اليازجي في السنوات الثماني الأخيرة من حياته مجلة (الضياء)، وهي المجلة الحافلة بالفوائد الأدبية واللغوية، ويصفها كرد بأنّها: «كانت من أمتع المجلات العربية، بجمال أسلوبها، وطلاوة عبارتها، وطرافة أبحاثها»[٥].

---

(١) المعلوف، «**المجامع العلمية في العالم**»، المرجع السابق، مجلد ١، ص١٠٥؛ وانظر: زيدان، جرجي: **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار الهلال، القاهرة، بلا تاريخ، ج٤، ص٧٢.

(٢) انظر: المعلوف، «**المجامع العلمية في العالم**»، المرجع السابق، مجلد ١، ص٣٠٩-٣١١.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، مجلد ١، ص٣١١-٣١٢.

(٤) كرد علي، محمَّد: «**إبراهيم اليازجي**»، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، المجلد ٢٨، ص٣-١٧.

(٥) كرد علي، محمَّد: «**إبراهيم اليازجي**»، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، المجلد ٢٨، ص٤.

ويبيّن كرد أنّ اليازجي كان مولعاً ببلاغة القرآن الكريم، وكان يألم ممّن يرتكبون الأغلاط اللغوية، و«كان أقصى أمانيه أن يعيد إلى اللغة بهجتها الأولى، ويردّ الناشئة من كتّاب العصر إلى النهج القويم من الاحتفاظ بقواعدها، وأصولها المقرّرة في أُمهات المعاجم، وكتب البلاغة المعروفة بصحة التعبير، وفصاحة الألفاظ، وألّا يعدل إلى المولد الدخيل، إلّا بعد طول البحث والتنقيب، وإجماع أهل العلم الواسع من المحقّقين، وبعد اليأس من الوقوع على الفصيح الأصيل»[1].

ويشير كرد إلى أنَّ اليازجي كان مهتماً بتعريب المصطلحات العلمية، ووضع ألفاظ عربية لمسمَّيات إفرنجية، وكان متألماً لكون العربية لا تفي بمطالب العلم في هذا العصر.

وكان كرد علي متصلاً باليازجي، ويبدو أنّ كرد علي قد استرشد بتوجيهاته وآرائه ودعوته، فقد سأله مرةً عن رأيه في اللغة العصرية، فردَّ اليازجي: «إنّي مغتبط بأنَّ اللغة علت بلهجتها، وقلّ فيها الابتذال الذي كان أول نهضتها، ويتخللها الآن من الفصيح ما لم يكن يعهد فيها في عصور الانحطاط»[2].

وممَّا لا شك فيه أنّ الجهود العظيمة التي بذلها اليازجي تجعله من أعظم المجمعيين – وإن كان يعمل بلا مجمع – وكانت جهوده طريقاً معبَّدة واسعة، اختطّها هذا اللغوي الكبير لمن جاء بعده من المجمعيين، وعلى رأسهم كرد علي الذي قدَّر مجهود اليازجي في خدمة اللسان العربي، وربّما كانت مقالة كرد الموسومة (إبراهيم اليازجي) من أواخر ما كتب في حياته، إذ كتبها وهو شيخ في الثمانينيات من عمره، فأراد أن يذكِّر الأجيال بفضل اليازجي على المجامع، وأنّه قام بعملها، وحمل دعوتها قبل أن تقوم رسمياً.

---

(١) **المرجع السابق**، المجلد ٢٨، ص٧.

(٢) **المرجع السابق**، المجلد ٢٨، ص٧-٨.

واللغوي الثاني الذي كان له دور كبير في النهضة اللغوية العربية في القرن التاسع عشر، هو أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٧م) الأديب، اللغوي، الرحَّالة، الترجمان، صاحب جريدة (الجوائب) التي صدرت في الأستانة ثلاثة وعشرين عامـًا، وألَّف في اللغة (الجاسوس على القاموس)، و(سرّ الليال في القلب والإبـدال)، وغيرهما من الكتب، وبخاصة ما كتبه في رحلاته إلى أوروبا (كشف المخبأ عن فنون أوروبا أو الواسطة في أحوال مالطة)، وغيرها من طرائف المؤلفات[١].

وقد تصدَّى الشدياق في كتاباته لقضية المصطلحات والألفاظ الجديدة التي لا عهد للغة العرب بها؛ لأنَّها استُحدثت في عصرنا مع تقدُّم الفنون والصناعات والعلوم الحديثة، ويرى الشدياق أنّ الشَّين يقع عليها «الآن في أن نستعير هذه الأسماء من اللغات، مع قدرتنا على صوغها في لغتنا، على أنّ أكثر هذه الأسماء هو من قبيل اسم المكان أو الآلة، وصوغ اسم المكان والآلة في العربية مطّرد من كلّ فعل ثلاثي...»[٢].

ويأخذ الشدياق على العرب المستعربين سماحهم للألفاظ الأعجمية بالتسرُّب إلى لغتهم، فما الحاجة إلى أن نقول بيمارستان، ولا نقول مستشفى، وأن نقول أسطرلاب، ولا نقول مِنظر. وتدفع الشدياق حميته على صفاء العربية، وغيرته على نقائها من ألفاظ العجمة، إلى القول: «إنّ العرب المستعربين بخّسوا اللغة حقّها، فإنّهم عدلوا عنها إلى اللغات العجمية، من دون سبب موجب... فلو نشأ في القرن الأول من الإسلام جمعية أدبية، كما ترى الآن في ممالك أوروبا، ممّا يعرف عندهم بلفظة (أكاديمي)، لما دخلت ألفاظ العجم في لغتنا»[٣].

---

(١) انظر: الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ج١، ص١٩٣.

(٢) الشدياق، أحمد فارس (ت١٨٨٧م): **كنز الرغائب في منتخبات الجوائب**، ط١، مطبعة الجوائب، الأستانة، ١٨٧٧م، ج١، ص٢٠٢.

(٣) الشدياق، أحمد فارس (ت١٨٨٧م): **كنز الرغائب في منتخبات الجوائب**، ط١، مطبعة الجوائب، الأستانة، ١٨٧٧م، ج١، ص٢٠٢.

ولا يعني كلام الشدياق أنّه يرفض الدخيل الذي يوجد في كلّ اللغات، بل يقبل به في العربية عند الاضطرار، يقول: «إنَّ هذا الدخيل، إنما يُغضى عنه، إذا لم يوجد في أصل اللغة ما يرادفه، أو لم يمكن صوغ مثله»[١].

ويرى الشدياق أنّ باب (النحت) في العربية يُمكننا من صوغ ألفاظ عربية، عوضاً عن الأعجمية، ويصف النحت بأنّه: «طريقة حسنة تكثر بها مواد اللغة، وتتسع أساليبها، ولها نظير في اللغة الإفرنجية، وهي التي كثرت مواد لغتهم، وأحوجتنا إلى الأخذ منها، فقولنا: الجغرافيا، والفلسفة، والجيولوجيا. كلّها ألفاظ يونانية منحوتة أو مركبة»[٢].

ويُبرز لنا قيمة **الاشتقاق**، وأهميته في اللغة العربية، مقارناً بين العربية وغيرها من اللغات التي أحكمها، وترجم إليها، يقول: «وأمّا الاشتقاق، وسائر الأساليب الأخرى، فليس لسائر اللغات كما للعربية، فمن يُنظِّرهُنَّ بها فقد جاء نكراً، فهي بذلك أفضلهنَّ، وأشرفهنَّ، وأكملهنَّ، فهنَّ الفقيرات وهي الغنية، وهنَّ المتشاكسات وهي السوية،كيف لا وفي غيرها ترى اسم الفاعل من مصدر، واسم المفعول من آخر!»[٣].

ويُنحي الشدياق باللائمة على العرب المعاصرين الذين قصّروا في إثراء لغتهم، ولم يضعوا أسماء خاصة للمصنوعات الحديثة، فيقول: «ولو أنَّ العرب الأولين شاهدوا البواخر، وسكك الحديد، وأسلاك التلغراف، والغاز، والبوسطة، ونحو ذلك ممّا اخترعه الإفرنج؛ لوضعوا له أسماء خاصّة ناصّة، فهم على هذا غير ملومين، وإنّما اللوم علينا حالة كوننا قد ورثنا لغتهم، وشاهدنا هذه الأمور بأعيننا، ولم نتنبّه لوضع أسماء لها على النسق الذي ألفته العرب، وهو الإيجاز والاختصار»[٤].

---

(١) **المصدر السابق**، ج١، ص٢٠٣.

(٢) **المصدر السابق**، ج١، ص٢٠٤.

(٣) المطوي، محمَّد الهادي: **أحمد فارس الشدياق (حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة)**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩م، ق١، ص٢٦٠، نقلاً عن كتاب الشدياق «سر الليال في القلب والإبدال».

(٤) الشدياق، **كنز الرغائب**، ج١، ص٢٠٥.

وبناءً على ما تقدَّم إيراده من هذه الآراء والشذرات المضيئة في كتب الشدياق، فإنَّ كرد علي كان مُلـمّـاً بها، ومطلعاً عليها، ومعجباً بها؛ لقوة حجة الشدياق، وحماسته في الدفاع عن لغة العرب، وإشادته بمحاسنها من جانب، كما أنّ الشدياق لفت الأنظار إلى تقصير أجدادنا في حياطة لغتهم من المسميات الأعجمية التي تسلّلت إليها، ويردّ ذلك إلى عدم وجود مجمع أو أكاديمية تخدم لغتهم، ويلفت النظر إلى القصور نفسه في عصرنا، فكأنّه يقول لأبناء العربية في عصره: إذا فات أجدادنا تأسيس المجامع، يجب ألّا يفوتنا، وإن قصَّروا في جانب، فإنَّه يجب علينا أن نسدّ الثلمة فيه، ولا نبقى متقاعسين.

فالشدياق واليازجي، كانا من أكابر العلماء الذين خدموا العربية في القرن التاسع عشر، وحرصا أشدَّ الحرص على صدّ تيار العجمة الزاحف عليها، وعملا على ترقية أساليبها، وتنمية ثروتها اللفظية بالترجمة والتعريب، والنحت والاشتقاق، ولا ريب أنّهما كانا أنموذجاً رفيعاً يحتذى، وقدوة صالحة لكرد علي في العلم بالعربية والعمل لرقيها، وإعادتها إلى سابق مجدها وعزّها وقوّتها.

ب- اشتغال كرد علي بالصحافة في مصر وتعرّفه على مفكّريها.

لا ريبَ أنَّ لمصر مكانة خاصة عند كرد علي؛ وذلك لسبقها بلدان الشرق في التمدُّن والحضارة، وفي سرعة اقتباسها لمدنية الغرب منذ عصر محمَّد علي باشا، عندما تخلّصت من حكم العثمانيين في مطلع القرن التاسع عشر، ولموقع مصر بين القارات أصبحت مركزاً مواتياً لالتقاء المدنيات والحضارات، والأمم والشعوب، فقد جمعت مصر في أرضها الشاميين والفرنسيين، واليونان والأتراك، والأرمن والأرناؤوط وغيرهم.

كانت زيارة كرد علي الأولى لمصر في سنة ١٩٠١م، عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره، كان هدف زيارته مشاهدة آثارها، والتعرُّف على رجالها، ثمَّ

الترحال بعد ذلك لزيارة باريس، لكنَّ الأستاذ رشيد رضا صاحب (المنار)، قدَّمه إلى نقولا أفندي شحادة، صاحب جريدة (الرائد المصري)، فعرض على كرد العمل في جريدته محرّراً، فقبل العمل واستمر به عشرة أشهر، حتى دهم وباء الطاعون مصر، ففرَّ منه إلى الشام تاركـًا العمل في جريدة (الرائد المصري).

عاد كرد إلى مصر للمرة الثانية في عام ١٩٠٥م، وبقي فيها حتى سنة ١٩٠٨م، وقد تميَّزت هذه الرحلة بأمرين مهمّين:

الأول: عمله في جريدة (المؤيد)

والثاني: إصداره مجلته (المقتبس)

فقد كان كرد عازمـًا على إصدار مجلته (المقتبس)، وهي مجلة علمية أدبية، وأصدر عددها الأول بعد عودته إليها بقليل، وتهيَّأت له فرصةٌ للعمل محرِّراً في جريدة (الظاهر)، التي أصبح رئيسـًا لتحريرها بعد خمسة عشر يومـًا من دخولها، عندما أثبت براعته في الترجمة عن التركية والفرنسية، وفي كتابة المقالات الأدبية والاجتماعية[(١)]، ثم عجزت جريدة (الظاهر) عن دفع رواتب العاملين بها، فغادرها كرد والتحق بالعمل محرراً في جريدة (المؤيد)، التي يرأس تحريرها الشيخ علي يوسف، وكانت جريدتُه «لسانَ حال العالم الإسلامي» آنذاك، كما يقول كرد علي الذي يصف عمله في (المؤيد)، بقوله: «وكان تحريري فيه الدعامة الثانية في شهرتي بعد (المقتطف)[(٢)]، علمـًا بأنّ كرد كان وهو في الشام يرسل مقالاته إلى مجلة (المقتطف) فتنشر فيها، ممّا وسَّع دائرة المعرفة به في مصر والشام وغيرها.

ويبدو أنّ كرد علي قد تعلَّم في المؤيد دروسـًا في سياسة التعامل مع المحتلين الإنجليز، يقول: «كان الشيخ علي يوسف في عهده من أعظم الكتَّاب الذين قلبوا

(١) انظر: كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٥٥-٥٧.
(٢) انظر: كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٥٩.

المسألة المصرية على وجوهها كلّ مقلب، وكان ذا بديهة مؤاتية، وعارضة قوية، شهدته يردُّ على لورد (كرومر) عميد إنكلترا في وادي النيل، ردّه المشهور[١]. وقام كرد علي بترجمة النصوص اللازمة للشيخ علي يوسف من اللغة الفرنسية، لدحر مزاعم (كرومر) ومفترياته، واتهاماته للإسلام بعدم التسامح، وتوليد الكراهية، واحتقار غير المسلمين؛ وسبب ذلك عند كرومر، أنّ عدداً كبيراً من أولئك الذين اعتنقوا الإسلام، هم أشباه متوحشين غير متحضِّرين[٢].

ويصف (كرومر) الحرف العربي بأنّه معقد، بينما الحروف الأوروبية بسيطة، ويهاجم من يدعون إلى تدريس العلوم باللغة العربية[٣].

ويبيِّن لنا كرد علي بأنّ جريدة (المؤيد)، كانت تخوض حرباً ضروساً مع المستشرق الإنجليزي دنلوب، مستشار نظارة المعارف المصرية، وأنّه (كرد) قد شارك في تلك المعركة، يقول: «وانتقدت عليه ما كان يُرمى إليه من تأخير الدروس العربية، فأدرك رجال ذلك الدور وناشئته، ما يحمل قلبي من حبّ مصر، وكنت أوقّع مقالاتي، فعرفوني وجازوني على خدمة بلادهم بصداقتهم وثقتهم، فاغتبطت ونشطت، وأصبحتُ في مصر كأنّها بلدي»[٤].

وممّا هو جدير بالذكر، أنّ (دنلوب) مستشار نظارة المعارف، كان يعمل بكلّ ما أوتي من صلاحيات في المعارف على تعميم اللغة الإنجليزية في مراحل التعليم المختلفة، في الوقت الذي يعمل فيه على تهميش العربية، ويحاول اقتلاعها من أرضها لتصبح الإنجليزية هي لغة التعليم الرسمية في البلاد، ولا يستثني من ذلك إلا المعاهد الدينية، وكانت جريدة (المؤيد) تستنكر ذلك أشدَّ الاستنكار؛ لأنَّ عمل (كرومر)

---

(١) **المصدر السابق**، ج١، ص٦٠.

(٢) كرومر، اللورد: **مصر الحديثة**. ترجمة: صبري محمَّد حسن، ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م، ج٢، ص١٧٧.

(٣) انظر: **المصدر السابق**، ج٢، ص٦٠، ٢٠٥، ٦٣٣.

(٤) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٥٩-٦٠.

وزبانيته سيؤدي إلى موت اللغة العربية في المدارس، ومعاهد العلم. وأكَّدت (المؤيد) في دعوتها ضرورة الحفاظ على اللغة العربية في التعلُّم؛ لأنّها هي الرابط بين أفراد الأمة، وأية أمة تفقد لغتها يضيع استقلالها، ودعت (المؤيد) إلى أن تكون العربية هي لغة التعليم في جميع مراحله في الديار المصرية.

وتابعت (المؤيد) حملاتها على (دنلوب) الذي وصفته بأنه غير كفءٍ لأقلّ المناصب العلمية، وهو وصمة عار في تاريخ الاحتلال البريطاني لمصر؛ لأنَّه استكثر من المعلمين الإنجليز الذين لا يستحقّ أكثرهم أن يكون معلمـًا، ومنحهم امتيازات واسعة، بينما أذلّ المعلمين المصريين واستعبدهم، ولذلك فإنّها ناصرت ناظر المعارف الجديد سعد زغلول، وشدّت أزره في صراعه مع دنلوب[1].

وبينما كانت (المؤيد) تتصدَّى للمحتلين وأذنابهم، وتدافع عن القضايا الوطنية، أطلق عليها كرومر أقلامه المأجورة في جريدة (المقطّم) المشبوهة، التي أصدرها في سنة ١٨٨٩م فارس نمر، ويعقوب صروف، وشاهين مكاريوس، وكلّهم من الشوام الذين تخرَّجوا من الجامعة الأمريكية في بيروت، وكانت لسان حال الاستعمار الإنجليزي، وترى (المقطّم) أنّ الاحتلال خيرٌ من الاستقلال، وترى في وجود المستعمر تقدّمـًا وإصلاحـًا للبلاد.

وقد شنَّت (المقطّم) وغيرها من الصحف الأجنبية التي تحطب بحبل الإنجليزي، حملات شديدة الضراوة على (المؤيد) ورئيس تحريرها الشيخ علي يوسف، متَّهمةً إياه بالتعصُّب الديني، وإثارة الفتنة بين الناس، واستعانت على ذلك بالقناصل الأوروبيين، والصحافة الأجنبية لإسقاط (المؤيد)، التي أصبحت في نظرهم مُهدِّدةً للأمن، وخطراً على السَّلام، قاصدين من ذلك إخراس كلّ صوت وطني مخلص، ينادي بحرية الوطن، وخروج المستعمر، وتأييد الحاكم الشرعي الذي يناصر القضية الوطنية.

---

(١) انظر: صالح، سليمان: **الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد**، ط١، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٧م، ج٢، ص١١٠-١١٩.

يقول السير الفريد بلنت في مذكراته عن الاحتلال البريطاني لمصر «إنّ وزارتي الحربية والداخلية، دفعتا لجريدة المقطَّم مبلغاً عظيماً من المال؛ للدفاع عن تصرفات الإنجليز، كما استخدم كرومر مصادر الأخبار كسلاح يواجه به الصحافة الوطنية»[1].

وتبيّنتْ لكرد خطورة الدور الذي يقوم به بعض الشاميين في مؤازرة الاحتلال البريطاني، من خلال عمله محرراً في (المؤيد)، يقول: «وقد ادَّعى عميد الاحتلال لورد كرومر في بعض كتبه في مصر، أنّ الجالية السورية فيها أرقى من جميع الجاليات بتهذيبها وترتيبها، وأظنّه تشيَّع لهم بعض التشيُّع، وقصد بهذا الثناء مكافأتهم على حُسن خدمتهم لدولته»[2].

وكشف كرد عن خطورة الدور الذي تقوم به الجاليات الشامية التي اغتنت بمصر، وملكت عشر ثروتها، وادَّعى بعضهم أنّهم علّموا المصريين، وأدخلوا العلم والنور إلى بلادهم. وكرد يرفض ذلك، ويبيّن سبق المصريين إلى الصحافة والعلم، ويكشف لنا حقيقة هؤلاء القوم الذين جعلوا من أنفسهم طبقة متميزة على المصريين، منتهزين سياسة الاستعمار الأوروبي، ومستغلّين خدمتهم له، وبيّن أنّ المنافسة بين الكاثوليك والبروتستنت أدّت إلى نشر المدارس والمعاهد العلمية في جبل لبنان، فتعلّم أهله قبل غيرهم من الشاميين، وهاجر بعضهم لمصر، وأصبح ذراعاً من أذرع الاستعمار البريطاني.

وفوق ذلك، فإنّ عمل كرد علي في الصحافة بمصر، مكَّنه من الاتصال بالمصلح الكبير الشيخ محمَّد عبده، والوقوف على جوهر حركته الإصلاحية، وأشار محمَّد كرد علي إلى أنّ تاريخ اتصاله بالشيخ محمَّد عبده يعود إلى رحلته الأولى إلى مصر في سنة ١٩٠١م، حينما مكث فيها عشرة أشهر قبل عودته إلى دمشق، يقول: «ومن أعظم ما استفدته من رحلتي هذه الأخذ عن عالم الإسلام والإصلاح الشيخ محمَّد عبده، وحضور مجالسه الخاصة والعامة»[3].

---

(١) صالح، **الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد**، ج١، ص١٠٧.
(٢) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٤٧.
(٣) كرد علي، **خطط الشام**، ج٦، ص٣٣٥.

وكان كرد شديد الإعجاب، كبير التأثُّر بمنهج شيخه ودعوته الإصلاحية، ويقول عنه: «أستاذي الشيخ محمَّد عبده». وكان صاحب الفضل في لقاء كرد بشيخه عبده وبغيره من أدباء مصر وعلمائها: رفيق بك العظم، والسيد محمَّد رشيد رضا، وكلاهما شامي، وهما صديقان لكرد علي الذي ابتهج بتعرّفه على علماء مصر وأدبائها، ويصف ذلك قائلاً: «فقرّت العينُ منهم بنفرٍ لم أشهد مثلهم في أرض الشام، ولاسيما جماعة الشيخ محمَّد عبده، وجماعة دار العلوم، وهم أيضـاً من أصدقاء محمَّد عبده، يفتخرون بالنسبة إليه»[1]، ويقول كرد أيضـاً: «وأنا كنت يومئذٍ أعشق وأفتخر بالانتساب إليه»[2].

ويبدو أنّ دعوة الشيخ عبده إلى إنشاء المجامع التي تُعنى بوضع المعاجم اللغوية والعلمية، قد أثَّرت في محمَّد كرد علي، إذ كان عبده: «يرى أنَّ اللغة العربية في حاجة إلى إصلاح آخر، فوق إصلاح التعليم لفنونها وآدابها، وإتقان الكتابة والخطابة فيها، وهو ما فعله الإفرنسيس، وغيرهم من شعوب العالم في أوروبة من تأليف المجامع لوضع المعاجم اللغوية، وتاريخ تطوُّر اللغة، وما دخل فيها من اصطلاح ومعرّب وغيره، والمعاجم العلمية، وفلسفة البيان والانتقاد، وغير ذلك»[3].

فالعربية عند عبده تحتاج إلى إصلاحين: **الأول** إصلاح التعليم والكتابة والخطابة، **والثاني** إقامة مجمع لها يهتمّ بقضايا التعريب وصناعة المعاجم.

لكنّ الإصلاح الثاني، وهو تأسيس المجمع اللغوي، يحتاج إلى زمن، كما يروي محمَّد رشيد رضا عن أستاذه عبده: «إنَّ هذا النوع من الإصلاح لا يُرجى لنا بلوغ شأو الفرنسيس فيه، إلّا باشتغال جدّي مدة خمسين سنة»[4].

---

(١) **المصدر السابق**، ج١، ص٢٥٣.

(٢) **المصدر السابق**، ج١، ص٢٥٠.

(٣) رضا، محمَّد رشيد: **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمَّد عبده**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م، ج١، ص٩٢٦.

(٤) رضا، **المصدر السابق**، ج١، ص٩٢٦.

قلت: لو أنّ القدر أمهل الإمام محمَّد عبده لرأى طموحه وتطلُّعه إلى إنشاء المجمع، قد تحقّق بعد عشرين عاماً لا خمسين، ولعرف أنّ واحداً من نبهاء طلابه، بل نوابغهم قد حمله مشعل فكرته بإنشاء المجمع، وغرسها في أرض الشام في دمشق عاصمة بني أمية العظام، وحامل هذا المشعل الوقَّاد الوهَّاج هو محمَّد كرد علي، الذي وصف أول اجتماع له بالأستاذ عبده بقوله: «ولقيت من الشيخ محمَّد عبده أول تشريفي به عطفاً استعبدني به»[1]، و«المعارف في أهل النهى ذمم» كما يقول المتنبي.

وبناءً على ما تقدَّم من عمل كرد في الصحافة بمصر، وتتلمذه على محمَّد عبده نابغة عصره، والمصلح العظيم لحال الأمة في الدين والتعليم والمعارف، واللغة والسياسة والاجتماع، فإنّه يمكن القول باطمئنان: إنّ فكرة المجمع وأهدافه، وما يحتاج إليه من الوسائل والأدوات، قد بذرت في ذهن كرد علي في مصر، وأخذت تنمو وتكبر كلّ يوم، ولا سيما أنّه أفاد من أستاذه الأكبر عبده قاعدة أنَّ العلم يجب أن يكون مقروناً بالعمل والتطبيق، وأنّ الوصول إلى الأهداف العظيمة لا يكون إلا بالعمل الدؤوب، وأنّ نجاح المشاريع الإصلاحية التي تنهض بها الأمة، لا بدَّ له من راعٍ وداعم، وناصر ومعين من الدول والحكومات، وقد رأى كرد ذلك عياناً في أعمال عَبده، وجهود تلاميذه الذين خلفوه في حمل دعوته الإصلاحية.

جـ- رحلات كرد إلى بلاد الغرب واطلاعه على مجامعها ومعاهدها وجامعاتها.

لقد رأى سامي الدَّهَّان أنَّ زيارة كرد علي لفرنسا سنة ١٩٠٩م، وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، كانت نواة لتفكيره بإنشاء المجمع، عندما قال في كتابه (غرائب الغرب): «وحدّثتني النفس ببلادنا الشرقية، وقلتُ: هل يكتب لنا المستقبل تأليف مثل هذه المجامع، فنعمل فرادى ومجتمعين كالغربيين، أو نظلُّ كما نحن لا نعمل فرادى ولا مجتمعين، ونكتفي بالتفاخر بأجدادنا، نجعله عدّتنا في شدّتنا، ومثالنا في نهضتنا، ونحن عن اقتصاص آثارهم غافلون»[2].

(١) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٢٥٢.

(٢) كرد علي، محمَّد: **غرائب الغرب**، ط٢، المكتبة الأهلية بمصر، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، ص١٠٦.

وعَقَّب الدَّهَّان على نص كرد السابق الذي لم يقتبسه كاملاً بالقول: «ونحن نرى في هذه الجملة نواةً لتفكيره بإنشاء المجمع العلمي العربي بدمشق، فقد صرَّح في تقاريره بعد عشر سنوات، أنَّ المجمع في دمشق وُضِعَ على غرار المجمع في باريس»[١].

وتابع جمال الدِّين الألوسي الدَّهَّان على رأيه السابق قائلاً: «وكان من أماني محمَّد كرد علي قيام المجمع العلمي، الذي نبتت فكرته في نفسه سنة ١٩٠٩م، يوم زار فرنسة، ورأى ما يقوم به مجمعها من الخدمات للعلم والثقافة»[٢].

قلت: مع احترامي وتقديري لرأي الدَّهَّان والألوسي، وهما من العلماء المحقِّقين، ومن أعضاء المجامع العلمية، إلا إنّني أودُّ طرح الملاحظات التالية بين يدي رأيهما في أولية، أو فكرة، أو نواة نشأة المجمع لدى كرد علي:

أولاً: إنّ قوله السابق جاء في إطار التمنِّيات والموازنات، والمقايسات والمقارنات، بين الشرقي والغربي، وبين حضارة الغرب وما عليه الشرق، وقد قال كرد في مقدِّمة رحلته الأولى لبلاد الغرب سنة ١٩٠٩م: «هذه فصول ومقالات، بل آهات وتأوُّهات، كتبتها في وصف معالم الغرب»[٣]. فبعد أن يصف كرد كلّيّة باريس، يقول: «فحيّا الله يومـًا تقام لكلّ قطر من أقطار البلاد العربية، كلّيّة مثل هذه الكلية، تدرِّس أبناءها علوم البشر بلغتهم، وتُكوِّنُ مجتمعنا كما تكوّنه كليات الممالك في الغرب»[٤].

ويتحدّث كرد عن مكتبة الأمة أو المكتبة الوطنية بباريس، التي حوت ثلاثة ملايين كتاب مطبوع، ومئة ألف كتاب مخطوط، ويوازن بينها وبين مكتبات الشرق، فيقول: «لا تعدُّ المكتبة الخديوية في مصر، ومكاتب الأستانة... ومكاتب دمشق وبيروت،

(١) الدَّهَّان، سامي: **محمَّد كرد علي (حياته وآثاره)**، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ص٣٠.
(٢) الألوسي، **محمَّد كرد علي**، ص١٢٧.
(٣) كرد علي، **غرائب الغرب: (مقدمة الكتاب)**، ص٣.
(٤) **المصدر السابق**، ص٩٥.

وحلب وبغداد، ومكة والمدينة... إلا جزءاً صغيراً من ذاك الجسم الكبير...»[1].

ويقول أيضـًا: «أليس من العار أن تكون بلادنا التي لا تعيش إلا بالزراعة، ولا تحيا إلا بالزراعة، خاليةً من العارفين بها على الأصول الحديثة»[2].

ويكاد اليأس أن يستبدَّ به من نهضة الشرق الذي ماتت في نفوس أهله الهمم، وتقاعس أهله عن النهضة، فيقول: «ولولا أنّ اليأس من أعظم الأمراض في الأفراد والجماعات، لطاوعت النفس، وقنطت من هذا الشرق لمجاراة الغرب»[3].

ولكنَّ كرد يُغلّب الأمل على اليأس، والعمل على القنوط، والهمة على التقاعس، والنهضة على الانحطاط، ويأمل أن تكون نهضة أمّته خلال السنوات القابلة؛ لأنَّها بدأت طريق العمل على بطئه، ويضرب مثلاً على ذلك الأمة اليابانية التي تحضّرت بسرعة، واستطاعت خلال ثلاثة عقود مجاراة أكبر الدول الغربية التي احتاجت إلى ثلاثة قرون حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليابان من الرقيّ والمدنية[4].

ثانيـًا: وبناءً على ما قدم أعلاه، فإنَّ القول بأنّ زيارة كرد لمجمع باريس كانت هي «نواة لتفكيره بإنشاء المجمع العلمي العربي بدمشق»، لا يُقبل على عواهنه، ولا يُسلَّم به على إطلاقه؛ لأنَّ إعجاب كرد بمجمع باريس، وتمنِّيه أن يكون للعرب مجمع مثله، جاء في إطار الموازنات والمقايسات والمقابلات بين الغربيين، الذين يعتمدون على العلم، ويقرنون به العمل، ممّا أدّى إلى رقيهم وتقدّمهم، والشرقيين الذين يفتخرون بالآباء والأجداد، ويتقاعسون عن العمل، والأجدر بالشرقيين متابعة آثار أجدادهم، والسير على خطاهم، واقتصاص آثارهم في العلم المقرون بالعمل؛ لأنّهم بنوا حضارة، ووضعوا نهضة، وقادوا الأمم في معارج الحضارة والرقي، عندما كانوا يجدُّون ويعملون، ويتفاخرون بالعمل، ويرفعون من قيمة

(١) **المصدر السابق**، ص١٠١.
(٢) كرد علي، **غرائب الغرب**: (**مقدمة الكتاب**)، ص١٦٢.
(٣) **المصدر السابق**، ص١٥٥.
(٤) **المصدر السابق** ، ص١٥٦.

العقل، فكانوا عصاميين سوّدتهم نفوسهم، بينما أبناؤهم يَتَّكلون على سيرة الآباء، ولا يتّبعون منهجهم، فقصّرت هممهم عن همم آبائهم وأجدادهم صنَّاع الحضارة وسادة العالم لقرون طويلة.

ثالثًا: إنّ دعوات اللغويين والأدباء والمفكرين العرب لإنشاء المجمع اللغوي، منذ منتصف القرن التاسع عشر، كانت على قدم وساق في مصر وفي لبنان، وأبرز من دعا إلى ذلك في بلاد الشام هو أحمد فارس الشدياق، وإبراهيم اليازجي، والجمعية السورية، والمجمع العلمي الشرقي، وفي مصر مجمع البكري، ومجمع لطفي السيد، وغير ذلك مما سبق الحديث عنه.

وفوق ذلك، فإنَّ نادي دار العلوم في القاهرة برئاسة حفني ناصف، بحث في مسألة تعريب الألفاظ الأعجمية المعاصرة، وعقد ثلاث جلسات لدرس هذه القضية، وفي الجلسة الثالثة –التي دامت أربع ساعات، وذلك في مارس/ آذار سنة١٩٠٨م– خرج النادي بالقرار التالي: «بعد سماع ما قاله جميع الخطباء في موضوع تسمية المسمَّيات الحديثة، قرّر نادي دار العلوم، أن يكون العمل على النحو الآتي: يُبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسمَّيات الحديثة، بأيِّ طريقٍ من الطرق الجائزة لغة، فإذا لم يتيسَّر ذلك بعد البحث الشديد، يُستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله، ووضعه على مناهج اللغة العربية، ويُستعمل في اللغة الفصحى، بعد أن يعتمده المجمع اللغوي الذي سَيُؤلَّف لهذا الغرض»[١].

وفي السنة ذاتها، دعا محمود الحضري المدرِّس بمدرسة القضاء الشرعي، إلى تأسيس مجمع يناط به أمر التعريب، ويكون له سجل تُقيَّد فيه الكلمات المعرَّبة بإزاء مسمَّياتها، إلى غير ذلك من الآراء[٢].

---

(١) **مجلة المقتطف**: «باب الأخبار العلمية»، مارس، المجلد الثالث والثلاثون، ١٩٠٨م، ص٢٦٧.

(٢) انظر: الحصري، محمود: «**تعريب الأسماء الأعجمية**»، مجلة المقتطف، آذار، المجلد الثالث والثلاثون، ١٩٠٨م، ص٢٢٥.

وبناءً على ما تقدَّم، فإنّ فكرة إنشاء مجمع لغوي عربي غرست بذورها الأولى في فكر كرد علي في الشام ومصر، وما كان فيها من حراك لغوي، ودعوات لإنشاء المجامع، وليس ما رآه في مجمع باريس الذي ذكره في معرض آهاته وتأوُّهاته التي بثّها كتابه (غرائب الغرب)، ففكرة مجمع للغة العرب نبتت بذورها عنده في أرض العرب، في أرض مصر والشام، وهل تنبت إلّا في مغارسها النخل كما تقول العرب. وقد ذهب إلى هذا الرأي إبراهيم مدكور الرئيس الأسبق لمجمع اللغة العربية في القاهرة، في المهرجان الذي أقيم في دمشق سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م احتفاءً بذكرى مرور مئة عام على ولادة الأستاذ الرئيس محمَّد كرد علي.

يقول مدكور: «... وقضى في القاهرة بضع سنوات كانت مجال أخذ وعطاء، وإفادة واستفادة، وتعليق وتوجيه، وشاءت الصدف أن تُثار فيها حين ذاك فكرة إنشاء مجمع لغوي يطوِّر اللغة، ويحميها من المولد والدخيل، وسبق أن أُنشئ فيها بالفعل عام ١٨٩٢م ما كان يسمّى (مجمع البكري) الذي لم يعمَّر طويلاً، ولكنَّ الفكرة لم تمت، وبقيت حيّةً نشيطةً في العقد الأول من هذا القرن، ولعلَّ هذا كان إرهاصاً في العقد الثاني (لمجمع دار الكتب) في القاهرة، وللمجمع العلمي العربي بدمشق، وقد عاصر كرد علي هذا كلّه، وعاش فيه»[1].

لقد لَخَّصَ مدكور في كلمته السابقة الظروف الثقافية، والإرهاصات العلمية التي هيَّأت ومهَّدت لتأسيس المجمع الدمشقي، ولكنّ ذلك لا ينفي الإفادة من المجامع الغربية، والوقوف على تقاليدها العلمية، وبخاصة المجمع العلمي الفرنسي، الذي يُعَدُّ رائداً لكلّ المجامع الأوروبية.

---

(١) مدكور، إبراهيم: «**خطاب الدكتور إبراهيم مدكور رئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية**»، ضمن كتاب (محمَّد كرد علي مؤسس المجمع العلمي العربي)، ط١، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص١٥-١٦.

الفصل الثالث

أعمالُ المجمع وأبرزُ إنجازاته العلمية

المبحث الأول: صدور قرار تعيين رئيس المجمع وتسمية أعضائه.

المبحث الثاني: اختيار مقرّ المجمع، وترميمه، والدلالات التاريخية لمقرّه.

المبحث الثالث: أهداف المجمع وقراراته.

المبحث الرابع: مدى إنجاز المجمع لأهدافه.

المبحث الأول

صدور قرار تعيين رئيس المجمع

وتسمية أعضائه

مرَّ بنا سابقـًا أنّ السياسة التعليمية للحكومة العربية بدمشق، التي لم تُتمَّ عامها الثاني، كانت قائمةً على: نشر العلوم والمعارف الحديثة باللغة العربية، وإصلاح المدارس، وتعريب الدواوين، واقتلاع الألفاظ والمصطلحات التركية من دوائر الدولة، وتعليم العربية الفصحى للموظفين والمعلِّمين، وتدريبهم على فنّ الإنشاء باللغة العربية، وتصحيح الكتب المدرسية قبل نشرها بين الطلاب، إلى غير ذلك من الأعمال الدائرة في فلك خدمة اللغة العربية، وإصلاح لغة التعليم ومناهجه.

وقد أنشأت الحكومة العربية شعبة الترجمة والتأليف بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨م، وعُرِفَتْ باسم الشعبة الأولى، وعُهد إليها بأمر اللغة العربية في دواوين الدولة، ونهض بأمر هذه الشعبة مجموعة من كبار اللغويين والأدباء الشاميين، أمثال: أنيس سلوم، وسعيد الكرمي، وعيسى إسكندر المعلوف، وغيرهم، واستمرّت هذه الشعبة في أداء أعمالها حتى قُلبت إلى ديوان المعارف في الثاني عشر من شهر شباط عام ١٩١٩م، وعُهد لمحمَّد كرد علي برياسة هذا الديوان.

يقول كرد علي: «كان المجمع العلمي العربي يُعرف لأول مرة بالشعبة الأولى للترجمة والتأليف، التي أُسِّست على إثر تأليف الحكومة العربية في أواخر خريف سنة ١٩١٨م، ثم جُعلت هذه الشعبة ديوان معارف، وعيِّن هذا العاجز رئيسـًا لها في ١٢ شباط ١٩١٩م، موكولاً إليها النظر في أمور المعارف والتأليف، وتأسيس دار آثار، والعناية بالمكاتب، ولا سيما دار الكتب الظاهرية، ثم انقلب هذا الديوان بأعضائه الثمانية ورئيسه، إلى مجمع علمي في ٨ حزيران ١٩١٩م»[1].

(١) كرد علي: «**أعمال المجمع العلمي العربي**»، مجلة المجمع العلمي العربي، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، المجلد ٢، ص٣٥٤.

وقد أصدر علي رضا الركابي الذي كان حاكماً عسكرياً للحكومة العربية، قراراً بتحويل ديوان المعارف إلى مجمع علمي، بعد أن تُحوّل ميزانية المدارس في الديوان إلى مدير المعارف.

وجاء ذلك القرار في كتاب رسمي رقمه ٥٦٩٨/ ٢٣٤٧ وتاريخه ٨/ ٦/ ١٩، جاء فيه:

لحضرة رئيس ديوان المعارف المحترم

«دفعاً للالتباس الذي يمكن وقوعه، نسَّبنا أن يسمّى ديوانكم بالمجمع العلمي (آقاده مي)، وإنّا نرجو إفراز ميزانية المدارس على حِدة، وإرسالها إلى مدير المعارف العام والسلام عليكم»[1].

ويُعدُّ تاريخ هذا الكتاب ٨/ ٦/ ١٩١٩م، هو اليوم الأول من حياة المجمع العلمي العربي بدمشق، الذي كان أمنيةً للكثير من المصلحين والأدباء والمتنوِّرين من أبناء الأمة، منذ القرن التاسع عشر حتى العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي، ولم تذهب دعوات الغيارى من أبناء الأمة سدى، وها هو أملهم يتحقَّق عندما أعلنت الحكومة العربية ميلاد المجمع رسمياً.

وقام المجمع بقرار رسمي من الحكومة العربية؛ استجابةً لاقتراح من الفذّ العبقري محمَّد كرد علي، الذي سدَّد على هدفه في اللحظة المناسبة، وفي المكان المناسب، وفي السياق السياسي والتاريخي الملائم، فتحقّق له النجاح والفوز بتأسيس هذه المؤسسة الخالدة، التي أصبحت أنموذجاً وملهماً للبلاد العربية فيما بعد.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا، بعد أن أصبح المجمع العلمي مجمعاً رسمياً ترعاه الدولة، وصدر قراره: ما هي الأعمال والإجراءات الذي قام بها رئيس المجمع حتى يبرز لنا المجمع من حيّز القرار إلى حيِّز الفعل والعمل؟

---

(١) الفليح، **تاريخ المجمع العلمي العربي**، ص٧.

يتبيَّن لنا من المصادر الأولية المعاصرة لقيام المجمع، أنّ المجمع قد شرع باتخاذ الخطوات التالية:

أولاً: تسمية أعضاء مجلس المجمع، وهم ثمانية أعضاء، ويرأسهم محمَّد كرد علي، ولعلَّ من المناسب أن نقدّم تعريفـًا موجزاً بكلّ واحد منهم، من حيث دراسته وأعماله، واهتماماته العلمية، ومصنَّفاته، ومعرفته باللغات الأجنبية، وهم:

١- **أمين سويد**: هو محمَّد أمين سويد، ولد بدمشق ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٥م، درس بدمشق والأزهر، وهو من فقهاء دمشق، رحل إلى تركيا والحجاز، والهند واليمن، وبخارى ومصر، ودرَّس في الحرم المكِّيّ، وفي المدرسة الصلاحية في القدس، وفي معهد حقوق دمشق، له كتب مخطوطة في علوم القرآن، وعلم الأصول، توفي بدمشق سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م[١].

٢- **أنيس سلُّوم**: ولد في حمص سنة ١٨٦٢م، وتخرَّج من مدرسة عبية في لبنان، وكان شاعراً، وعمل مدرِّسـًا في قرى لبنان، تبحَّر في قواعد اللغة العربية وآدابها، ومارس علم اللاهوت، وتولى رعاية الكنيسة الإنجيلية بدمشق سنة ١٨٩٧م، نفاه جمال باشا السفاح في الحرب العالمية الأولى إلى ولاية سيواس، وعُهد إليه في أيام الحكومة العربية بالإشراف على لغة الدواوين، وتعليم الطلاب الفصيح من الأساليب، له كتب مختصرة في الصرف والنحو والبيان، أكثرها مفقود، وتوفي سنة ١٩٣١م[٢].

٣- **سعيد الكرمي** (١٢٦٧-١٣٥٣هـ/ ١٨٥١-١٩٣٥م): من مواليد مدينة طولكرم بفلسطين، درس في الأزهر، وتتلمذ على جمال الدين الأفغاني، شارك في الحركة العربية ضد الأتراك، وحكم عليه المجلس العرفي بعاليه سنة ١٩١٥م بالإعدام، إلّا أنّه سجن في قلعة دمشق لكبر سنّه، وعمل في الشعبة الأولى للترجمة والتأليف

(١) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٤٤.

(٢) أنيس سلوم، **موقع مجمع اللغة العربية بدمشق**.

في الحكومة العربية، ثم أصبح عضواً في مجلس المعارف الذي يرأسه كرد علي، وهو من علماء الأدب، وشاعر وخطيب، وكلّف برئاسة (المجمع العلمي في الشرق العربي) الذي أُسّس في الأردن سنة ١٩٢٣م، وهو أول مجمع علمي في الأردن، ولكنّه توقَّف حينها، وله كتاب (الإعلام بمعاني الأعلام)، توفي سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م[١]. وسوف أتحدث عن هذا المجمع في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

٤- **عيسى إسكندر المعلوف**: ولد في قرية (كفر عقاب) بلبنان سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، تعلَّم في قريته، وتعلّم اللغة الإنجليزية، درس اللغة العربية في لبنان ودمشق، ووضع عدة كتب مدرسية، اشتغل بالصحافة، وأصدر مجلة (الآثار) سنة ١٩١١م، كانت لديه مكتبة من المخطوطات، وله مؤلفات في الأدب والتاريخ واللغة، أغلبها ما زال مخطوطًا، من كتبه: (قصر آل العظم بدمشق)، و(خزائن الكتب العربية)، و(الدُّرّ الثمين في أعيان القرن العشرين)، وغيرها، توفي سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م[٢].

٥- **عبد القادر المغربي**: ولد في اللاذقية سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م، ونشأ في طرابلس، درس في دمشق والأستانة، واتصل بجمال الدين الأفغاني ومحمَّد عبده بمصر، كان صاحب نوادر في حديثه ومحاضراته ومقالاته، أصدر صحيفة (البرهان) في طرابلس، درَّس في الكلية الصلاحية في القدس، وشارك في تأسيس كلية دار الفنون في المدينة المنورة لتخريج طبقة من العلماء في الدّين وعلوم العصر، وعُيِّن محاضراً في اللغة العربية وآدابها في الجامعة السورية، له كتاب (عثرات اللسان)، و(الاشتقاق والتعريب)، و(مذكرات جمال الدين الأفغاني)، شغل منصب نائب رئيس المجمع العلمي بدمشق، وانتخب عضواً عاملاً في مجمعي اللغة العربية بمصر والعراق، توفي سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م[٣].

---

(١) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ص٩٨-٩٩؛ **الموسوعة الفلسطينية**، ج٢، ص٥٥٣، محافظة، علي: **تاريخ الأردن المعاصر**، ط٢، مركز الكتاب الأردني، عمان، ١٩٨٩م، ص ص١٤٧-١٤٨.

(٢) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص١٠١؛ **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، ١٩٥٦م، المجلد ٣١، ص٤٤٩.

(٣) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص١٠١.

٦- **مِتْري قَنْدَلَفت**: أو دِيْمتري بن إبراهيم، ولد بدمشق سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م، وتوفي في بيروت سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، أتقن اللغة الإنجليزية، وترجم عنها كتاباً في التبشير بعنوان (طرق الأمان)، وله كتاب (المدرسة والاجتماع)[١].

٧- **عزّ الدِّين آل علم الدِّين**: عز الدّين بن أمين شيخ السروجية الدمشقي، ويُعرف بـ(عز الدِّين علم الدين التنوخي)، ولد بدمشق سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، وتوفي بها سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، درس بمدرسة (الفرير) في يافا، ودَرسَ في الأزهر، ودرس الزراعة في فرنسا، قصد الحجاز، وانضمّ إلى الأمير فيصل بن الحسين، ترجم عن الفرنسية (مبادئ الفيزياء)، و(قلب الطفل)، وله مؤلفات في اللغة منها (بحر العوّام في ما أصاب به العوام)، و(الإبدال)، وانتخب نائباً لرئيس مجمع اللغة العربية بدمشق[٢].

٨- **طاهر الجزائري**: ولد بدمشق سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م، وتوفي فيها سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، من علماء اللغة والأدب، كان محسناً لأكثر اللغات الشرقية، كالعبرية والسريانية، والحبشية والتركية والفارسية، عُرِف بحبه الشديد لاقتناء المخطوطات العربية، وساعد في إنشاء (دار الكتب الظاهرية بدمشق)، و(المكتبة الخالدية في القدس)، أقام بمصر اثنتي عشرة سنة، وتعرَّف على علمائها وأدبائها، كأحمد تيمور باشا وغيره.

ويعدُّ الجزائري رائداً للنهضة العلمية في بلاد الشام، وهو أكثر الأساتذة تأثيراً في شخصية كرد علي العلمية، ومن مصنَّفاته المطبوعة: (شرح خطب ابن نباته)، وله كتاب في (الحساب)، وآخر في (المساحة)، وله (التقريب لأصول التعريب)، وله كتاب في (العروض)، وله (تفسير القرآن) في أربعة أجزاء لم يطبع بعد.

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ج٥، ص٢٧٣.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ج٤، ص٢٢٩ .

وقد خصَّه محمَّد كرد علي بالترجمة الأولى في كتابه (كنوز الأجداد)[1]، وترجم له في العدد الأول من مجلة المجمع، يقول: «ندر جداً أن جاء من المتأخرين من علماء المسلمين في عصور الانحطاط العلمي، رجل وعى في صدره من العلم ما وعاه الشيخ طاهر الجزائري.. له زهاء عشرين مصنفـاً... ولـمّا زاد مرضه في مصر... قفل راجعـاً إلى دمشق قبل وفاته بثلاثة أشهر، فعيِّن عضواً في المجمع العلمي، ومديراً لدار الكتب العربية التي أنشأها، وحضر الجلسات في الأوقات المعينة»[2].

والقارئ لسير هؤلاء الأعضاء الثمانية الذين شكّلوا حجر الأساس في قيام المجمع العلمي بدمشق، يمكنه أن يخرج بالملاحظات الآتية:

أولاً: إنَّهم عاشوا في نهاية العصر العثماني الذي شهد كره الاتحاديين للعرب واحتقارهم وإذلالهم، ومحاولة القضاء على لغتهم، حتى أصبح معلِّم العربية –في كثيرٍ من الحالات– تركيّـاً، ولذا فإنَّ هؤلاء الرجال أدركوا جسامة المسؤولية الملقاة عليهم، ألا وهي إعادة لغة العرب إلى أن تكون اللسان الرسمي في أرض العرب، وفقـاً للنواميس والسنن الاجتماعية التي تسير عليها أمم الأرض وشعوبها.

ثانيـاً: إنَّ أكثرَهم مـمّن اكتوى بنار الاستبداد التركي، وشهد مظالم الاتحاديين وطغيانهم وجبروتهم، في سوق شباب العرب إلى محاكم المجلس العرفيّ بعاليه ودمشق، ورأى تعليقهم على أعواد المشانق، وأغلبهم مـمّن لم تثبت إدانته، ومن هؤلاء الثمانية من كان مسجونـاً، ومنهم من كان منفيـاً، ومنهم من كان فارّاً ومطارداً في البراري والقفار، ومنهم من كان مهاجراً، ولذا فإنّهم يعدّون عملهم في خدمة اللغة وتأسيس مجمعها خدمة وطنية، وواجبـاً دينيـاً، وقوميـاً مقدَّسـاً.

---

(١) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٢٢١-٢٢٢.

(٢) كرد علي، محمَّد: «**الشيخ طاهر الجزائري**»، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٢١م، المجلد ١، ص١٧-٢١.

ثالثًا: إنَّ رجال المجمع الثمانية إضافةً إلى رئيسهم، كانوا من العلماء باللغة العربية وآدابها، ولهم في ذلك المصنَّفات، كما عُنوا بتدريسها في المدارس والمعاهد، بل كان بعضهم من العلماء الموسوعيين، كعبد القادر المغربي، ومحمَّد كرد علي، وطاهر الجزائري.

رابعًا: إنَّ بعض أعضاء المجمع كانوا متقنين للغتين أو أكثر، إضافة إلى لغتهم العربية، فهم يعرفون التركية؛ لأنَّها لغة الدولة الرسمية، تعلَّموها في المدارس والمعاهد، ومنهم من يعرف الفرنسية، أو الإنجليزية، أو الفارسية، أو الحبشية، أو العبرية، وغيرها من اللغات، ما ساعدهم على طرح قضية التعريب والترجمة بقوة في المجمع من جانب، ومكّنهم من التواصل العلمي والثقافي مع أصحاب هذه اللغات الأعجمية من جانب آخر، ويعزّز ذلك ما أورده محمَّد كرد علي عن محمَّد عبده المصلح العظيم، الذي تعلم الفرنسية في الرابعة والأربعين من عمره، والذي اتصل به بعض أعضاء المجمع، ودرسوا عليه، أو تأثروا بنزعته الإصلاحية، إذ إنّ محمَّد عبده يقول: «ثم إنّ الذي زادني تعلُّقًا بتعلم لغة أوروبية، هو أنّي وجدت أنّه لا يمكن لأحد أن يدَّعي أنّه على شيءٍ من العلم، يتمكّن به من خدمة أمته، ويقدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي، إلّا إذا كان يعرف لغة أوروبية، كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين مشتبكةً مع مصالح الأوروبيين في جميع أقطار الأرض، وهل يمكن ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغلَ للاستفادة من غيرهم، أو للخلاص من شرّ الأشرار منهم؟»[1]، ولذلك لا نستغرب صدور منشور المجمع العلمي العربي بدمشق باللغتين: العربية والفرنسية، التي ربما كانت بتأثير الانتداب الفرنسي.

خامسًا: إنَّ بعضًا من هؤلاء الأعضاء كان متصلاً بزعماء الدعوةِ الإصلاحية، ودعوةِ النهضة التي أطلقها جمال الدين الأفغاني، ثم تلميذه محمَّد عبده، ومن بعده تلميذه

(١) كرد علي، محمَّد: «**تاريخ الأستاذ محمَّد عبده**»، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٣٢م، المجلد ١٢، ص٢٥٤.

محمَّد رشيد رضا، ومن أهمّ ركائز دعوة النهضة والإصلاح: رفض الجمود والاستبداد، ونفض غبار قرون التقليد والتخلُّف، وأخذ العلوم الحديثة وإتقانها، وإحياء اللغة العربية لتكون أداةً للنهضة، بعد نقل العلوم إليها، ووضع ما تحتاج إليه من مصطلحات العلوم الحديثة التي لا عهد للغة العرب بها.

سادسًا: يمثِّل أعضاء المجمع فسيفساء التنوُّع الديني والطائفي والمذهبي في بلاد الشام، فمنهم المسلم، ومنهم المسيحي[1] على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم، وقد لفت هذا التنوُّعُ والانسجامُ بين أعضاء المجمع، أنظار الصحف العربية وأنظار المستشرقين، إلى هذا الاندغام في إطار مجمع لغوي جامع لكلّ أبناء الأمة، علمًا بأنَّ المجمع كان يراعي الكفاءة العلمية في اختيار أعضائه، سواء أكانوا من العاملين أم من المؤازرين، فقد جاء في ردّ المجمع على إحدى الصحف الصادرة في بيروت، الذي نُشِرَ بتاريخ ٩ شباط سنة ١٩٢٢م: «.. ويسرني أن أنبئكم بأنّ المجمع موافق على ما ارتأيتموه، عامل بما تريدون قبل أن أبنتموه، فلم ينتخبْ إلّا كلّ عالم لغوي ضليع، كأحمد باشا تيمور في مصر، والأب أنستاس الكرملي في بغداد، وأمثالهما في سائر الأقطار، ولم ينظر إلى مذهب المنتخب وماله ورتبته، بدليل أنَّ أكثر أعضائه من طوائف المسيحيين المختلفة في الشرق والغرب»[2].

(١) انظر: الأرناؤوط، محمَّد: «**علماء دمشق والحكومة الفيصلية**»، مقالة منشورة في كتاب: **بناء الدولة العربية الحديثة** (تجربة فيصل بن الحسين في سوريا والعراق)، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠١٨م، ص٢٢٥.

(٢) **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، المجلد الثاني، ص٦٢-٦٣.

المبحث الثاني

اختيار مقرّ المجمع

والدلالات التاريخية لذلك الاختيار

يتضح أنَّ المجمع العلمي العربي بدمشق بدأ اجتماعاته في الأيام الأولى من قيامه، وكانت جلساته الأولى التي تُطرح فيها الأفكار والخطط والمشروعات –وهي بلا شكّ جلسات مصيرية وحاسمة– تُعقد في إحدى الغرف من دار الحكومة العربية، التي يبدو أنّها كانت غير ملائمة لأعمال المجمع الذي كلّف بتأسيس دار للآثار، وعُهد إليه بالإشراف على المكتبة الظاهرية، فحصل على الكثير من الكتب والمخطوطات، وكَثُرَ ما بحوزته من قطع العاديات والآثار، وزادت أعماله ومشاريعه.

وفي ضوء ما تقدَّم، فإنّ المجمع بدأ بالبحث والمشاورات والمداولات، بخصوص أنسب المواقع وأكثرها رونقًا وعراقةً في دمشق؛ ليكون مقرّاً له، ومركزاً لأعماله، وحصنًا لخزن تحفه وآثاره، فوقع اختيار المجمع –وهو بلا شك اختيار صائب– على المدرسة العادلية أو المدرسة العادلية الكبرى، المنسوبة إلى السلطان الملك العادل سيف الدِّين محمَّد بن نجم الدِّين أيوب شادي المتوفى سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م).

وبدأ المجمع بأعمال الترميم والإصلاح والتجديد لهذه المدرسة، التي حُرقت ودمِّرت أجزاء منها، وتشوَّهت حجارتها أيام غزوات التتار، وبخاصة غزوة تيمور لنك الذي استباح دمشق، وسبى نساءها، وقتل رجالها، وسلب ذخائرها ومخطوطاتها، وأضرم النيران فيها سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، وأعاد المجمع إليها «طرازها الهندسي القديم المعروف بفخامة الحجارة، وحُسن نحتها، واتساع ردهاتها وغرفها»[1].

وأنفقت الدولة على هذا الغرض مبلغًا قدره ألفان وخمسمئة جنيه، ودفعت مبلغ ألفي ليرة سورية تعويضًا للساكنين فيها عمّا أنفقوه في تعميرها. وبعد هذه الإجراءات

(١) **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، المجلد الثاني، ص٣٥٥.

السريعة، والترميمات العاجلة في المدرسة التي استمرّت من ٨/ حزيران حتى ٣٠/ تموز، أي قرابة الشهرين، أصبحت المدرسةُ مؤهلةً لعقد جلسات المجمع، وأُنشئت فيها مكتبة خاصة بالمجمع، وجُعِلَ من بعض القاعات التحتية في المدرسة مكاناً لحفظ الآثار التي جمعها المجمع، وقام بتخصيص «الردهة الكبرى فيها لإلقاء المحاضرات، والخطب العلمية والأدبية، التي يلقيها أعضاؤه، والأخصائيون في العلوم من الوطنيين والأجانب»[1].

إنَّ قيام المجمع باختيار المدرسة العادلية الكبرى مقرّاً له، وإنجازه لأعمال الترميمات والإصلاحات التي تـمّت بعد موافقة عاجلة من الحكومة العربية بدمشق، يجعلنا نقف مدقّقين عن سرّ هذا الاختيار، وباحثين عن دوافعه الكامنة في نفوس الأعضاء العاملين في المجمع، وفي نفس رئيسه كرد علي، فما هي أسباب هذا الاختيار؟ وما هي مبرراته التي ألمح كرد إلى بعضها بإشارات موجزة تحتاج إلى بيان وتفصيل، ونجمل هذه الدوافع والأسباب القائمة وراء هذا الاختيار في الآتي:

أولاً: الأبعاد التاريخية لهذه المدرسة.

فقد ارتبط تاريخ هذه المدرسة بثلاثة من السلاطين الذين أدّوا أدواراً عظيمة في تاريخ الإسلام في أحرج الأوقات وأصعب الظروف، وتاريخ العادلية الكبرى يُثبت تعلُّقَها وارتباطَها بنور الدين زنكي، والملك العادل الأيوبي، والملك المعظم عيسى الأيوبي.

فالأول نور الدِّين محمود بن زنكي (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) البطل العظيم الذي استطاع أن يوحِّد بلاد الشام تحت قيادته، بعد أن دفع الصليبيين عن دمشق، التي كانت على وشك السقوط بأيديهم سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٣م، ثم استطاع في سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م أن يقتلع الدولة البورية التي كانت متحالفة مع الفرنج، فاتخذ دمشق عاصمة لدولته

(١) كرد علي، محمَّد: «**أعمال المجمع العلمي العربي**»، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ط٢، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، المجلد ٢، ص٣٥٥.

المؤزرة، التي استطاعت بعد ذلك بسنوات أن توحِّد مصر والشام، وتمكّنت من صدّ حملات الفرنج البرية والبحرية عن البلدين[1].

ولم تقتصر بطولة نور الدِّين وشجاعته على الحرب والضرب، وصدّ الغزاة واقتلاع الطغاة الذين خذلوا الأمة، ومكَّنوا الأعداء من مقدساتها وأرضها، بل كان بطلاً في الإدارة وبناء مؤسسات الدولة العلمية، ويتّضح ذلك من كثرة المدارس والمشافي، ودور الحديث والرُّبَط والخوانق التي أقامها في بلاد الشام، ثم أمر تلميذه صلاح الدِّين بن أيوب بإقامتها بمصر، حتى قال عنه المؤرخ ابن قاضي شهبة: «... وبنى أيضاً المدارس بدمشق، وحمص وحماة وحلب، وغيرها، للشافعية والحنفية، حتى إنَّ بلاد الشام كانت خاليةً من العلم وأهله، وفي زمانه صارت مقرّاً للعلماء والفقهاء»[2].

وكان نور الدِّين حريصاً على استقطاب العلماء المشهورين بالعلم والفضل من كافة الأقطار الإسلامية، وكان من أبرزهم قطب الدِّين النيسابوري (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، وهو من كبار فقهاء الشافعية، وشرع نور الدين –إكراماً للنيسابوري– في بناء مدرسة كبيرة للشافعية في سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م؛ ليكون النيسابوري مدرساً بها، ثم توفي نور في السنة التالية دون إتمامها[3].

أمّا السلطان الثاني الذي تُنسب هذه المدرسة إليه، فهو **محمَّد بن أيوب، الملقَّب بالملك العادل** (ت٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، وهو شقيق صلاح الدِّين الأيوبي، وذراعه اليمنى في فتوحاته، واستطاع بعد موته أن يوحِّد مصر والشام، والحجاز واليمن، ومُلك

---

(١) انظر: أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج١، ص١٨٤-١٩٠، ٣٠١-٣٠٦، ج٢، ص٨٢-١١١.

(٢) ابن قاضي شهبة الدمشقي، أبو بكر أحمد بن محمَّد (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٨م): **الكواكب الدُّرية في السيرة النورية**. تحقيق: محمود زايد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١م، ص٣٥.

(٣) انظر: أبو شامة المقدسي، **الروضتين في أخبار الدولتين**، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤؛ المنجد، صلاح الدِّين: **تصحيح كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي**، ط١، دار الكتاب الجديد، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج١، ص٣٨٩.

أرمينية، وكان محبّـًا للعلم والعلماء، فالتفت إلى مدرسة نور الدين التي بدأ العمل بها عندما وضع محاربها، ولم يكتمل العمل بسبب موت نور الدِّين، فجاء الملك العادل في سنة اثنتي عشرة وستمئة، فأزال ما وضعه نور الدِّين من بناء مهمل، لم تبقَ إلا رسومه بعد مضي نصف قرن عليه، وشرع في بناء المدرسة العادلية، وعمل هذه المدرسة العظيمة، «وبناها هذا البناء المتقن المحكم، الذي لا نظير له في بنيان المدارس»[1]، وهو بناء يليق بتاريخ هذا الملك المجاهد نور الدين الذي تخرَّج العادل وأخوه صلاح الدِّين من مدرسته، وتتلمذا في الحرب والسياسة على يديه، غير أنّ بناء العادل لم يتم.

وأمّا السلطان الثالث الذي أتمَّ بناء هذه المدرسة سنة ٦٢٠هـ؛ أي بعد خمس سنوات من وفاة والده، **فهو الملك المعظم عيسى بن العادل** (ت٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م)، الذي امتدَّ ملكه من حمص حتى العريش، ومن دمشق حتى المدينة المنورة، وشمل معظم فلسطين والأردن، وعُرِفَ بعدله وقربه من رعيته، ودُفِنَ مع والده في المدرسة العادلية[2].

فالمدرسة إذن ترتبط بالدولتين: الزنكية والأيوبية، بدأ مشروعها نور الدِّين وهو واحدٌ من أعظم ملوك الإسلام قاطبةً، وهو صاحب مشروع الوحدة والنهضة، ومشروع طرد الغزاة والمحتلين، ووطّد أركان هذه المدرسة، وأعلى بنيانها، والبطل المجاهد العادل الأيوبي الذي سدَّ مسدّ صلاح الدِّين بعد وفاته، ورفع أمجاده ورايته، وأتمَّ بناءها على أجمل صورة من الإتقان والإحكام، فهي بحقّ الجسر الواصل والحبل المتين الإحكام، الممتدّ بين دولتين عظيمتين في تاريخ الإسلام، لهما الأيادي البيضاء والمنن المتواصلة في دفع الغزاة ومدافعتهم، واسترداد المقدسات والأرض منهم، وإنجاز مشاريع الوحدة قرابة القرن والنصف من الزمان.

---

(١) انظر: أبو شامة المقدسي، **الروضتين في أخبار الدولتين**، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤؛ المنجد، صلاح الدِّين: **تصحيح كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي**، ط١، دار الكتاب الجديد، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج١، ص٣٥٩-٣٦٠.

(٢) انظر: ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمَّد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٣، ص٤٩٤-٤٩٦.

ثانيـًا: الدور العلمي الكبير الذي قامت به هذه المدرسة التي وقف عليها الملك المعظم عيسى بضع قرى، وغيرها من الأوقـاف الـدارة، إذ أصبحت مركزاً علميـًا لتدريس الفقه والقرآن، والنحو واللغة.

وكان الملك المعظم عيسى من الشعراء والعلماء، ووصفه سبط ابن الجوزي بـ «العالم الفقيه، المجاهد في سبيل الله، الغازي، النَّحوي، اللغوي»[(١)]. لقد درس النَّحو والأدب واللغة على شيخه تاج الدِّين أبو اليمن الكندي (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، وأخذ عنه كتاب سيبويه وشرحه للسيرافي، و(الحجة في القراءات) لأبي علي الفارسي، و(الحماسة)، وسمع (مسند الإمـام أحمد بن حنبل)، وله ديـوان شعر، وكتاب في العروض وغيرها[(٢)].

وكان الملك المعظم يشجِّع الطلاب على الاشتغال بالعلم، وجعل جائزة لمن حفظ كتاب الزمخشري في النحو، الموسوم بـ (المفصّل)، مئة دينار وخلعة[(٣)]، ويذكر سبط ابن الجوزي، أنّ الملك المعظم كان يقول: «من حفظ نص (الجامع الكبير) للكرماني أعطيته مئة دينار، ومن حفظ (الإيضاح) لأبي علي [الفارسي] في النحو أعطيته ثلاثين ديناراً، فحفظ الكتابين جماعة، ووفّى لهم بما شرط»[(٤)].

وافتُتح التدريس في العادلية سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م، وكان مجلسـًا عظيمـًا حضره الملك المعظم، وكبار العلماء، ووصف لنا سبط ابن الجوزي ذلك المجلس العلمي المهيب الذي شارك فيه المعظم شخصيـًا، يقول: «وألقى الدَّرس فيها في هذه السنة

---

(١) المنجد، **تصحيح كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي**، ج١، ص٣٦٢.

(٢) انظر: سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت٦٥٤هـ/ ١٢٤٧م)، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق: محمَّد بركات، كامل الخراط، عمّار ربحاوي، ط١، الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ج٢٢، ص٢٨٥؛ وانظر: الدروبي، سمير، «**خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أمية من القرن (٦-١٠هـ/ ١٢-١٦م)**»، المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ج٢، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٤٩٥.

(٤) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ج٢٢، ص٢٨٩.

القاضي جمال الدِّين المصري، وحضر درسه أعيان الشيوخ والقضاة والفقهاء، وحضر السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل، وتكلّم في الدَّرس مع الجماعة، وكان الاجتماع بإيوان المدرسة، وجلس عن يمين السلطان إلى جانبه شيخ الحنفية جمال الدِّين الحصيري، ويليه شيخ الشافعية شيخنا فخر الدِّين بن عساكر، ثم القاضي شمس الدين بن الشيرازي، ثم القاضي محيي الدِّين يحيى بن الزكي... ودارت حلقة صغيرة والناس وراءهم متصلون مِلْءَ الإيوان، وكان في دور تلك الحلقة أعيان المدرسين والفقهاء، وقبالة السلطان فيها شيخُنا تقي الدِّين بن الصلاح وغيره، وكان مجلسـًا جليلاً لم يقع مثلُه...»[1].

ومنذ سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م، أصبحت العادلية محكمة للقضاء الشافعي، ويتولّى التدريس فيها قاضي قضاة الشافعية، ومن مدرِّسيها: ابن خلكان صاحب (وفيات الأعيان)، وجلال الدِّين القزويني، وبدر الدِّين بن جماعة، وعلاء الدِّين القونوي، وتقي الدِّين السبكي، وبهاء الدين السبكي، وتاج الدِّين السبكي، وغيرهم من العلماء الكبار أصحاب المؤلفات التي تعدُّ من أُمهات المصادر في التراث العربي، وفيها ألَّف أبو شامة المقدسي كتابه العظيم (الروضتين في أخبار الدولتين)، وألَّف ابن خلكان (وفيات الأعيان).

وبيَّن مؤرِّخ الشام محمَّد أحمد دهمان، أنَّ العادلية قد اشتملت على قسمين: قسم الفقه، وقسم القراءات واللغة العربية، وكان تدريس اللغة والنحو في القسم الخارجي منها، في تربة الملك العادل[2]، وكانت أبواب التدريس في العادلية مفتوحةً لكبار النحويين، ومنهم محمَّد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، الذي وُصف بأنّه إمام زمانه في العربية، وكان قد قدم دمشق: «ونزل بالعادلية الكبرى، وولي مشيختها الكبرى التي من

---

(١) أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م): **المذيَّل على الروضتين**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط١، دار الرسالة العالمية، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج١، ص٣٥١-٣٥٢.

(٢) انظر: دهمان، محمَّد أحمد: «**المدرسة العادلية الكبرى تقوم برعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف**»، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ع٢٩، ص٥٢-٦٥.

شرطها القراءات والعربية، وأقام بالعادلية وألَّف التواليف المفيدة في فنون العربية، من ذلك (التسهيل) الذي لم يسبق إلى مثله، و(الكافية)، و(الخلاصة)...».[١]

وقد بلغ ابن مالك في علوم العربية نحواً ولغةً وشعراً مبلغاً عظيماً، وقد وصفه السيوطي بأنّه «كان إماماً في القراءات وعللها، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها... وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا يجارى، وحَبراً لا يبارى، وأمّا أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو، فكانت الأئمة الأعلام يتحيرون فيه»[٢]. وتقديراً لعلمه واعترافاً بفضله، فإنَّ ابن خلكان كان «يشيّعه من العادلية إلى بيته تعظيماً له»[٣].

ومن العلماء الذين درسوا بالعادلية، قاضي القضاة شهاب الدِّين الخويي (ت٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، الذي وُصِف بأنّه «علَّامة وقته، جامعاً لفنون من العلوم: التفسير، والأصلين، والفقه، والنحو، والخلاف، والمعاني، والبيان، والحساب، والفرائض، والهندسة»[٤]. وممّن درس بها أيضاً قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن علي السبكي (ت٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)، الذي «تصدَّى لشغل الناس بالعلم، وقصده الطلبة، وحضر حلقته الفضلاء، وعلا صيته، وتقدَّم على شيوخ الشام»[٥].

واللافت للنظر في أمر المدرسة العادلية، التي كانت من أكبر معاهد العلم بدمشق بعد مسجد بني أمية، أنّها كانت ملتقى ومنتدى يُعلِّمُ فيه علماء الشام ومصر والأندلس والعراق، كما أنَّ كثيراً من علمائها وضعوا مصنَّفاتهم الجليّة في رحابها، فأبو شامة المقدسي وضع فيها كتابه (الروضتين)، يقول: «وهي المأوى وبها المثوى، وفيها قدَّر

---

(١) ابن الجزري، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن محمَّد (ت٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م): **غاية النهاية في طبقات القرَّاء**. عني بنشره: ج. برجستراسر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٩٩م، ج٢، ص١٨٠.

(٢) السيوطي، جلال الدِّين بن عبد الرَّحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م): **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، عيسى البابي، القاهرة، ١٩٦٤م، ج١، ص١٣٠.

(٣) انظر: السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج١، ص١٣٤.

(٤) ابن طولون الصالحي، محمَّد (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م): **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، تحقيق: محمَّد أحمد دهمان، ط١، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، ق٢، ص٥٨٣.

(٥) **المصدر السابق**، ق١، ص١٧٢؛ وانظره: ق١، ص١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٨٧؛ ق٢، ص٥٠٢، ٥٨٣.

الله سبحانه وتعالى جَـمْعَ هذا الكتاب، فلا أقفر ذلك المنزل ولا أقوى»[1]. ولعل الله قد استجاب دعوة أبي شامة، فعادت العادلية إلى إرسال شعاعها العلمي بعد أن مرّت عليها قرون وهي معطلة، وألهم الله رجال المجمع العلمي إلى نفض غبار القرون عنها، وإعادة علوم العربية إليها، وأنجز إبراهيم الزيبق تحقيق (الروضتين) فيها، علماً بأنّ أبا شامة كان قد ألَّفه فيها، ففازت العادلية بشرف تأليفه فيها أولاً، وشرف إنجاز تحقيقه فيها أخيراً، وكتاب (الروضتين) كتاب تاريخ وأدب، وهو من أجلّ المصادر في عصر الحروب الصليبية، وخلّد فيه أبو شامة المقدسي إنجازات نور الدين زنكي، وصلاح الدين بن أيوب، ولولا كتاب (الروضتين) لضاع جلّ تاريخ الأمة وأدبها في تلك الفترة، التي دحر فيها الإسلامُ الفرنجَ الغاصبين.

وقد أنجز ابن مالك جُـلَّ مصنّفاته فيها، وابن خلكان وضع كتابه الذائع الصيت (وفيات الأعيان) بها، وتعاقبت عائلة السبكي على التدريس بها، مـمّا يدلّ على وجود خزانة كتب عامرة تليق بهذه المدرسة، إذ أشار أبو شامة إلى أنَّ قطب الدِّين النيسابوري (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، رغَّبه نور الدِّين زنكي في المجيء إلى دمشق، وشرع نور الدين في بناء هذه المدرسة سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م؛ ليجعله شيخـاً لها، فوافى الأجل نور الدِّين، وجعل النيسابوري كتبه وقفـاً على طلاب العلم بعد وفاته، فحُـملت كتبه إلى العادلية، ووُضعت خزانة كتبه في المجلس الكبير في صدر الإيوان[2]، فإنْ فاته شرف التدريس بها، فإنَّه لم يُـحرَمْ أجرَ انتفاع العلماء وطلبة العلم بخزانته التي وقفت فيها.

ثانياً: القيمة الأثرية للعادلية.

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ آثار كلّ أمة دليلٌ على حضارتها، وتُـعَدُّ شاهداً ناطقـاً على غابرها الزاهر، ولذا فإنّ الأمم الحية تُـولي آثارها غاية العناية في الحماية والصون،

---

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص٢٤٦.

(٢) انظر: أبو شامة: **الروضتين**، ج٢، ص٢٦٤؛ العش، يوسف: **دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط**، ترجمة: نزار أباظة ومحمَّد صباغ، ط١، دار الفكر، سورية، دمشق، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٢٣٥.

ودفع الأيادي الجانية عن تدميرها، وتُصدر القوانينَ الصارمةَ حمايةً لآثار أجدادها، وتضع العقوباتِ المُغلّظةَ على سُرّاق هذه الآثار ومخربيها وسماسرتها، ولذا فإنّ اختيار المجمع العلمي العادلية مقرّاً له، يُعَدُّ حماية لها من التهدُّم والاندثار، فكتبت لها حياة علمية جديدة، فأعاد لها سابق عهدها، وغابر مجدها.

ومن أبرز مظاهر العمران والآثار التاريخية في دمشق، المدارس التي بدأ عهدها منذ أن دخلها نور الدِّين فاتحًا ومخلِّصًا سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، وكان نور الدِّين قد بدأ نهضة المدارس في حلب، وحمص، وحماة، ثم في دمشق، وخلفه صلاح الدِّين وأبناؤه ورجال دولته، وشيَّدوا عشرات المدارس ودور العلم، والخوانق والجوامع، وسار على طريقهم أمراء المماليك حتى سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، عندما دخل العثمانيون الشام ومصر والحجاز، ولكنَّ العثمانيين لم يكونوا كمن سبقهم من الدول، فتراجعت المدارس، وتمّ الاستيلاء على أوقافٍ كثيرةٍ منها، وخربت مكتباتها، وقد سبق لكاتب هذه السطور أن قال واصفًا حال اللغة العربية بدمشق بعد دخول العثمانيين: «... عندما جاء العثمانيون بدأت العربية بالتراجع لما لحق مدارس العلم من أضرار فادحة على يد العثمانيين، وذلك عن طريق الاعتداء على أوقافها وذخائرها العلمية»[1].

وقد كانت الآثار التي شادها نور الدِّين، وصلاح الدِّين، ورجال دولتهم في غاية الإحكام والصنعة والإتقان، وقد وصف الرحّالة ابن جبير مدارس دمشق وبيمارستاناتها قائلاً: «وهذه المارستانات مفخر عظيم من مفاخر الإسلام، والمدارس كذلك، ومن أحسن مدارس الدنيا منظراً مدرسة نور الدِّين –رحمه الله– وبها قبره –نوَّره الله– وهي قصر من القصور الأنيقة... وأما الرِّباطات التي يسمُّونها الخوانق فكثيرة... وهي قصور مزخرفة»[2].

---

(١) الدروبي، سمير: **ابن طولون الصالحي وفن المقامات**، ط١، جامعة مؤتة، الأردن، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٧٤.

(٢) ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، ص٢٥٦.

ونشطت حركة بناء المدارس في العصرين الأيوبي والمملوكي، ولكنَّها في العصر العثماني شهدت تدهوراً كبيراً، وتراجعًا حاداً، ويصفُ ذلك كرد علي بقوله: «ولولا بضع مدارس أنشئت في القرن الثاني عشر في حلب ودمشق، لقلنا: إنّ تاريخ المدارس ختم بانقراض ملوك الطوائف، ودخول الدولة العثمانية الديار الشامية»[١].

ويصف لنا ابن طولون الصالحي مآل بعض المدارس في دمشق مع بداية مجيء العثمانيين، ومدى فساد نُظَّار المدارس الذين خانوا أماناتهم، يقول واصفاً حال المدرسة المرشدية في سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م، وهي من مدارس الحنفية، بأنّها كانت: «خراباً، وقد خربت قاعتها، ووقعت درابزين مئذنتها، وأخذت آلاتهما، ولها سنون لم يشعل بها قنديل»[٢]. ويشير ابن طولون في حوادث سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، إلى أنَّ المدرسة المنكلامية قد أصبحت خراباً تأوي إليها الكلاب، والمتوكل على هذه المدرسة وهو شهاب الدِّين الخيضري، الذي رسم الوالي العثماني بشنقه[٣].

وعلى الرغم من تدهور حالة المدارس، وما آلت إليه من خراب عمرانها، وتهدُّم بنيانها، وضياع أوقافها، وتجاوز المجاورين لها على حرمها، وتهاون نظَّارها في أمرها، إلَّا أنَّ المدرسة العادلية كانت أوفر حظاً من غيرها من المدارس، التي لم يبقَ منها إلا أطلالها الخربة، يقول محمَّد كرد علي: «والعادلية اليوم العضو الأثري المهم من تلك المدارس، التي كانت في القرون الوسطى مفخر الشام والإسلام»[٤].

---

(١) كرد علي، **خطط الشام**، ج٥، ص٦٨.

(٢) ابن طولون الصالحي، شمس الدين محمَّد (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م). **حوادث دمشق اليومية غداة الغزو العثماني للشام (٩٢٦-٩٥١هـ)**. تحقيق أحمد أيبش، ط١، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٢م، ص٢٣٣، وانظر: كرد علي، **خطط الشام**، ج٦، ص٩٤.

(٣) انظر: ابن طولون الصالحي، شمس الدِّين محمَّد (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م). **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، تحقيق: محمَّد مصطفى، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ج٢، ص١١٣.

(٤) كرد علي، **خطط الشام**، ج٦، ص٨٣.

ثالثاً: موقع العادلية وفخامة بنائها واتِّساعه.

تحتلّ المدرسة العادلية موقعاً متميزاً في دمشق القديمة، فهي قريبة من الجامع الأموي الخالد في دمشق، بل هو أشهر معالمها التاريخية التي تعود إلى القرن الهجري الأول، ولذلك فإنَّ النعيمي حدَّد العادلية بناءً على موقعها من جامع بني أمية، يقول: «المدرسة العادلية الكبرى: داخل دمشق، شمالي الجامع بغرب، وشرقي الخانقاه الشهابية، وقبلي الجاروخية بغرب، وتجاه باب الظاهرية، ويفصل بينهما الطريق»[١].

واعتمد كرد علي في تحديده لموقع العادلية على ما قاله النعيمي، وأضاف إليه: «... الطريق المؤدي إلى باب البريد»[٢].

وكشف لنا محمَّد كرد علي في مقالته عن نشأة المجمع العلمي العربي، أنّ موقع العادلية، هو الذي رجّح اختيارها مقرّاً للمجمع، يقول: «والـذي رجَّح اختيارها مواجهتها لمدرسة الظاهر، حيث توجد المكتبة الظاهرية»[٣]، علمـاً بأنّ مكتبة عامة قد أُسِّست في الشام عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م؛ أي قبل خمسين عامـاً تقريبـاً من تأسيس المجمع، وقد أصبحت إدارتها وتنميتها من الأعمال الموكولة إليه.

وعلاوةً على ذلك، فإنّ اتساع المدرسة العادلية، وكثرة غرفها وقاعاتها، قد جعلها مُلائمة لإدارة المجمع، ومكانـاً للمتحف[٤]، ولميزة قربها من الجامع الأموي، وأسواق دمشق، وتوسطها بين المدارس التاريخية المعروفة في دمشق.

رابعاً: طراز العادلية المعماري وهندستها الجميلة

لا ريب أنّ العمارة الإسلامية قد تركت لنا من الآثار، والقصور الفخمة، والمدارس الجليلة، التي تأنَّق المهندسون والمعماريون في هندستها، وأبدع الصنَّاع في زخرفتها، الشيء الكثير، وما زالت بعض آثارها المعمارية ماثلةً للعيان.

---

(١) المنجد، **تصحيح كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي**، ج١، ص٣٥٩.
(٢) كرد علي، **خطط الشام**، ج٦، ص٨١.
(٣) كرد علي: «**نشأة المجمع العلمي العربي**»، مجلة المجمع العلمي العربي، ١٩٢١م، المجلد ١، ص٣.
(٤) **المصدر السابق**، ج١، ص٣.

وكان كرد علي دائم الإشارة إلى الجانب المعماري والجمالي في بناء المدرستين العادلية والظاهرية، وهو معجبٌ أيّما إعجاب بفخامة البناء وضخامته، وقدمه وعراقته، وجماله الهندسي وحُسن ترصيعه، وهو ممّا تفنَّن في صنعه المهندسون والصنَّاع الشاميُّون، ودلَّ على مبلغ علمهم بفن العمارة، وبراعتهم في زخرفتها وتنميقها، يقول كرد: «وكلتا المدرستين من البنايات التاريخية الفخمة، في شكلها وطراز عمارتها»[١]، ويتحدث عن دور المجمع في إعادة ترميم المدرسة العادلية قائلاً: «فأعاد إليها طرازها الهندسي القديم، المعروف بضخامة الحجارة، وحُسن نحتها»[٢]، ويصف المدرسة الظاهرية بقوله: «وهي قديمة البناء، جميلة الهندسة، مرصَّعة بالفسيفساء»[٣].

ويبدو لي أنّ شغف محمَّد كرد علي في اصطفاء المدارس، والمباني التاريخية، يعود إلى قيمتها الأثرية والتاريخية، والمعمارية والفنية، إذ وصفها الرحالة ابن جبير الأندلسي بأنّها قصورٌ مزخرفة، وعدّها من مفاخر الإسلام - كما مرَّ بنا من قبل-.

وعلاوة على ذلك، فإنّ زيارات محمَّد كرد علي ورحلاته المتكرِّرة إلى أوروبا بشكلٍ عام، وإلى فرنسا بوجهٍ خاص، أتاحت له فرصة الوقوف على متاحفها ومدارسها، وقصورها ومجامعها التي كانت بنياتها التاريخية ممّا لفت نظره، وشدّ إعجابه، وفجَّر ينبوع دهشته، معتبراً ومقارناً بين الماضي والحاضر، فحاضر الغرب لا ينقطع عن ماضيه، وملوكه حافظوا على قصوره وآثاره، وجعلوا منها مباءة للمتاحف والمجامع، والمعاهد والكلّيّات، يقول كرد علي في رحلته الأولى إلى باريس سنة ١٩٠٩م: «أمّا المتاحف الباريزية، فهي قصور نزهة... أما متحف اللوفر فهو من أجمل قصور العالم وأوسعها، عرف سنة ١٢٠٤م على عهد فيليب أغسطس، وما زالت أيدي الملوك تتعاوره بالإصلاح...»[٤]، ويقول كرد في وصف مجامع باريس العلمية:

---

(١) كرد علي: «**نشأة المجمع العلمي العربي**»، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ١، ص٣.
(٢) **المصدر السابق**، المجلد ١، ص٧.
(٣) **المصدر السابق**، المجلد ١، ص٧.
(٤) كرد علي، **غرائب الغرب**، ص٩٧.

«على الشاطئ الأيسر من نهر السين، مقابل قصر اللوفر الفخم، قام قصر عظيم عُمّر في النصف الثاني من القرن السابع عشر... هذا القصر هو الذي نُقِلَ إليه مجمع فرنسا العلمي سنة ١٨٠٧م، ذلك المجمع الذي أُسِّس سنة ١٧٩٥م، فكان مفخراً من مفاخر الفرنسيس...»[١].

وفي ضوء ما تقدَّم، فإنّه ربما أمكننا معرفة سرّ إعجاب كرد بالمباني التاريخية، وشدة حرصه على إعادة تأهيلها وإصلاحها، على الرغم ممّا يلزم ذلك من نفقات الترميم والإعمار؛ لأنَّ الأمة ترى مآثر الآباء والأجداد التي صارعت الزمن، وثبتت على كوارث الدهر ماثلة أمامها، وشاهدة على عزّ أجدادها ومنعتهم، وقوة دولهم، ولذا فالواجب يقتضي منّا المبادرة إلى إعادة الحياة إليها، وبعث أمجادها العلمية، والبناء على ما بنى عليه الآباء، ومعرفة الشأو الذي وصلت إليه مدنيّتهم، والدرجة التي ارتقت إليها حضارتهم.

وهو الأمر الذي يصنعه الغربيون، ويحرصون عليه أشدّ الحرص في عصرنا، إذ اتخذوا من القصور الفخمة التي خلّفها ساستهم وحكّامهم مراكز للمجامع، والمتاحف، ودور الكتب، فقرنوا بذلك بين مدنيّة أجدادهم في القرون الوسطى، ومدنيّتهم المعاصرة، بحيث يصبح حاضرهم موصولاً بماضيهم، ولا يشعرون بموت الماضي وانقطاعه، بل ما زالت آثاره وإنجازاته تحيا بينهم، فتنمو مدنيّتهم ومعارفهم المعاصرة في قصور أجدادهم، ومصانعهم وعمرانهم، فيحفظون أمجاد السلف ويُورِّثونها لمن بعدهم من الخَلَف، علمًا بأنّهم لا يتّكلون على ما بنته أسلافهم، بل يبنون على ما أسّس السلف، ويُخلّفون إنجازاتهم وعمرانهم، وجلائل أعمالهم للخَلَف.

---

(١) **المصدر السابق**، ص١٠٣-١٠٤.

المبحث الثالث

قراراتُ المجمع وأهدافه ونشاطه

من ١٢/٦- ٣٠/١١/١٩١٩م

عرفنا سابقـًا أنَّ قرار تأسيس المجمع العلمي العربيّ، قد صدر عن علي رضا الركابي حاكم سوريا العسكري بتاريخ ٨/ ٦/ ١٩١٩م، وأصبح محمَّد كرد علي رئيسـًا للمجمع، الذي تكوَّن من أعضاء ديوان المعارف الثمانية، الذي كان كرد رئيسـًا له.

وبـدأ المجمع يعقد اجتماعاته الأولـى في دار الحكومة التي لم تتسع لأعمال المجمع، ثم وقع اختياره المدروس على المدرسة العادلية الكبرى؛ لتكون مقرّاً له، وأيّدت الحكومة العربية ذلك الاختيار، ودعمته ماليـًا وإداريـًا، حتى أصبح الـمَقرّ مهيّئـًا لمباشرة العمل فيه.

وعقد المجمع جلساته الأولى في دار الحكومة منذ إعلان تأسيسه بتاريخ الثامن من حزيران ١٩١٩م، وحتى انتقاله للعادلية، ويبدو أنّ هذه الجلسات كانت مجرد مشاورات، وتقسيم للأعمال، ورسم لطريق العمل، ووضع قانون المجمع ونظامه، ويتَّضح ذلك من أول مقالة[1] نشرها المجمع في مجلته، فقد ذكرت ما قام به المجمع في تلك المدة، وكان على النحو التالي:

- نظرَ في بعض الأعمال العلمية واللغوية.
- حدّدَ موضوعَ بحثٍ أو كتابٍ يُعِدّه كلّ واحد من أعضاء المجمع.
- رسمَ الخططَ التي ينبغي أن يسلكها المجمع للوصول إلى أغراضه.
- وضع قانونـًا أساسيـًا، ونظامـًا داخليـًا تجري إدارة المجمع وأعماله على مقتضاهما.
- تتبعَ ما أمكن الوصول إليه؛ تمهيداً لجمع الآثار والكتب النفيسة، شراءً أو هبةً من المواطنين.

(١) انظر: **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، المجلد ١، ص٥.

واللافت للنظر أنّ وتيرة العمل في هذه الفترة القصيرة التي وصلت إلى أربعين يومـًا تقريبـًا، كانت حثيثةً ومتسارعةً، ويبدو أنّ هذه الاجتماعات كانت شبه يومية؛ لتمكين المجمع من ترسيخ أساساته وقواعده، وتثبيت وجوده العلمي، وتوطيد كيانه الفعلي والمعنوي أمام الحكومة العربية الطموحة، وأميرها فيصل، الذي كانت نهضة العرب وإعادة مجدهم العملي أقصى أمانيه، يقول سعيد الأفغاني واصفـًا العهد العربي الفيصلي: «إنّه عهد إحياء ونشور، كان فيه الأفراد والجماعات تتضافر في بناء حياة، وبعث لغة، وتأسيس كيان، وأمّا في حساب النتائج والثمرات، فما أُسِّس حينئذٍ بقي يعمل بقوة الدفع والاستمرار إلى أيامنا هذه»[1]. قلت: لقد صدق الأفغاني في مقولته، ولولا أنّ المجمع الدمشقي أُسِّس بدعم من الأمير فيصل وحكومته العربية المخلصة في أهدافها، لما قامت قائمةٌ للمجمع، وربّما تأخّر قيام المجامع اللغوية في البلاد العربية بضعة عقود، لا سيما أن الدول الاستعمارية كانت تعمل جاهدةً على فرض لغتها في التعليم والإدارة بقوة، وحتى الساعة.

وكانت الجلسة الأولى للمجمع في العادلية بتاريخ ٣٠ تموز ١٩١٩م/ ٣ ذو القعدة ١٣٣٧هـ برئاسة محمَّد كرد علي، وحضور جميع أعضاء المجمع، وصدر عن المجمع في هذه الجلسة:

القرار الأول: تقسيم العمل في المجمع

إذ رأى المجمع أن يَقسِّم نفسه إلى لجنتين أو قسمين:

القسم الأول – لغويّ أدبيّ:

ويتكون من الشيخ أمين سويد، والشيخ عبد القادر المغربي، والشيخ سعيد الكرمي، والسيد عيسى المعلوف، ويبحث هذا القسم في (لغة العرب وآدابها وطرق ترقيتها).

(١) الأفغاني، **من حاضر اللغة العربية**، ص٥٧.

والقسم الثاني – علميّ فنيّ:

ويتكوّن من أنيس سلوم، وديمتري قندلفت، وعز الدِّين علم، ويبحث في توسيع دائرة العلوم والفنون في سوريا.

والظاهر أنّ هذا التقسيم جاء تسهيلاً للعمل في المجمع، الذي يريد سرعة في إنجازه، كما أنّه جاء وفقـًا لاهتمامات الأعضاء العلمية واختصاصاتهم المعرفية.

وألَّف المجمعُ أيضـًا ثلاث لجان أخرى:

الأولى – لجنة من المختصين في معرفة الآثار: وتجتمع مرتين أسبوعيـًا، وهدفها تمييز الآثار التي تعرض على إدارة المجمع؛ لمعرفة غثّها من سمينها، وتحديد قيمها وأثمانها.

الثانية – لجنة الآثار القديمة والبحث عنها خارج دمشق: «إذ تتبعت هذه اللجنة الآثار في البلاد السورية، وعملت على جلب ما يمكن جلبه منها، وقد قامت هذه اللجنة بعد تشكيلها بالذهاب إلى (تدمر)، وجلبت منها ومن حمص بعض القطع الحجرية القديمة، وكتبت تقريراً بشأن الآثار، وقيّدت الملاحظات التي رأتها في رحلتها، وتهيَّأت للسفر إلى (سلمية) التابعة لحماة؛ للنظر في ما فيها من الآثار المشهورة، وجلب ما يمكن جلبه منها»[1].

الثالثة – لجنة تتبع الآثار في دمشق: والهدف من هذه اللجنة أن تتبعَ الآثار القديمة في مدينة دمشق نفسها، وأن تطوفَ على «المعاهد، والمساجد، والتكايا، وتنسخ كلّ ما تراه، وتظفر به من الكتابات والنقوش المبثوثة هنا وهناك على الجدران، والشرفات، وفوق الأبواب، فظفرت من ذلك بأشياء ذات شأن وقيمة تاريخية عظيمة»[2].

---

(١) الفتيح، **تاريخ المجمع العلمي العربي**، ص٩-١٠، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، المجلد ١، ص٤-٥.

(٢) انظر: **مجلة المجمع العربي بدمشق**، المجلد ١، ص٤-٥.

وممّا هو جدير بالذكر، أنَّ محمَّد رشاد الحمزاوي قد ذهب إلى أنّ غموضاً يكتنف عمل لجان المجمع العلمي العربي بدمشق، وقال: «ولكن أمام هذا الغموض، لا سيما في بداية تكوين المجمع، وأمام انعدام معلومات إضافية عن لجان المجمع وأعضائها، لاحظنا الدور الرائد والأساسي الذي قام به بعض أعضاء المجمع في نطاق أعماله على مختلف وجوهها»[1].

قلت: لا نكران للدور العظيم الذي اضطلع به أعضاء المجمع، وكان كرد علي يؤكّد على دورهم الذي أنجح المجمع، وعرّف الناس بأهميته، وأذاع شهرته في الشام والبلاد العربية والأجنبية، ولكن ما قدمناه آنفاً يُبَيِّنُ لنا وجود لجان مختصة، وهي لجان لغوية وفنية، حدّد لكلّ منها دائرة عملها، ونهضت به على أكمل وجه، مما ينفي عنها صفة الغموض وفقاً لرأي الحمزاوي، إضافةً إلى أنَّ الظرف الاستثنائي الذي كانت تعيشه الأمة آنذاك، اقتضى مثل هذه اللجان وهذه الأعمال، وهذه التخصصات.

القرار الثاني: انتخاب أعضاء شرف في المجمع من مدينة دمشق.

وذلك لدعم قسمي المجمع: اللغوي والفني، إذ رأى المجمع أنَّ ضخامة العمل واتساعه، وتشعّب وجوهه، وتعدّد مناحيه، يتطلب وجود أعضاء آخرين لديهم العلم والخبرة التي تدعم القسمين: اللغوي والفني، وتعزّز العمل فيهما، وتسرّع إنجازه.

وقد اختار المجمع لمؤازرة القسم اللغوي الأدبي كلّاً من: المطران ميخائيل بخاش (مطران السريان الكاثوليك)، والشيخ عبد القادر المبارك، والسيد رشيد بقدونس، والشيخ محمَّد الخضر التونسي، والشيخ محسن الأمين العاملي، وسليم بك العنجوري.

---

(١) الحمزاوي، محمَّد رشاد: **مجمع اللغة العربية بدمشق والنهوض بالعربية**، ط١، دار التركي للنشر، تونس، ١٩٨٨م، ص٣٣.

واختير للقسم الفني: فارس الخوري، والطبيب عبد الرحمن الشهبندر، والطبيب حكمت المرادي، والطبيب مرشد خاطر، والسيد حسين عوني القضماني[١].

وقد كتب المجمع لأعضاء الشرف، إعلاماً لهم باختيار المجمع، ويلاحظ أنَّ القسم الفني اشتمل على الأطباء والمحامين.

القرار الثالث: اختيار أعضاء شرف آخرين.

فقد قرّر المجمع في جلسته الثانية المؤرخة في ١١ آب سنة ١٩١٩م، اختيار كلّ من: قسطاكي الحمصي، وجميل مردم بك، ودرويش أبو العافية، وكتب لهم بخصوص انتخابهم أعضاء شرف في المجمع، وضّم قسطاكي الحمصي إلى القسم الأدبي اللغوي، وألحق مردم وأبو العافية بالقسم العلمي الفني[٢].

القرار الرابع: منع استخدام الألفاظ الأعجمية في مكاتبات المجمع.

ونصَّ القرار على: «ألّا يُستعمل بعد اليوم فيما يصدر عنه من الكتابات، وما يكتب في سجلاته، ألفاظ: (بك، أفندي) وغيرها من الألفاظ الأعجمية، والاكتفاء بما يقابلها من العربية، يستثنى من ذلك الألفاظ التي لها صفة رسمية»[٣].

ويبدو أنّ قرار المجمع الصادر في الحادي عشر من آب عام ١٩١٩م، قد وجد استجابة من السلطات المختصة بحلب، إذ أصدرت «أمراً بعدم استعمال كلمتي أفندي وبيك؛ لأنّهما غير عربيتين، وقرّرت استعمال كلمة سيد في المخابرات الرسمية»[٤].

وقد يسأل سائل عن السبب الذي حدا بالمجمع إلى إصدار هذا القرار، الذي يلغي فيه هذه الألقاب في مكاتباته، ومحاضره، وسجلاته، علماً بأنّ هذه الألقاب كانت من

---

(١) انظر: الفتيح، **تاريخ المجمع العلمي العربي**، ص٩-١٠.
(٢) انظر: الفتيح، **تاريخ المجمع العلمي العربي**، ص٢٣٤-٢٣٥.
(٣) **المرجع السابق**، ص٢٣٥.
(٤) ظبيان، محمَّد تيسير: **مختارات من أعماله المطبوعة والمخطوطة**، إعداد وتحرير: أسامة يوسف شهاب، إصدار اللجنة الوطنية العليا لإعلان عمان عاصمة للثقافة العربية، ٢٠٠٢م، ص٦٣.

لوازم المكاتبات والمخاطبات الديوانية في العصر العباسي، وهو العصر الذي يولي المجمع ما كُتب فيه اهتماماً كبيراً؛ لأنّه يريد العودة بأساليب الكتابة في عصرنا إلى ما كانت عليه في العصور الذهبية، وبخاصة العباسي، من جمال في الأسلوب، وابتكار للمعاني، ووضوح في الكلمات، وقوة في التراكيب.

وقد تكمن الإجابة في أنّ المجمع لا يرفض الألقاب، ولا سيما العربية منها، ولكنَّ التوسُّع في الألقاب، وسيطرتها على المكاتبات الديوانية، وتغلغلها في الوظائف الحكومية، وفي المؤسسات العسكرية والدينية، كان من مخلَّفات العصر التركي وسياسة التتريك، وعكس تدنِّي الأوضاع الكتابية، وانحطاط الحياة الفكرية التي تشبّثَتْ بالألقاب الجوفاء، علماً بأنّ بعض الناس في ذلك العصر عدُّوها من مظاهر الاحترام والتبجيل، والرفعة والمكانة المرموقة في المجتمع، إذ كانت الألقاب دليلاً على مكانة المخاطب في مجتمعه، ولذا فإنّ المجمع بدأ بنفسه، فَجَبَّ هذه الألفاظ، واطّرحها من وثائقه وسجلاته، وتقاريره ومراسلاته، وأصدر بذلك قراره الرسمي السالف الذكر.

وكرد علي يعتقد أنّ هذه الألقاب معضلة خطيرة، وقام يحاربها بقلمه ولسانه، يقول: «... وهاكم الآن ما كتبته في مذكراتي بشأن هذه المعضلة الخطيرة، عسى أن يكون فصل الخطاب في هذا الباب، ولا أحتاج بعدها إلى سؤال ولا إلى جواب، وأخلص أنا من العذاب، فلا يطلق عليّ (أفندي)، ولا (بك)، ولا (باشا)، ولا (خواجة)، ولا (شيخ)، ولا (صاحب العزة)، ولا (صاحب السعادة)، وبكلّ هذه الألقاب المشرِّفة لقّبت، وهي ألقاب لا يجوز لي أن أتقلَّدها، بعد أن حاربتها بالقلم واللسان»[1].

وقد سبق لكاتب هذه السطور أن بَيَّنَ أنَّ «الألقاب التشريفية في دول الإسلام كثيرة، ومتنوعة تنوُّع عناصر الدولة والمجتمع، وتُبنى على اختلاف الأحوال في الرفعة والضعة، والقوة والضعف، وهناك ألقاب للخلفاء والملوك، والسلاطين، والأمراء

(١) كرد علي، **المذكرات**، ج١، ص٨.

والأميرات، وقادة الجند، والعلماء، والقضاة، وأهل التقوى والصلاح، وللكتَّاب والتجَّار، حتى وجدت ألقاب للطواشية والخدم، وغيرهم من حواشي السلطان، وسائر طبقات المجتمع وطوائفه»[1]، ولذا فإنَّ قرار استثناء المجمع الألقاب الواردة في المكاتبات الرسمية من قراره، دليلٌ على وعي المجمع بتاريخ الكتابة الديوانية عند العرب، التي اعتمد المجمع مصادرها أساسًا للأوضاع اللغوية الحديثة لإصلاح لغة الدواوين الموروثة عن عصور الترك.

القرار الخامس: النظام الداخلي والإداري لدار الكتب العربية.

فقد خصّص المجمع إحدى جلساته بتاريخ ٢ آب ١٩١٩م لسنّ النظام الداخلي لدار الكتب العربية، وعيّن لها أمينينِ، وعيّن الشيخ سعيد الكرمي مشرفًا عليها، ويقوم باستجلاب الكتب التي تحتاج إليها، وتشجيع القرَّاء على ارتيادها، والتردُّد عليها.

وتناول نظامها الداخلي مواعيد عملها، وضبط النظام بداخلها، ونظام إعارية كتبها، ومن أهم ما جاء فيه:

- تفتح دار الكتب أبوابَها على مدار العام، وتعطّل في يوم الثلاثاء من كلّ أسبوع، وفي الأعياد الرسمية، وتفتح أبوابها للمطالعة ثلاث ساعات قبل الظهر، وثلاث ساعات بعده.
- يُسجِّلُ الداخل إلى دار الكتب اسمه وعنوانه وصنعته في سجل المطالعين، ويُسجّل أيضًا اسم الكتاب الذي يرغب في مطالعته، ويردُّه بعد انتهاء المطالعة للمستخدم الذي سلّمه الكتاب، ويتحقّق المستخدم عند خروج المطالع أنّه لا يحمل معه شيئًا من كتب المكتبة.

---

(١) العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): **عُرف التعريف في المكاتبات (أول دستور في الألقاب التشريفية في لغة العرب)**، دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، ط١، وزارة الثقافة، الأردن، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ص٨-٩، وانظر: القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، وزارة الثقافة، القاهرة، بلا تاريخ، المجلد السادس وهو خاص بالألقاب واستعمالاتها.

• يمنع التشويش على القرَّاء في المكتبة، إضافةً إلى منع الطعام والتدخين.

• تُعار الكتب المطبوعة للمطالعين المعروفين لمدة شهر على الأكثر، ويترك المستعير سند تعهد بذلك.

• تكون العارية شخصية، ولايحقّ للمستعير تسليم الكتاب لغيره، ويردّ الكتاب على حالته التي كان عليها عند استعارته له[1].

القرار السادس: اختيار الأسلوب المناسب لوضع فهرس عام لدار الكتب العربية.

إذ عقد المجمع جلسته الخامسة والثلاثين بتاريخ ١/ تشرين الأول ١٩١٩م، ودرس أساليب فهرسة دور الكتب في تونس، ومصر، والمدينة النبوية الشريفة، ثم اختار أسلوب الفهرسة في المدينة النبوية لسهولته، وعهد إلى قيمي المكتبة المباشرة بذلك، وأشرف على عملها سعيد الكرمي، وعيسى إسكندر المعلوف، وكلاهما من أعضاء المجمع[2].

وَوَضَعَتْ لجنةٌ مشكّلة من: إلياس بك القدسي، وعيسى إسكندر المعلوف، ومدير دار الكتب العربية حسني الكسم فهرستًا للمكتبة، وقد رتّبت اللجنة الفهرست على أحد عشر علمًا، قُسِّمت فيها الكتب إلى أصول يتفرّع عنها فروع، على النحو التالي:

• **علوم القرآن**: المصاحف، التفسير، القراءات، التجويد، المصحف.

• **علوم السنة النبوية**: علوم الحديث: المتون والشروح، مصطلح الحديث، الشمائل والسيرة النبوية.

• **علوم العقائد والتصوُّف**: علم الكلام والعقائد، التصوُّف، الأذكار والدعوات، أدب الشريعة.

---

(١) انظر: الفتيح، **تاريخ المجمع العلمي**، ص١٣٥-١٣٦.
(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص١٣٧.

- **علوم الشريعة الإسلامية**: أصول الفقه، علم الجدل والخلافيات، الفقه الحنفي، الفقه الشافعي، الفقه الحنبلي، الفقه المالكي، الفقه على غير المذاهب الأربعة المشهورة، كالظاهرية، والأباضية، والزيدية وغيرها.

- **علوم اللغة العربية**: كتب اللغة، النحو والصرف والرسم، كتب البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، كتب الوضع [المعرب والدخيل]، العروض والقوافي، الشعر وشروحه والدواوين الشعرية، الإنشاء والآداب المنثورة.

- **علم العمران**: التاريخ، ويقسم إلى: تاريخ عام لجميع الممالك، ثم تاريخ عام لبعض الممالك أو عصر مخصوص، ثم إلى تاريخ خاص، ثم إلى تاريخ الرجال العام، فالطبقات العامة من مشاهير الرجال، فالطبقات الخاصة بفئة معينة من أصناف الناس، ثم تراجم الأفراد.

- **العلوم الاجتماعية**: الجغرافيا، وتقويم البلدان، وعلوم الاجتماع البشري، والأخلاق السياسية، والاقتصاد.

- **العلوم الرياضية**: المنطق، آداب البحث، الحكمة والفلسفة، الحساب، الجبر، الهندسة، المساحة، الفلك والهيئة، الموسيقى.

- **العلوم الطبيعية**: الطبيعة، الطب، الكيمياء، التاريخ الطبيعي والحيوان؛ أي علم المواليد، الجغرافيا، طبقات الأرض.

- **العلوم الروحانية**: تعبير الرؤيا، سر الحرف، الروحانيات، خواص الأشياء.

- **المطبوعات العصرية**: المعاجم العلمية، المعلمات والموسوعات العلمية، المجلات العلمية، الروايات القصصية والتمثيلية، الحكايات والنوادر[1].....

والملاحظ على هذا الفهرست أنّه متداخل الموضوعات، وبخاصة ما وضع تحت عنوان علوم السنة النبوية، وعلوم الشريعة الإسلامية، وعلوم العقائد، وتتداخل

(١) الفتيح: **تاريخ المجمع العلمي**، ص١٣٨-١٤٠.

العلوم الاجتماعية مع العلوم الطبيعية، فمثلاً (الجغرافيا) تدخل في العلوم الاجتماعية والطبيعية، والمعروف أنّ محمَّداً بن إسحاق النديم، هو أول من صنَّف العلوم، وجعلها في عشر مقالات[1]، وقسّم كلّ مقالة منها إلى فنون، فجاء فهرسته في غاية الإحكام، لا تتداخل فيه الموضوعات، ويبدو أنّ هذه اللجنة لم تفد من تصنيف النديم للعلوم وفهرستها.

القرار السابع: كتابة آية قرآنية على باب العادلية مَقرّ المجمع.

قرَّر المجمع في جلسته الثامنة التي عقدت بتاريخ ١٢/ آب[2] ١٩١٩م كتابة الآية القرآنية التالية على مدخل العادلية: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ (من الآية: ٨٢ من سورة غافر). ولا يخفى ما في هذه الآية من عبرة عظيمة بزوال الأمم وانقراضها، وبقاء آثارها وعادياتها، وما في ذلك من الدلالات على عظمتها وقوتها التي لم تعصمها من أجلها وقدرها، والآية بمثابة إعلان بليغ عن احتضان هذه المدرسة، التي هي أثر خالد من الآثار الإسلامية للدولتين: النورية والأيوبية، للمجمع العلمي، وأنّ أرض الشام بخاصة والشرق بعامة هي أرض الحضارات ومهدها، ففي الآية عبرة ودرس وإعلان، عن مقرّ دار الآثار التي اقترنت بالمجمع، ومقرّ إدارته ومشروعاته وأعماله.

القرار الثامن: تأليف لجنة من المجمع من الأجانب والتجَّار المختصّين بالآثار.

نظراً لقلة عدد المختصّين بالآثار، فقد شكّل المجمعُ لجنةً تكوّنت من: المستر هانور، وهو قِسّ الأسقفية الإنكليزية بدمشق، ومتري أفندي قندلفت عضو المجمع، وعبد أفندي كحيل أمين المتحف العربي، وتوفيق طارق رسّام المجمع. ومن التجار:

---

(١) انظر: النديم، محمَّد بن إسحاق (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): **الفهرست**. قابله على أصوله: أيمن فؤاد السيد، ط١، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، المجلد الأول، ص٣-٨.

(٢) الفتيح، **تاريخ المجمع العلمي**، ص١٥٩.

حسين آغا السيوفي، والخواجة عزيز الصارجي، والخواجة حبيب دهان، وقد شُكِّلت هذه اللجنة في شهر أيلول عام ١٩١٩م، ومهمتها البحث عن أماكن الآثار، والحصول عليها إما شراءً، وإما استهداءً، ثم تنقل إلى المجمع لتحفظ في أماكنها المخصوصة[١].

القرار التاسع: تحديد أهداف المجمع التي أنشئ من أجلها.

فقد كشف المجمع عن أهمّ الأهداف من تأسيسه، من خلال منشوره للمجلات والمجامع العلمية في العالم، وصدر المنشور باللغتين العربية والفرنسية بتاريخ ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٣٧هـ، الموافق ٢٠ أيلول سنة ١٩١٩م، ومرسله هو رئيس المجمع العلمي العربي: محمَّد كرد علي، وذكر عنوان مراسلته: دمشق: المجمع العلمي العربي.

وتضمّن المنشور تعريفـًا موجزاً بعدد أعضاء المجمع، وبمقرّه ذي القيمة الأثرية والتاريخية، كما أنَّ المجمع قد اتخذ من المدرسة الظاهرية مقرّاً للمكتبة العامة التي يشرف عليها، وعرف بمقتنيات المكتبة من المخطوطات، وبدار الآثار التي يشرف عليها.

وحدّد المنشورُ أهمَّ الأهداف الموكولة للمجمع، ويسعى إلى تحقيقها:

الهدف الأول: النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية.

الهدف الثاني: نشر آداب اللغة العربية وإحياء مخطوطاتها.

الهدف الثالث: تعريب ما ينقص العربية من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية.

الهدف الرابع: جمع الآثار القديمة من تماثيل وأدوات، ونقود وكتابات، وما شاكل ذلك.

---

(١) انظر: الفتيح، **تاريخ المجمع العلمي**، ص١٥٩-١٦٠.

الهدف الخامس: جمع المخطوطات الشرقية.

الهدف السادس: جمع المطبوعات العربية والإفرنجية على اختلاف موضوعاتها.

الهدف السابع: وضع بعض التواريخ.

الهدف الثامن: تعريب بعض الكتب المفيدة.

الهدف التاسع: طبع الرسائل العلمية اللغوية في الأوضاع المدنية.

الهدف العاشر: إصدار مجلة شهرية مصوَّرة، ينشر فيها أعماله وأفكاره، ولتكون رابطة بينه وبين دور الكتب والآثار، والمجامع العلمية، وأُمَّهات المجلات في الغرب والشرق[1].

(١) كرد علي، منشور المجمع للمجلات والمجامع، **مجلة المجمع العلمي العربي**، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م، ج١، ص٦-٧.

المبحث الرابع

مدى إنجاز المجمع لأهدافه

تبدو أهداف المجمع وأغراضه –من خلال منشوره المذكور آنفـًا– متعددةً، وكثيرةً، ومتشعبةً، والسؤال المطروح: ما مدى نجاح المجمع في وضع أهدافه موضع البحث والتطبيق العملي؟ وما الذي أنجزه منها؟ وما الذي لم يتمكّن من الشروع فيه، وبقي مجرد هدف مستقبلي؟ علمـًا بأنَّ أيام العمل في هذه المرحلة كانت قصيرة، إذ لم يمضِ نصف حولٍ على إنشائه، حتى جاء قرار الحكومة بفضّه في مطلع كانون الأول عام ١٩١٩م.

الهدف الأول: وهو النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية.

فقد جعل هذا الهدفَ نصبَ عينيه، انطلاقـًا من رسالته الأولى في خدمة اللغة العربية، وإذاعتها بين الناس، وجعلها لغة الإدارة والعلم، وأدرك المجمع حاجة كتَّاب الدولة إلى إصلاح لغة دواوينهم، وضرورة نزع لباس العجمة عن دواوين الدولة، وأقلام كتَّابها، ومراسلاتها ومعاملاتها التي هي بحاجة إلى تعريبها، والارتقاء بلغتها، وأساليب الكتابة فيها[1].

ويتضح في هذه المرحلة من حياة المجمع –أي بعد مرور شهرين وأسبوعين على تأسيسه– أنّ الدولة كانت راغبةً في تنشيط عمل المجمع، وفي بثّ روح جديدة في أبناء اللغة، وتحفيزهم لبذل العناية القصوى بالعربية، ودفعهم إلى درس آدابها وحضارتها، وإتقانها والبراعة فيها، وكان الأمير فيصل بن الحسين دائم التشجيع والمتابعة لأعمال المجمع ومشاريعه.

---

(١) انظر: مجلة المجمع العلمي العربي: «**إصلاح لغة الدواوين**»، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١، ص٤٣.

وقد نشر محمَّد حمدي السفرجلاني، مقالةً في جريدة (العاصمة) يدعو فيها الشباب إلى الإقبال على لغتهم، حين وجدهم يقبلون على تعلُّم اللغات الأعجمية، ويهملون لغتهم القومية التي يجب أن يكون تعلّمها وإتقانها فرضـًا، وواجبـًا مقدسـًا يقدِّسونه، مقدّمين إياها على غيرها من اللغات، يقول: «وممّا يزيد الاستغراب، أنّك تجد الكثير من أبنائها، يدرسون اللغات الأجنبية، ويتكاسلون في تعلُّم لغةٍ خلّدت لهم مجدهم، وتاريخ آبائهم وفخارهم... الرجل إذا درس لغة ما من اللغات، جرّه الأمرُ إلى تعلّم آدابها، وإلى معرفة تاريخها وحضارتها، ودرس حياة عظمائها وأخلاقهم»[1].

ويرى السفرجلاني أنَّ إهمال الشباب للغتهم، تنكّرٌ وعقوقٌ منهم لتراث آبائهم وأجدادهم، وأنَّ إهمالَ درسها إهمالٌ لتاريخها وأمجادها، يقول: «فإهمالُ الفردِ درسَ لغته، إغفالٌ منه لتاريخها وأمجادها، وهضم لحقوق رجالها، وهل يرضى الخلف أن تبقى آثارُ آبائه الحسنة مدفونة بين دفَّات الكتب ولم تنجب؟!»[2]، ولذا فهو يدعو إلى إحياء تراث الأجداد، والإقبال على درسه وفهمه خوفـًا من ضياعه واندثار مجده، وسقوطه من يد الزمن.

ويلفت الكاتبُ نظرَ الأبناء إلى أنّ هذه اللغة قد تعرَّضت للإهمال والتهميش إبان العهد العثماني، حتى أصبحت شبه مهجورة؛ لأنَّها كانت لا حياة لها في مؤسسات الدولة وإداراتها، التي كانت تكتب بالتركية، ثمّ إنّ الله – عزَّ وجلّ – قيَّض لها رجالاً من أبنائها في مصر وسوريا في نهاية ليلها المظلم في عصر الترك، وأخذ أبناؤها البارُّون على عاتقهم إحياءها، وتنافسوا في إتقانها، وتجديد شبابها، يقول: «مضى زمنٌ ليس بالقليل، واللغة العربية مهجورة الاستعمال في حيّز العدم، ليس لها وجود إلا في معاجمها، حتى أتاح الله لها فئةً من رجال مصر وسوريا، أحيوا ما اندرس من معالمها وجواسقها بعد الكساد، وتنافسوا فيها بعد أن كانت بضاعة مزجاة، وكانت بين كلّ حين وآخر، تتهادى

---

(١) السفرجلاني، محمَّد حمدي: «**اللغة العربية وأبناؤها**»، جريدة العاصمة، سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد (٥٢)، ص٦.

(٢) **المصدر السابق**، ص٦.

نسائمها بين القاهرة ودمشق، فتبعث في الناشئة روح النشاط لمزاولتها، إلى أن نبغ من نراهم اليوم من كتَّاب العصر، وشعرائه وأدبائه»[١].

ويُذكِّر السفرجلاني أبناء العربية بأنّ الحركة العربية، قد أعادت إليهم حقوقهم في الحرية، وأنَّ أغلال الترك وقيودهم قد نُزِعت ورُفعت عنهم، وأنَّ لغتهم التي كانت محاربة، ومضيّقًا عليها زمن الترك، قد عادت إليهم، وأصبحت تتنسّم جواً نقيّاً من حريتها، ولذا فإنّه ليس من عاذرٍ لأبنائها في عقوقها أو إهمالها؛ لأنَّ العناية بها تُعدُّ فرضاً مفروضاً عليهم، وواجباً قدسياً نحوها، يقول: «قضى الله بإعادة الحقوق إلى أهلها، واللغة إلى أبنائها، ووضع الإصر عنهم، والأغلال التي كانت عليهم، فأصبحوا بنعمة الله أحراراً، فلم يبقَ من العذر سوى الإهمال، وقلة المبالاة بأهمّ الواجبات، وآكد الفرائض»[٢].

ويُبَيِّنُ الكاتب أنّ سوق العربية كانت كاسدة أيام الترك، إذ قلما وجدت من يهتمّ بها، ويعمل على انتشارها بين الناس، وتوقع لهذه اللغة نفاقَ سوقِها في العهد الجديد، بعد كسادها في العهد البائد، ولكنّ الأمور بقيت على حالها، وهاله تقاعس أبنائها عن تعميمها ونشرها، وتعلمها وتعليمها، فأبناؤها لم يفيقوا من غفلتهم، ولم يصحوا من سباتهم ورقدتهم بخصوص لغتهم، يقول: «كنّا نأمل أن يكون للغة عقب الانقلاب نفاق بعد كسادها أيام الترك، فإذا فتياننا لا يزالون متقاعسين عن النهوض بها، وإيجاد حركة لنشرها وتعميمها»[٣].

ويرى السفرجلاني أنّ أهمّ أسباب هذا التقاعس عن النهضة باللغة العربية، راجع إلى إدارة الدولة، إذ تتساهل الدوائر والمؤسسات في قبول ما يعرض عليها من استدعاءات وعرائض، وغيرها من أنواع الكتب، وتقبل ما يقدّم لها من تقارير ويُرفع إليها من محاضر باللغة العامية، ولذا فإنَّه لا بُدَّ من إلزام هذه الدوائر بالفصحى، ونبذ

---

(١) **المصدر السابق**، ص٦.

(٢) السفرجلاني، محمَّد حمدي: «**اللغة العربية وأبناؤها**»، ص٦.

(٣) **المصدر السابق**، ص٦.

كلّ ما سواها، ورفض ما يقدّم إليها به، يقول: «ولعلَّ من أسباب ذلك، تساهل الدوائر الرسمية في قبول الاستدعاءات والتقارير باللغة العامية، وبالألفاظ الركيكة، والتراكيب المشوَّهة الملحونة»[1].

ويقترح السفرجلاني حلاً لإصلاح هذا الخلل الواسع الواقع في الكتابة الديوانية، ويركِّز في حلّه على أمرين:

الأول: تدريس اللغة لموظفي الحكومة.

والثاني: أن تُعيِّن الدولة محرِّرين في دوائرها العسكرية منها والمدنية، وفي محاكمها، ويقوم المحرِّرون أو المميزون أو المدققون اللغويون، بمراجعة كلّ ما يكتب في دواوين الدولة، فلا تصدر عنها المراسلات والقرارات، والتقارير، والمكاتبات، إلا وقد دُقِّقت لغويـًا وأسلوبيـًا، وبذلك يتحقق الإصلاح اللغوي في مؤسسات الدولة، يقول: «فأرى من اللازب علاوة على تدريس اللغة لموظفي الحكومة، أن يُعيّن في كلّ شعبة من دوائرها وبالأخص العسكرية، والمحاكم النظامية والشرعية، مميزٌ يميِّز صحيح اللغة من فاسدها؛ لتخرج التقارير والكتابات الرسمية منها، خاليةً من الغلط واللحن الفاحش»[2].

ويختم الكاتب مقالته، التي هي بمثابة مشروع يقدّم للحكومة، هدفه تحديد الوسائل التي تمكن من حماية اللغة العربية في أرضها، وفي ظلّ دولتها الناشئة التي أنشأت مجمعـًا علميـًا، جَمَعَ نخبةً من علماء الشام لترقية العربية، والنهوض بها، علمـًا بأنَّ هذه النهضة اللغوية تحتاج إلى دعم الدولة وإنفاقها، ولكنَّ النتائج ستكون عظيمة إن توفّر لها التعضيد الحكومي اللازم: «إنّ هذا العمل وإن أعوزنا إلى مصارف طائلة، فهي قليلة في سبيل إحياء لغتنا الشريفة، ووحدتنا الجنسية، وقوميتنا الفخيمة، إذ بحياتها حياتنا، والعكس بالعكس»[3].

---

(١) السفرجلاني، محمَّد حمدي: «**اللغة العربية وأبناؤها**»، ص٦.

(٢) **المصدر السابق**، ص٦.

(٣) السفرجلاني، محمَّد حمدي: «**اللغة العربية وأبناؤها**»، ص٦.

وقد استجاب المجمع لرغبة الحكومة العربية في إصلاح لغة الدواوين، ووجَّه خطاباً لمؤسسات الدولة ودواوينها، ومعاهد العلم والتدريس فيها «وأذاع نشرةً طلب فيها، أن تنبئه بما تحتاج إليه من الألفاظ وضعاً وتعريباً، على أن ترسل إليه من جانبها ممثلاً اختصاصياً، يشترك في أبحاث المجمع، ويوضح مفهوم الألفاظ في جوها الفني الخاص بها»[1].

وبدأت دوائر الحكومة كالمعارف، والصحة، والشرطة، والأوقاف، والداخلية، والمجلس البلدي، وغيرها، ترسل للمجمع قوائم بالألفاظ والتعابير، التي يحتاجون إلى إجرائها على أساليب العربية؛ للتخلص من عجمتها وركاكتها، وبدأ المجمع بعقد جلساته للنظر في هذه الألفاظ، والتعابير، والتراكيب، وبعد المناقشة والتمحيص: «أبقى بعضها على حاله لصحته وعروبته، وبدّل بعضها كلّ التبدل، وعَدّل الآخر تعديلاً قليلاً أو كثيراً، حتى اجتمع لديه من ذلك، ما يُحسن نشره في هذه المجلة، وعرضه على رؤساء الدواوين، ورجال الصحافة، فيرون رأيهم فيه»[2].

ونبّه المجمع أيضاً إلى ضرورة تداول هذه التعابير والألفاظ التي أقرّها، وبيَّن أنَّ وضعه لهذه المصطلحات، والألفاظ والتراكيب، لن يُحقّق النفع المرجو منها الذي لا يمكن الوصول إليه، إلّا عن طريق تداول هذه الأوضاع الجديدة، واستخدامها في المراسلات والمخاطبات والمقالات الصحفية.

ويرى المجمع أنّه من المستحسن عند استخدام هذه الأوضاع، أن تكون متبوعة بأصلها السابق في الاستعمال، مما يزيدها وضوحاً وفهماً لدى القرَّاء والكتَّاب، فمثلاً إذا استعمل الكاتب كلمة (حاشية)، أتبعها بكلمة (دركنار).

وينبِّه المجمع إلى أنّ ما وضعه من الألفاظ والتعابير الجديدة، ليس هو أفضل ما يقال، فقد يقع بعض الكتَّاب على ما هو أفضل منه، ولذا فلهم الحقّ في استخدام ما

(١) الفتيح، **تاريخ المجمع العلمي العربي**، ص٢٠.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي، «**إصلاح لغة الدواوين**»، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١، ص٤٣.

وضعوه، بينما يستخدم غيرهم ما وضعه المجمع، فتحيا الكلمتان معـًا في الاستعمال، أو تموت إحداهما، وتبقى الأخرى[1] ذائعة بين الناس.

ونشر المجمع طائفةً من الكلمات التي جرى عليها التغيير أو التعديل، أمَّا ما بقي من الألفاظ والتعابير على حاله السابق المتوارث من الفترة التركية، فلم يُنشَر.

ومن الأمثلة على الكلمات التي عُرِّبت أو حُوِّلت عن أصلها القديم[2]:

النافعة	ديوان العمائر.
الطابو	ديوان التمليك.
البوليس	الشحنة أو الشرطة.
الويركو	ديوان الخراج.
الدورية	العسس.
نوبتجي	آذِن أو بوَّاب.
نومرو	رقم أو عدد.
بول	طابع.
قوجان	دفتر القسائم.

ومن الأمثلة على الكلمات التي عُدِّلت بعض التعديل[3]:

دائرة العدلية	دائرة العدل.
كاتب المخابرات	كاتب الرسائل.
مأمور السجن	السجَّان.

(١) انظر: مجلة المجمع العلمي العربي، «**إصلاح لغة الدواوين**»، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١، ص٤٣.

(٢) انظر: **المصدر السابق**، المجلد ١، ص٤٤.

(٣) انظر: مجلة المجمع العلمي العربي، «**إصلاح لغة الدواوين**»، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١، ص٤٥.

أوراق مرسولة	الرسائل الصادرة.
أوراق مورودة	الرسائل الواردة.
مدير التحريرات	مدير الرسائل.
مُحْضِر خيَّال	مُحْضِر فارس.
مُحْضِر ماشٍ	محضر راجل.

ومن الأمثلة على الكلمات التي بقيت على لفظها القديم، ووُضعتْ إزاءها الفاظٌ جديدة، وأطلق عليها اسم كلمات مختلفة[1]:

ماصه	مكتب.
قاصّة	خزانة.
باس باس	ممسحة.
دوسية	إضبارة أو ملف.
روزنامة	تقويم.
استامبة	محبرة الختم.
صوبا	مدفأة.

والناظر في الأمثلة السالفة، يجد أنَّ كثيراً من الألفاظ والتعابير التي كانت متداولة في الدواوين والتعليم في العهد التركي، قد تلاشى من الاستعمال في الدوائر والصحافة، مثل: الويركو، نوبتجي، نومرو، بول، أوراق مرسولة، أوراق مورودة، ماصة، باس، وغيرها. غير أنَّ بعضها ما زال جاريـًا على الألسنة، مثل: الطابو، قاصة، دوسية، صوبا، استامبة، روزنامة وغيرها، وهي تعيش جنبـًا إلى جنب مع الأوضاع والتعابير التي اقترحها المجمع، إلى أن يكتب لها الغلب أو الاندحار في الاستعمال.

(١) انظر: مجلة المجمع العلمي العربي، «**إصلاح لغة الدواوين**»، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١، ص٤٥-٤٦.

ويجب ألّا ننسى أنّ استعمال بعض هذه الألفاظ قد يختلف من بلد عربي إلى بلد عربي آخر، ففي الأردن لا تعرف الناس إلا (النافعة)، ولا يستخدمون (ديوان العمائر)، ولفظة (قوجان) حُوِّلت إلى لفظة (قوشان) للدلالة على قسيمة التمليك.

وأصدر المجمع قائمة[1] تتضمَّن بضع كلمات ارتأى أن «يكون لها معانٍ خاصة واعتبارات جديدة، ويرغب إلى رؤساء الدوائر أن يراعوها في معاملاتهم ومراسلاتهم:

• **الدوائر**: هي القسم المختصّ بعملٍ من أعمال الحكومة، تُدرج تحته فروع متعددة، مثل: دائرة المعارف، دائرة الأوقاف، دائرة المال، فإن كانت الدائرة في بناية خاصة سميت «داراً» كدار العدل، ودار الأمة العامة، وإذا اجتمعت عدة دوائر في بناية واحدة سميت داراً كدار الحكومة الكبرى.

• **الديوان**: هو القسم المعين لعمل واحد من أعمال، كديوان الرسائل، وديوان النفوس، وديوان الخراج (ويركو)، وديوان التمليك (طابو)، وهو أخصّ من الدائرة.

• **القلم**: هو شعبة كتابية تابعة للدائرة أو للديوان، مثل: قلم المحاسبات، وقلم المراسلات، وقلم الأوراق.

• **المجلس**: هو في اللغة مكان الجلوس، وفي الاصطلاح يطلق على جماعة تُنتخب للنظر في بعض الشؤون العامة، كمجلس الإدارة، والمجلس البلدي.

• **اللَّجنة**: بفتح اللام، جماعة ينتخبها المجلس من أعضائه أو غيرهم؛ للنظر في بعض الشؤون الخاصة.

• **الدائرة الشرعية**: هي التي تتعلّق بها المعاملات الشرعية، وتقابلها (الدائرة المدنية).

• **الدائرة الملكية**: هي التي تتعلّق بها المعاملات الملكية، وتقابلها (الدائرة العسكرية).

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي، «**إصلاح لغة الدواوين**»، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١، ص٤٦.

قلت: إنّ أكثر الألفاظ التي وضعها المجمع، ورَغَّب رؤساء الدوائر في استخدامها، ما زالت ساريةً في الاستعمال حتى الآن، وإن جرى تغيير على بعضها، فمثلاً ديوان التمليك (الطابو)، يقال عنه الآن: دائرة الأراضي، والدائرة الشرعية شاعت على الألسنة والأقلام بـ (الشرعية)، ودار العدل أُطلق عليها الآن (قصر العدل)، ودار الأمة العامة يُطلق عليها الآن (مجلس الأمة).

الهدف الثاني للمجمع: وهو (نشر آداب اللغة العربية، وإحياء مخطوطاتها).

لم ينجز المجمع من هذا الهدف شيئاً في هذه الحقبة القصيرة، التي لم تتجاوز ستة أشهر، كان المجمع خلالها مشغولاً بإصلاح لغة الدواوين، والدوائر الحكومية، ومنهمكاً بترميم مقره، وإعداد دار الآثار، وإرسال اللجان التي تستجلبها للمجمع، ولا يخفى أنّ نشر الآداب، وإحياء المخطوطات، يستلزم وقتاً وبحثاً، وعلماً وخبرة، ودعماً مادياً، وخبرة فنية في الطباعة والنشر، وهو مما نهض به المجمع في العقود اللاحقة، فنشر عشرات المخطوطات الجليلة، وما زال هذا ديدنه ودأبه حتى هذه الأيام.

ويبدو أنّ العمل الوحيد الذي نشره المجمع في هذه المرحلة من عمره، هو رسالة أحمد تيمور باشا في (الرتب والألقاب)، فقد جاء في مجلة المجمع: «ومن أعماله في دوره الأول: النظر في «رسالة لغوية في الرتب والألقاب، وما يقابلها من العربي الفصيح، مبنية على الرتب والألقاب في مصر» لأحمد تيمور باشا، من جهابذة علماء مصر الأعلام، وقد طبعت على نفقة ديوان المعارف في دمشق»[1].

(١) مجلة المجمع العلمي العربي، «**إصلاح لغة الدواوين**»، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١، ص ٣٠.

الهدف الثالث للمجمع الذي ينصّ على: «تعريب ما ينقص العربية من كتب العلوم والصناعات والفنون، عن اللغات الأوربية».

كان من أهداف الحكومة العربية اقتباس علوم الغرب، ونقلها إلى لغة العرب، وقد جاء في افتتاحية العدد الثامن والثلاثين من (العاصمة)، وهي الجريدة الرسمية للحكومة، ما نصّه: «... هذا بعض ما يجب علينا عمله في نهضتنا الجديدة، وهذا لا يتيسّر لنا، إلا بالعلم الصحيح، وهذا لا يُنال إلا من الغرب»[1].

والملاحظ هنا أنّ المجمع جعل نقل كتب العلوم والصناعات مخصوصاً باللغات الأوروبية، ولم يذكر اللغات الأخرى كالتركية، التي كان من الميسور الترجمة منها إلى اللغة العربية؛ لأنَّ أكثر المختصين في العلوم والصنائع، والهندسة والعلوم العسكرية، كانوا ممّن درسوا باللسان التركي، وتعلموا العلوم من الكتب التركية.

وقد وضَّح المجمع رأيه في قضية اللغات التي يترجم عنها، من خلال التعريف بالمطبوعات الجديدة، فقد جاء في مجلة المجمع عند تعريفها بكتاب «مناهج التربية والتعليم»، الذي عرَّبه أديب التقي، وطُبع بمطبعة المفيد بدمشق سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، ما نصّه: «هذا موجز في علم التربية، وحبَّذا لو نُقِلَ عن الأصل الذي نقلَ عنه الكاتبُ التركيّ، ولغات العلم الثلاث التي يؤخذ عنها هي: الإفرنسية، والإنكليزية، والألمانية، أمّا التركية فليست لغة يؤخذ عنها علم حديث، أهلها ينقلونه عن الفرنسيين وغيرهم»[2].

وجاء في افتتاحية العدد الرابع والأربعين من (العاصمة) ما نصّه: «وقد انصرفت الحكومة العثمانية في آخر عهدها، إلى تدريس العلوم الحديثة في المدارس الإعدادية والرشدية باللغة التركية، فكان ذلك من أعظم الدواعي لفساد اللغة، والإعراض عن

---

(١) **جريدة (العاصمة)**، العدد ٣٨، ٢٧ حزيران، ١٩١٩م، ص١.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي، «**إصلاح لغة الدواوين**»، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١، ص٤٧.

تحصيل العلوم العربية»[1]. ويبيِّن لنا كاتب الافتتاحية الأخطارَ الناجمةَ عن تعليم الطلاب العلوم بغير لغتهم العربية، وعلى الرغم من أنَّ دراسة العلوم العصرية في المدارس التي تُعلِّم بغير العربية، قد تُمكّن الطلاب من الإلمام الكلّيّ بمبادئ العلوم، لكنَّ ذلك لن يُمكّنهم من التأليف في لغتهم العربية، ولذا لا بُدَّ من دراسة العلوم بالعربية بعد ترجمة كتب العلوم والفنون إليها؛ ليتمكن أبناؤها من الفهم والنبوغ، والإفادة ممّا تعلَّموه في خدمة مجتمعاتهم.

يقول: «نعم لا يُنكر أنّ تلك المدارس نفعت في تنوير أذهان الناشئة، ولكنّها لم تساعد على نبوغ طلابها، وتضلّعهم في العلوم التي يتلقَّوْنها، فكان التلميذ يخرج من المدرسة، وليس لديه إلا علم إجمالي بالعلوم والفنون التي درسها، فلا يقدر على توسيع علمه؛ لعدم وقوفه على اللغات الأجنبية، ومن كان واقفاً عليها، ووُفِّقَ للنبوغ والإخصاص (التخصص أو الاختصاص)، فلا يقدر على التأليف في لغته؛ لأنّه يجهلها، وهكذا كان التحصيل عقيماً في مدارس الحكومة، فلو كان التحصيل باللغة العربية، وكان لدينا من الكتب العربية ما يكفي للمراجعة، وحلّ المشاكل في كلّ علم وفن، لنبغ بيننا كثير من العلماء والمتفنِّنين في فروع شتى، ولكنّ سقم التدريس، وفسادَ اللغة، أدَّيا إلى هذا القحط في الرجال النابغين»[2].

ودعت الجريدة المجمع العلمي إلى العناية «بترجمة الكتب النافعة، ونقل العلوم الحديثة على اختلاف أنواعها، إلى اللغة العربية، فيعيد لنا عهد المأمون، ويُهيِّئ للناشئة وسطاً مساعداً على النبوغ...»[3].

وقد صدرت هذه الدعوة في الجريدة الرسمية بتوقيع مستعار هو (الحنبلي)، وربّما كان كاتب هذا المقال واحداً من أعضاء المجمع أو رئيسه؛ لغاية تهيئة أذهان الناشئة لقبول التعريب، وتنشيطهم على المطالبة به، وحثّاً للدولة على دعم خطوات تعريب

(١) **المصدر السابق**، السنة الأولى، العدد ٤٤، ٢٥ آذار، ١٩١٩م، ص٢.
(٢) **جريدة (العاصمة)**، السنة الأولى، العدد ٤٤، ٢٥ آذار، ١٩١٩م، ص٢.
(٣) انظر: **المصدر السابق**، السنة الأولى، العدد ٤٤، ٥٢ آذار، ٩١٩١م، ص٢.

العلوم وتعضيدها، وشدّ أزر دعاتها ورجالها، وخلق رأي عام يطالب بالتعريب، ويشجّع أزرَ دعاتِه.

وعلى الرغم من تبنِّي الحكومة العربية لسياسة نقل العلوم النافعة، وترجمتها إلى العربية، وهو ممّا جعله المجمع واحداً من أغراضه الأساسية، إلّا أنّنا لم نجد إشارة أو خبراً عن تعريب المجمع لكتب الصنائع والعلوم أو الفنون، إضافة إلى قصر عمر المجمع في هذا الدور، وانشغاله بما رآه أكثر ضرورة من أهدافه، وربّما كانت الصعوبات المالية تقف عائقاً دون الشروع في إنجاز هذا الطموح الكبير.

وممّا هو جدير بالذكر، أنَّ الحكومة العربية قد أنشأت كلية لتدريس الطب، وبدأ علماء هذه الكلية بتعريب كتب الطب، ومن أساتذة هذه الكلية من هم أعضاء مؤازِرون في اللجان الفنية في المجمع، ومنهم الطبيب مرشد خاطر (١٨٨٨-١٩٦١م)، الذي له فضل كبير في تعليم الطب باللغة العربية، وله مصنّفات طبية باللغة العربية، منها (الأمراض الجراحية) ستة مجلدات، وشارك في ترجمة (معجم المصطلحات الطبية)[١]، ومن الأطباء المؤازرين في المجمع الذين أسهموا في نقل الكتب الطبية إلى العربية، الطبيب حكمة المرادي (١٨٨٨-١٩٢٨م)، الذي ترجم كتاب (الطبّ الشرعي) في ستة أجزاء صغيرة[٢]، ممّا يدلّ على أنَّ نقل العلوم الحديثة إلى لغة العرب، كان هدفاً أساسياً للمجمع، وأنّ أعضاءه هم من يباشرون تعريب العلوم، ووضع المصطلحات، ولو طال عمر المجمع في العهد الفيصلي، ونال الدعم الكافي من الحكومة العربية، لكانت النتيجة جهوداً واضحة في قضية نقل العلوم الحديثة وتعريبها، ولكنْ حالَ الجريضُ دون القريض، كما جاء في أمثال العرب.

ويبدو أنّ ساطعاً الحصري الذي أصبح مديراً للمعارف في الرابع من تموز عام ١٩١٩م، ثمّ وزيراً للمعارف في ١١/ ٣/ ١٩٢٠م[٣]، قد استطاع بحكم منصبه، ونفوذه

(١) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢) انظر: **المصدر السابق**، ج٢، ص٢٦٨.

(٣) الحكيم، يوسف: **سوريا في العهد الفيصلي**، ط٢، دار النهار، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٤٤.

في الحكومة العربية، أن يفتتح مركزاً للترجمة، على الرغم من ظروف التقشُّف، ونقص الموارد الذي عانت منه الحكومة العربية، يقول عجاج نويهض: «كان ساطع الحصري قد أنشأ مكتباً للترجمة في بناية العابد، وكان من طبعه أن يستعين بجميع رجال التربية والمشهورين في البلاد العربية، وكان منهم المعلم جريس همام من الشوير في لبنان، الذي عيّنه رئيساً للمكتب... ولـمّا طلب ساطع الحصري إليَّ أن اشتغل مع الأستاذ جريس همام، ترجمت قسماً من تاريخ (ماير) الأمريكي المشهور... ولـمّا تأزَّمت الأمور تأزّمها الأخير، بين فيصل والفرنسيين، ولـمّا لم يعد لوجودي من فائدة حتى لو بقيت في مكتب الترجمة، فالمكتب كان قد أخذ يتهاوى ويتداعى للتفكك...»(١)، فما كان لعجاج نويهض إلا أن ترك العمل في مكتب الترجمة.

وليس لدينا المعلومات التفصيلية عن هذه الكتب التي تُرجمت في مكتب الترجمة، الذي أقامه ساطع، سوى إشارة نويهض إلى ترجمته قسماً من تاريخ (ماير).

وسنتحدث عن هذا المكتب الذي أنشأه ساطع للترجمة، عندما نعرض لدور ساطع وموقفه من المجمع، إذ تكشف لنا الدراسة أنَّ ساطعاً قد جعل من مكتب الترجمة هذا مجمعاً موازياً، واستقطب إليه كثيرين من معارفه وأصدقائه وفقاً لما ذكره عجاج نويهض، ولما ذكره ساطع في أعماله القومية، وهو مما سنبحثه في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

واللافت للنظر، أنّ المكتب الذي أنشأه ساطع، وجَّهَ عنايته لترجمة تواريخ الغرب وأفكارهم القومية والتربوية، لا إلى ترجمة العلوم الحديثة التي هي أساس نهضة الغرب وتقدّمه ومنعته، علماً بأنَّ ترجمة العلوم النافعة من أهمّ أهداف المجمع التي كان ساعياً إلى تحقيقها.

---

(١) نويهض، عجاج: **ستون عاماً مع القافلة العربية**، إعداد: بيان نويهض الحوت، ط١، دار الاستقلال للدراسات، بيروت، ص٢٧-٢٨.

الهدف الرابع للمجمع: وينصّ على «جمع الآثار القديمة من: تماثيل، وأدوات، ونقود، وكتابات، وما شاكل».

إنَّ المجمع قد خطا خطوات واسعة في موضوع جمع العاديات والآثار، وحفظها في مكان مأمون، ذلك أنَّ آثار بلاد الشام، بل جلّ آثار البلاد العربية، كانت عرضةً للنهب والسرقة، والتخريب والتغريب، منذ أيام الأتراك الذين لم يسمحوا بتأسيس المتاحف في الولايات العربية، واقتصروا على متحف واحد في إسطنبول، فكثرت الحفريات الأجنبية في بلاد الشام، وجرى نهب واسع ومنظّم لآثارها، على يد الجمعيات الآثارية في الغرب، التي أرسلت عشرات البعثات للتنقيب عن الآثار، ثم نقلها للغرب الذي ازدحمت متاحفه بآثارنا المنهوبة.

وتمكَّن محمَّد كرد علي عندما كان رأساً لديوان المعارف، من إقناع الأمير فيصل بأهمية إنشاء متحف، يلمّ شتات ما تبعثر من آثار بلاد الشام، وأصدر علي رضا الركابي منشوراً يدعو إلى المحافظة على الآثار، ونُشِر في الجريدة الرسمية (العاصمة)، بتاريخ ٩ حزيران ١٩١٩م، ونصّ المنشور على منع البحث عن الآثار القديمة، أو تشويهها، أو بيعها، بدون إذن الإدارة[١].

وعند قيام المجمع، جُعِلَ متحف الآثار فرعاً منه وتحت إشرافه، يقول كرد علي في غضون حديثه عن تأسيس دار الآثار، التي طرح على الأمير فيصل فكرة تأسيسها: «ولم تكن الشام في عهد الملك فيصل، أقلَّ عناية من تينك الدولتين: [فرنسا وإنجلترا]، فقد اغتنم بعض المفكرين، وفي مقدمهم الأستاذ مؤلِّف (خطط الشام)، فاقترحوا على الملك إنشاء متحف في دمشق، فقوبل هذا الاقتراح بارتياح عظيم، وما لبث الملك أن أصدر أمره بذلك، إلى الأستاذ بأمر تحقيقه، على أن يكون فرعاً للمجمع العلميّ العربيّ الذي أسَّسه الرئيس أيضاً»[٢].

---

(١) انظر: **جريدة «العاصمة»**، ٩ حزيران، ١٩١٩م، السنة الأولى، عدد ٣٢، ص٦.

(٢) كرد علي، **خطط الشام**، ج٦، ص١٧٥.

وممَّا يدلُّ على اهتمام الحكومة العربية بأمر المتحف ورعايتها له، أنَّ حفل افتتاحه كان برعاية الأمير زيد بن الحسين نائب الأمير فيصل، وقام رضا الركابي برعاية المتحف أيضاً[1].

وبدأ بعض رجال الدولة بتقديم الهدايا للمتحف، فقد ذكرت جريدة (العاصمة) أنّ الحاكم العسكري في حلب، قد أهدى إلى المتحف: «أواني زجاجية مستخرجة من حفريات قضاء الرقة، وقطعاً من الأسلحة الجارحة»[2].

ونتيجة لدعم الأمير فيصل، وولي عهده، ورجل الدولة القوي الركابي، نشط المجمع في جمع الآثار والحفاظ عليها؛ إدراكاً للخطر الداهم الذي يتهدَّد ما تبقّى من آثار البلاد الشامية والعربية، التي تغلغلت فيها البعثات الأثرية، منذ حملة نابليون ١٧٩٨م، وحتى انتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م، إذ قامت الدول الاستعمارية بنشاط محموم في نهب آثار الشام، وكلّف قادة الجيوش المحتلة: الإنجليزية والفرنسية برفع التقارير عنها[3]، وهذا يفسِّر لنا همة المجمع في هذا الجانب، إذ ضاعف جهوده في موضوع جمع الآثار واستجلابها، وألّف لذلك أكثر من لجنة، وجعل لكلّ منها منطقة من بلاد الشام تعمل فيها، فهناك لجنة تعمل خارج دمشق، وتذهب إلى المواقع الأثرية، وترفع التقارير عنها، وأخرى تعمل داخلها، وتطوف على مواقع الآثار فيها، وتنسخ الكتابات والنقوش المزبورة على الجدران، والأبواب، والمساجد، والمدارس القديمة.

واستعان المجمع بالخبراء والتجار العارفين بقيم القطع الأثرية، وجرى تقييم دقيق لهذه الآثار، وفُتِحَ الباب للشراء ممَّن لديهم أية آثار بالسعر المناسب؛ خوفاً من تسرّبها لتجار الآثار الأجانب، إلى غير ذلك من الجهود والأعمال الجادة التي أسلفنا ذكرها.

---

(١) انظر: الفتيح، **تاريخ المجمع العلمي العربي**، ص١٦١.
(٢) **جريدة «العاصمة»** ٢١ أغسطس، ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد ٥٢، ص٣.
(٣) انظر: كرد علي، **خطط الشام**، ج٦، ص١٧٥.

لقد تمكن المجمع خلال نصف عام تقريباً، وبعد عمل شاق، ومتابعة حثيثة، من جمع كمية وافرة من العاديات، التي صنّفها متري قندلفت أحد أعضاء المجمع إلى:

- **الحجريات**: وهي تماثيل حجرية مختلفة الأشكال، والألـوان، وقد بلغ عددها سبعمئة، منها:

- رأس متوَّج لبعل، أشهر معبودات الفينيقيين.

- رأس عظيم من عظماء الحثّيين.

- قاعدة كتب عليها باليونانية.

- تمثال امرأة كامل هائل الجسم.

- لوحان حجريان، مأخوذان من الجامع الأموي الشريف، وهما منقوشان بالقلم الكوفي[1].

- **القيشاني**: وعددُ قطعه تسع وثمانون قطعة.

- **الزجاجيات والخزفيات**: «وهي أوانٍ مختلفة الأشكال والحجوم، بديعة الصنع والرسوم، شائقة الألوان البهية الزاهية، أكثرها فينيقيّ، كان محفوظاً في المدرسة السلطانية (التجهيزية) وغيرها، وقد أخذ رسوم كثير منها للتصوير الشمسي»[2].

- **عاديات نحاسية وحديدية**: وعددها ست عشرة عادية، «ومنها لوح حديدي قديم جداً، طُبعت عليه رسوم أشخاص مصرية وحثيّة، ومنها خلخال نحاسي قديم، وسبعة تماثيل صغيرة، وقطعتان على شكل ملعقة، ومنها أربع قطع نحاسية للقياسات الفلكية، أخذت من تركة المرحوم الشيخ عبد المحسن المرادي»[3].

---

(١) انظر: قندلفت، متري: «**وصف بعض العاديات**»، **مجلة المجمع العلمي العربي**، دمشق، السنة ١٩٢١م، المجلد ١، ص١٣-١٥.

(٢) **المصدر السابق**، ١٩٢١م، المجلد ١، ص١٥.

(٣) **المصدر السابق**،١٩٢١م، المجلد ١، ص١٥-١٦.

- **الأسلحة**: ثمانون قطعة، منها سيف أمين الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح -رضي الله عنه- قائد معركة اليرموك، وقد وُجِدَ سيفه في قبره في غور الأردن، وقد أهداه للمجمع عبد الرحمن باشا اليوسف، ومنها سيف صليبي وُجد في قلعة حلب[1].

- **نقود ذهبية وفضية ونحاسية**: وترجع إلى عدة عصور، وعددها ١٣٧٢ قطعة، وأقدم هذه القطع دينار ذهبي، ضُرِبَ في عهد الخليفة العباسي المهدي بن المنصور (ت١٦٩هـ/ ٧٨٥م)، ودينار ذهبي ضرب بمصر سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م، زمن السلطان الملك الناصر حسن بن محمَّد بن قلاوون، ودينار ذهبي ثالث ضرب في حلب سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م للسلطان سليمان القانوني العثماني، ولدى المجمع مجموعة من النقود الفضية التي تعود للعصور: اليوناني، والعباسي، والسلجوقي، والصليبي، وغيرها.

- **النقود الذهبية للحكومة الفيصلية**: وعددها أحد عشر ديناراً، وقد ضربت في دمشق سنة ١٩١٩م، ونقش على أحد وجهيها: **دينار المملكة السورية**، وعلى الوجه الآخر: **الملك فيصل الأول**، وكانت حكومة دمشق قد أمرت بحفظها في المتحف.

- **كسوة المحمل الشريف**: وهو آخر ما صنعه الأتراك سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م[2]، وقد تميّز المحمل الشريف «بطرازه البديع الموشَّى، والمزركش بالقصب المذهّب والمفضض، والصناجق، وجميع صناديق الآنية المتعلقة به، وكلّها بديعة الصنع والوضع»[3].

- **أوسمة رسمية عثمانية**، وصور مختلفة، وغير ذلك من المقتنيات ذات القيمة الأثرية.

---

(١) انظر: قندلفت، متري: «**وصف بعض العاديات**»، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، السنة ١٩٢١م، المجلد ١، ص١٦.

(٢) انظر: **المصدر السابق**، المجلد ١، ص١٦.

(٣) **المصدر السابق**، المجلد ٢، ص٢١٩، نقلاً عن جريدة الوطن، العدد ٢٢٣، تاريخ ٢١ حزيران.

الهدف السادس من أهداف المجمع: وهو «جمع المخطوطات الشرقية».

إنّ هذا الهدف قد يتقاطع مع الهدف السابع، وهو «جمع المخطوطات العربية والإفرنجية على اختلاف موضوعاتها». والمجمع -كما بيَّنّا سابقاً- عقد أكثر من جلسة بخصوص المكتبة، ووضع لها نظاماً داخلياً للعارية، وأوقات العمل، واختار لها نظاماً للفهرسة من بين عدّة أنواع من فهارس المكتبات، إلى غير ذلك من الأعمال الإدارية والتنظيمية.

ويمكن القول: إنَّ أهمّ إنجازات المجمع في هذا الشأن، هو تعيين العلَّامة الشيخ طاهر الجزائري مديراً لدار الكتب العربية، بعد عوده الأحمد من مصر، ولا غرو في ذلك، فهو بحقّ مؤسس المعارف في الشام قبل أربعين عاماً من قيام المجمع، وقد نشرت الجريدة الرسمية خبر هذا التعيين، وصدور إرادة الأمير فيصل بتعيينه بتاريخ ١٣ تشرين الأول عام ١٩١٩م في بلاغ رسمي، نصّه: «مديرية دار الكتب العربية، وعضوية المجمع العلمي: صدرت إرادة سمو الأمير المعظم، بالموافقة على ما جاء في كتاب رئيس المجمع العلمي، من تعيين الأستاذ المحترم الشيخ طاهر الجزائري مديراً لدار الكتب العربية، وعضواً موظفاً في المجمع العلمي»[(١)].

ولا ريب في أنَّ تعيين الشيخ طاهر الجزائري مديراً لدار الكتب العربية، كان اعترافاً بفضله العظيم، ودوره الرائد، عندما نهد مع بعض أصدقائه، كسليم البخاري، وبمعاونة والي الشام مدحت باشا، في سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، وجمعوا ما تفرَّق من المخطوطات في المدارس القديمة بدمشق، علماً بأنَّ هذه المخطوطات كانت موقوفةً في المدارس الدمشقية التي كان الناظرون فيها يستحلّون أوقافها، فلقي الجزائري مقاومة عنيفة منهم، ولكنّ إصراره، وشدة حرصه، وعمله الدؤوب، أنقذ هذه المخطوطات من براثن الـمُتسلِّطين على مال الوقف، وكتبه وأرضه، ومن كيد الوالغين بأوقاف المسلمين التي لا حماة لها.

(١) **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ١٧ محرم ١٣٣٨هـ، ١٣ تشرين الأول ١٩١٩م، العدد ٦٦، ص٢.

وعرف الشيخ طاهر بشدة شغفه، وعشقه لاقتناء المخطوطات، والبحث عنها في خزائن الكتب العامة منها والخاصة، في الأستانة ومصر والشام، ويعدُّ من كبار علماء المخطوطات في عصره[١].

إنَّ تنسيب كرد علي للأمير فيصل، بتعيين طاهر الجزائري مديراً لدار الكتب العربية، يُعدُّ إنجازاً كبيراً لواحدٍ من أهمّ أهداف المجمع، وهو «جمع المخطوطات الشرقية»، ولا سيما أنَّ الجزائري كان عالمـًا بالمخطوطات العربية والشرقية، ومن أكثر الناس حرصـًا عليها، وقد مكَّنه من ذلك شغفه المعرفي بالتراث العربي والإنساني، ورغبته في إحياء التراث الإسلامي، ونشر مخطوطاته، مع اهتمامه بترغيب الناشئة وتحبيبهم في القراءة والاطلاع على كنوز أجدادهم، إضافة إلى معرفته بفنون الأدب وعلومه، وإتقانه للعربية والفارسية، والتركية، وإلمامه بمبادئ العبرانية، والحبشية، والسريانية[٢].

وقد عمل المجمع على تعزيز مقتنياته من المخطوطات والمطبوعات من خلال طريقتي الابتياع والشراء، والتبرع والاستهداء:

أ- الشراء والابتياع:

فقد بلغ عدد مخطوطات الظاهرية قبل إشراف المجمع عليها (٢٤٥٣) مخطوطـًا[٣]، ولكنّ المجمع جدَّ في عملية ابتياع المخطوطات، «واشترى كتبـًا، ومكاتب برمتها، تحتوي أنفس المخطوطات وأندرها، وأبعدها زمنـًا»[٤].

وزاد كرد علي الأمر وضوحـًا وتفصيلاً بخصوص المخطوطات المشتراة، وموضوعاتها، وعددها، وقيمتها الأدبية، وأهميتها العلمية، وَّنص على ذلك في

---

(١) انظر: كرد علي، **مجلة المجمع العلمي العربي**، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد الأول، ص١٧-٢١؛ **كنوز الأجداد**، دمشق، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٩م، ص٥-٤٦.

(٢) انظر: **مجلة المجمع العلمي العربي**، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١، ص٢٠.

(٣) انظر: كرد علي، **خطط الشام**، المجلد ٦، ص١٩٩.

(٤) **مجلة المجمع العلمي العربي**، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١، ص٣.

منشوره، الذي وجَّهه للمجلات والمجامع، في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٣٧هـ/ الموافق ٢٠ أيلول سنة ١٩١٩م؛ أي بعد أربعة أشهر من قيام المجمع، يقول: «فعُني المجمع الآن، بأن يضيف إليها [أي المكتبة الظاهرية]، نوادر المخطوطات، والمطبوعات من شرقية وغربية، فابتاع لها أكثر من ألفي مجلد، حتى بلغ عدد مخطوطاتها زهاء ثلاثة آلاف مجلد، فيها أُمَّهات الكتب المفيدة، في التاريخ، والأدب، والفنون المختلفة، بخطوط قديمة، كثير منها بيد مؤلفيها، ونسخ مضبوطة بقراءتها على كبار العلماء»[١].

وتشير جريدة (العاصمة) إلى دخول مجموعتين نفيستين من الكتب المطبوعة بدار الكتب السلطانية في القاهرة والجامعة المصرية، إلى غير ذلك من الأسفار «العصرية التي ابتاعتها الحكومة العربية، لتُسبل على المطالعة في هذه العارية، وينتفع بها القوم على اختلاف مشاربهم العلمية والأدبية»[٢].

ولم يقتصر دور الحكومة العربية على شراء الكتب من مصر، بل قامت بشراء الكتب المتعلقة بالعرب وحضارتهم مما هو مطبوع في أوروبا، كما قرّرت: «أن يضاف إلى خزائن دار الكتب الظاهرية، نحو ألف مجلد من الكتب الألمانية الموجودة في المدرسة الحربية، وفي هذه المجلدات كثير من الكتب المتعلقة بالشرق وتاريخه وأحواله...»[٣].

وممّا يسترعي النظر، حرص خبراء المجمع في المخطوطات، وبخاصة طاهر الجزائري، ومحمَّد كرد علي وغيرهم، على انتقاء مخطوطات المجمع، فالنسخ المكتوبة بخطوط مؤلِّفيها هي أرفع النسخ عندهم مقامًا، ويتطلبون النسخ المقابلة المضبوطة المقروءة على كبار العلماء أو على مؤلفيها، لما يتوافر لها من التصحيح

---

(١) **مجلة المجمع العلمي العربي**، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١، ص٧.

(٢) **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ١٧ محرم ١٣٣٨هـ، ٣٠ تشرين الأول ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد ٧١، ص٢.

(٣) **المصدر السابق**، السنة الأولى، ٢ جمادى الأولى، ١٣٣٨هـ، ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٠م، السنة الأولى، العدد ٩٥، ص٣.

والضبط، الأمر الذي جعل هذه المخطوطات القيمة مهيأة لقيام أعضاء المجمع، أو الباحثين بتحقيقها، وإبرازها للقرَّاء، وهو ما قام به المجمع، إذ كان يطلب من أعضائه تـخيُّـرَ ما يرونه مناسبـًا لتحقيقه ونشره.

ويبدو أنّ كرد علي كان شديد الاعتداد والاحتفال بهذه الخزانة الحافلة بالنوادر، التي قلّما تقع للباحثين إلا بعد طول السفر والرحلة، وشدة الطلب والتفتيش، في خزائن المخطوطات العامة منها والخاصة، ولذا فإنّ كرد يقول مزهوًّاً ومفتخراً بمقتنيات الخزانة الظاهرية ، ولا غرو في ذلك، فهو العالم المحقّق الذي لا يقيس الأشياء بكميتها، بل بكيفيتها ونفاستها: «... وليست مكانتها منبعثة من كثرة أعداد كتبها، بل من النوادر المحفوظة فيها، وربما كانت مجموعتها أندر مجموعة في الشام، فيها بضعة آلاف كتاب ورسالة... ومنها القديم جداً، بل فيها أقدم كتاب في الشام في القرن الثالث»[1].

ب- الاستهداء وطلب التبرُّع بالكتب والمخطوطات:

إذا كان المجمع قد رفد دار الكتب العربية بشراء مكتبات كاملة، فإنّ الأسخياء الكرماء من العلماء والأثرياء من أهل الشام، قد أهدوا خزائن كتبهم للمجمع؛ لتكون وقفـًا يعمّ نفعه كلّ أبناء البلاد، ويعود بالفائدة العلمية على كلّ الباحثين والعلماء.

ومن أجَلِّ الإهداءات التي ازدانت بها رفوف دار الكتب العربية، ما سخت به نفس الشيخ حسن المرادي، وهو من علماء مدينة دمشق، فقد نشرت جريدة (العاصمة) تحت بند تبليغات رسمية: دار الكتب العربية بدمشق، ما نصه: «دخل هذه المرة دار الكتب العربية بدمشق، ألف وسبعمئة مجلد، نصفها مخطوط، وقد أهداها حضرة الشيخ حسن المرادي، نجل العلامة المرحوم عبد المحسن المرادي من علماء هذه المدينة، مجموعة كتب المرحوم والده، وهي تبلغ ثلاثمئة مجلد، وفيها النفيس النادر،

(١) كرد علي، **خطط الشام**، المجلد ٦، ص١٩٩.

في: الفلك، والرياضيات، وعلم الملاحة، والفقه، والفتاوي، وغير ذلك من الأدوات الفلكية، كالربع المقنطر، والربع المجيب، والرقوق القديمة، نزل عن هذه النفائس لدار الكتب العربية، حسبه الله، فاستحق شكر الأمة»[1].

ودعت الجريدة من لديهم مخطوطات نفيسة إلى أن يجودوا بها، على من ينتفع بها سخاءً وكرمـاً بعلمٍ يعمّ نفعه أبناء البلاد، وطلاب العلم[2].

وبناءً على الإهداء الضخم الذي قدَّمه حسن المرادي للمجمع، يمكن الاستدلال على أنَّ كثيراً من العائلات الدمشقية، لديها خزائن المخطوطات العامرة في العصر العثماني من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنَّ بعضـاً من هؤلاء العلماء كانوا يشتغلون بالعلوم الرياضية والطبيعية، ولم تقتصر جهودهم في التأليف والتعلم على الفقه والحديث والتفسير؛ أي إنَّ جذوة العلوم المدنية، أو علوم الحكمة، والعلوم الدينية، لم تخمد في دمشق، التي أثبتت محتوياتُ خزائن مخطوطاتها، أنَّ الحركة العلمية لم تمت فيها، كما أنّ روح السخاء بالعلم، ونشره بين طلابه، كانت عند الدماشقة –ولا زالت– زكاةً وقربة إلى الله، وهذا ما دفع حسن المرادي وغيره من أرباب خزائن المخطوطات إلى الجود بها، على الرغم من مغالاة الناس بشرائها، ووجود المستشرقين الذين يدفعون بها أغلى الأثمان، ولا سيما ما كان نادراً وفريداً.

ولم تقتصر الإهداءات لدار الكتب العربية على ما قدّمه علماء المسلمين، كالمرادي السالف ذكره، بل شارك فيها العلماء والمحسنون من كلّ الطوائف والمذاهب، فقد أهدى يوسف بك السبع كتابـاً قديمـاً في الصلوات، كُتِبَ باللغة اليونانية، ويعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وأهدي عن طريق مجلس المعارف كتاب مخطوط في «عقيدة الدروز»[3].

---

(١) **جريدة العاصمة**، ٦ صفر سنة ١٣٣٨هـ/ ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد ٧١، ص٢.

(٢) انظر: **المصدر السابق**، السنة الأولى، العدد ٧١، ص٢.

(٣) انظر: **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، ١٩٢١م، المجلد ١، ص١١٠.

وتقديراً لهمّة المجمع العلمي في شراء المخطوطات، واستهدائها، والبحث عنها واستجلابها، ونتيجة لاستجابة العلماء وأهل الخير والمكرمات لدعوة المجمع، الذي تمَّ رفده بما لديهم من المخطوطات والكتب النادرة؛ لتكون ذخراً لهم عند الله، وشكراً عند الناس، وأثراً خالداً لأبناء الأمة، فإنَّ مقتنيات المجمع من العاديات والمخطوطات، والكتب والآثار، قد ازدادت بشكلٍ لافتٍ للنظر، ومثيرٍ للإعجاب، حتى أصبح أغنى مركز علمي ببلاد الشام، وأضحت مجموعاته من أنفس المجموعات وأندرها.

الهدف السابع من أهداف المجمع: وهو «وضع بعض التواريخ».

وهو هدف مبهم، فما المقصود بالتواريخ؟ وفي أي عصر؟ وما موضوعها؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي تثيرها هذه الجملة الغامضة، وممّا هو معروف لدينا أنَّ المجمع قد أذاع منشوره الذي حدَّد فيه أهدافه، ومن ضمنها «وضع بعض التواريخ» في العشرين من أيلول سنة ١٩١٩م.

واللافت للنظر أنَّ الجريدة الرسمية (العاصمة) قد نشرت خبراً بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩١٩م، جاء فيه: «التاريخ اليومي لسوريا: عزم المجمع العلمي في دمشق على تدوين الوقائع اليومية، التي حدثت وتحدث، منذ خروج الترك من الديار السورية»[1].

والسؤال المطروح هنا: هل عبارة منشور المجمع «وضع بعض التواريخ»، تعني ما قُصد في الجريدة الرسمية، من كتابة تاريخ الوقائع اليومية التي حدثت وتحدث منذ خروج الترك؟!

في الواقع أنَّ المجمع لم يقم بأيّ عملٍ في كتابة تاريخ المجريات التي وقعت منذ خروج الترك، وحتى فضّ المجمع، على الرغم من تتابع هذه الحوادث وخطورتها

(١) انظر: **جريدة العاصمة**، ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ/ ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد ٥٠، ص٣.

في تاريخ بلاد الشام، التي بدأ المستعمرون العمل آنذاك على تفكيكها، وتقسيمها طائفياً ومذهبياً، وعرقياً ومناطقياً، إضافة إلى شروعهم في نهب خيرات البلاد، وسحب عملتها الذهبية، وتمّ تقاسم الأسلاب والغنائم بين فرنسا وإنجلترا؛ تمهيداً لإقامة دولة صهيونية في فلسطين، ودويلات طائفية في سوريا، وتأجيج الصراعات المذهبية والطائفية فيها بدعوى حماية الأقليات، ولكنَّهم في الحقيقة كانوا يُسعّرون نيران الأحقاد والعداوات بين الإخوة أبناء الوطن الواحد.

ويتضح أنّ جلسات المجمع الأولى، التي سبقت إصدار منشوره، قد بحثت مسألة تدوين الوقائع اليومية، التي حدثت وتحدث منذ خروج الترك، ولكنّها لم تشكّل لجنة لكتابة هذا التاريخ كما صنعت في موضوعات: اللغة، والآثار، والمخطوطات، ومن المحتمل أن يكون المجمع قد أرجأ العمل في موضوع التواريخ، على أمل إنجاز هذا الهدف في قابل الأيام، أو رأى أنه ليس من اختصاصه، فهو يحتاج إلى جمعية تاريخية يقوم عليها مؤرِّخون أكفياء، وإن كان في رجال المجمع من لهم علم بالتاريخ قديمه وحديثه، ولا سيما رئيس المجمع وغيره.

أمّا الخبر الذي نشره المجمع عن عزمه «تدوين الوقائع اليومية»، فقد يكون إرضاءً للحكومة العربية، وبخاصة الحاكم العسكري فيها علي رضا الركابي، الذي شجّع على كتابة هذا التاريخ، فقام محمَّد أمين الكيلاني أحد ضباط الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل، بكتابة بعض وقائع هذا الجيش، ومعاركه مع الترك سنة ١٩١٨م منها: واقعة وادي موسى، وواقعة الطفيلة، وواقعة معان، وواقعة الحسا، ويبدو أنّها روايات ذات صبغة أدبية، فقد جاء في جريدة (العاصمة): «واقعة وادي موسى: صدر الجزء الثاني من رواية (واقعة وادي موسى) إحدى وقائع الجيش العربي»[1].

(١) **جريدة العاصمة**، ١٥ شعبان سنة ١٣٣٨هـ/ ٣ مارس سنة ١٩٢٠م، السنة الثانية، العدد ١٢٢، ص٧.

الهدف الثامن للمجمع: وهو «تعريب بعض الكتب المفيدة».

لا تدلُّنا أخبار المجمع، ومصادر دراسته، على قيامه بتعريب أي كتاب في أيام الحكومة العربية، وتعريب الكتب لا يمكن إنجازه بسرعة، فهو يحتاج إلى دراسة الكتاب، وأخذ القرار بتعريبه، وإلى وجود ذوي الخبرة في النقل والتعريب، وبضعة أشهر من حياة المجمع لا تكفي لذلك.

الهدف التاسع للمجمع: الرامي إلى «طبع الرسائل العلمية اللغوية في الأوضاع المَدنيّة».

يظهر أنّ المجمع كان مجتهداً وجادّاً لتحقيق هذه الغاية، ويدلّنا على ذلك مقالة العلامة اللغوي الأب أنستاس الكرملي، والموسومة بـ«أوضاع العصرية»، وقد نشرتها مجلة المجمع في عددها الأول، وقد ركّز الكرملي في مقالته على ضرورة مجاراة العربية «سائر اللغات العصرية في أوضاعها الحديثة المعنى، قياساً بإيفاء المعاني حقوقها من المباني اللازمة لها»[1]. ويذكر الكرملي أنّه قد وفِّق خلال أربعين عاماً إلى وضع ألف لفظة «بإزاء مثلها من اللغة الفرنسية أو الإنكليزية، ألفيت جانباً منها في كتب الأقدمين مما يجهله المحدثون»[2]، ويشير الكرملي إلى أنّه نشر كثيراً من هذه الألفاظ في الصحف والمجلات باسم مستعار، وقد أغار بعض الكتَّاب على كثير من هذه الأوضاع اللغوية ونسبوها لأنفسهم.

الهدف العاشر: هو آخر أهداف المجمع التي حددها في منشوره الصادر في ٢٠ أيلول سنة ١٩١٩م، وهو إصدار مجلة باسم «مجلة المجمع العلمي العربي».

فقد وعد المنشور بقرب صدورها، ممّا يدل على أنّ بعض مواد عددها الأول كانت جاهزة، وبعضها قيد الإعداد، وللأسف، فإنَّ المجمع شلّت حركته في مهده، ولم يطل عمره بعد ذلك سوى شهرين وبضعة أيام، ولم تصدر المجلة الموعودة في أيام

(١) **مجلة المجمع العلمي العربي**، ١٩٢١م، المجلد ١، ص١٦١-١٦٢.
(٢) **المصدر السابق**، المجلد ١، ص١٦٢.

الدولة العربية، وصدر أول أعدادها في الحادي والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٣٩هـ، الموافق لكانون الثاني سنة ١٩٢١م في بداية عهد الانتداب الفرنسي المشؤوم، وما زالت تصدر حتى اليوم.

وبناءً على ما تقدَّم، فإنّ إنجازات المجمع كانت واضحةً، بل مميزة في إثراء دار الكتب العربية، وتعزيزها بالمخطوطات النادرة، والإصدارات الجديدة من الكتب من مختلف أرجاء العالم، وفي خدمة اللغة العربية في دواوين الحكومة العربية، وتعريب ألفاظها الأعجمية، والارتقاء بأساليب الكتابة والإنشاء فيها، وعلى الرغم من أنّ عمره لم يتمّ ستة أشهر، كانت أيامه خيراً من الأعوام التي لا تعمل فيها الأمة للنهوض بلغتها، وحمايتها من غزوات وحروب اللغات الاستعمارية في عُقر دارها، وفي مناطق امتدادها الروحي والحضاري.

وحاز المجمع قصب السبق في إنشاء دار الآثار العربية، وأثراها بالعاديات والآثار، من قشاني وحجريات، ونحاسيات وعملات، ورسومات وأعلام، وغيرها من المقتنيات التي كانت ستقع بأيدي الجيوش الغازية، وتُنقل إلى متاحف الغرب.

وفوق ذلك، فإنَّ المجمع كان مركزاً يستقبل كبار الزوَّار الرسميين من الأجانب، وقام بتاريخ ١٣/ تشرين الأول سنة ١٩١٩م بتكريم المستشرقة مس(بل) بحضور علي رضا الركابي، ونُشر الخبر في الجريدة الرسمية، ونصّه: «أقام المجمع العلمي يوم ١٣ الجاري حفلة تكريم للمستشرقة الفاضلة المس (بل)، معاونة حاكم العراق، وقد حضر هذه الحفلة، دولة حاكم سوريا العسكري العام، فافتتح الحفلة الأستاذ محمَّد كرد علي، وتلاه السيد عز الدِّين علم، فالسيد أنيس سلوم، ذاكرين فضل المحتفَل بها، واهتمامها بالشؤون العربية قبل الحرب وبعدها، فأجابتهم المضيفة الكريمة بخطاب شكره، على المكارم العربية التي اختصُّوا بها»[1].

(١) **جريدة العاصمة**، ٢٠ المحرم، سنة ١٣٣٨هـ/ ١٦ تشرين الأول سنة ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد٦٧، ص٤.

ومس (بل) (Bell)، مستشرقة عالمة بالآثار، ورحَّالة، ومترجمة، عملت في إدارة المخابرات السريّة في مصر والبصرة وبغداد، ولها مؤلفات في تاريخ العراق وحضارته، كانت تلقَّب بملكة العراق غير المتوَّجة[1]، وهذا ما يفسِّر لنا استضافة الدولة لها وتكريمها في المجمع.

ويظهر أنّ خطوات المجمع، وجهوده وإنجازاته في سبيل ترقية اللغة العربية، وخدمة العلم في الحكومة العربية، كانت موضع التقدير والإعجاب، بل كان المجمع ورجاله مفخرةً من مفاخر العهد الفيصلي، فقد جاء في الجريدة الرسمية في معرض الدفاع عن الحكومة، وذكر إنجازاتها ما نصّه: «ولقد ألفت المجمع العلمي، وبحثت بكلّ قواها عن رجال العلم، وعينتهم به، ولا تزال تفتش، فكلّ ما عرفت برجل مخلص وعالم فاضل طلبته وعيّنته»[2].

وممّا جاء في الجريدة نفسها: «وقد أصيبت اللغة الوطنية في الماضي بطعنة في صدرها، وأصبح الوطنيون يدرسون العلوم والطب بلغة غير العربية، فتنبَّهت حكومة سوريا لذلك، وأنشأت الكلية الطبية، وابتدأ العلماء بتعريب الكتب»[3].

وعبَّرت الجريدة عن الآمال المعقودة على جهود المجمع ودوره في نهضة الأمة، بالقول: «هذا المجمع ضمَّ إليه معظم رجال سوريا، وهو يبحث بكلّ ما يعود على البلاد والوطن بالفائدة والنفع، ويبرهن للعالم بمجموعه أنّ الأمة السورية تعمل على رقيه...»[4].

وممّا هو جدير بالذكر هنا، الخدمة اللغوية الجليلة التي كان يقوم بها المجمع للحكومة العربية، وما تأسّس فيها من دوائر ومؤسسات ووزارات، كانت بحاجة إلى

---

(١) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص١١٥.
(٢) **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، العدد ٥٥، ص٤.
(٣) **المصدر السابق**، العدد ٥٥، ص٤.
(٤) **المصدر السابق**، العدد ٥٥، ص٤.

وضع القوانين واللوائح والأنظمة الناظمة لعملها، إذ التزمت الحكومة للمجمع بألّا تصدر شيئًا من قوانينها وأنظمتها، إلا بعد عرضه على المجمع، الذي تقوم لجانه بمراجعتها مراجعة دقيقة من الناحية اللغوية، وتتأكد من الصياغة العربية السليمة لموادها وبنودها[1].

(١) انظر: الأفغاني، **من حاضر اللغة العربية**، ص١٠٧.

فهرست

المصادر والمراجع

ابن جبير، محمَّد بن أحمد (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م):

- **رحلة ابن جبير**. دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

ابن الجزري، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن محمَّد (ت٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م):

- **غاية النهاية في طبقات القرَّاء**: عني بنشره: ج. برجستراسر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٩٩م، .

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمَّد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

بوشرب، أحمد:

- **الخليج العربي والبحر الأحمر من خلال وثائق برتغالية ١٥٠٨-١٥٦٨م**. ترجمة: أحمد بوشرب، ط١، كرسي الأمير سلمان بن عبد العزيز، الرياض، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

ابن طولون الصالحي، شمس الدين محمَّد (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م):

- **حوادث دمشق اليومية غداة الغزو العثماني للشام (٩٢٦-٩٥١هـ)**. تحقيق أحمد أيبش، ط١، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٢م.

- **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**. تحقيق: محمَّد أحمد دهمان، ط١، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، ق٢.

- **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**. تحقيق: محمَّد مصطفى، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ج٢.

ابن قاضي شهبة الدمشقي، أبو بكر أحمد بن محمَّد (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٨م):

- **الكواكب الدُّرية في السيرة النورية**. تحقيق: محمود زايد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١م.

ابن منظور، جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م):

- **لسان العرب**. دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م):

- **المذيَّل على الروضتين**. تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط١، دار الرسالة العالمية، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

- **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**. تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

الأرناؤوط، محمَّد:

- «**علماء دمشق والحكومة الفيصلية**». مقالة منشورة في كتاب بناء الدولة العربية الحديثة (تجربة فيصل بن الحسين في سوريا والعراق)، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠١٨م.

أسكاورس، توفيق:

- «**معهد مصر العلمي ومجلس المعارف المصري**». مجلة الهلال، ١٩١٣م، سنة ٢١.

الأفغاني، سعيد:

- **من حاضر اللغة العربية**. ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٧١م.

آقبيق، عزة علي:

- «**رشيد بقدونس الفارس الذي ترجَّل بصمت**» https: / /syrmh.com.

آل جندي، أدهم:

- **شهداء الحرب العالمية الكبرى**. ط١، مطبعة العروبة، دمشق، ١٩٦٠.

الألوسي، جمال الدِّين:

- **محمَّد كرد علي**. ط٢، وزارة الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.

البارودي، فخري:

- «**مدرستان ضروريتان – إلى التجار والمزارعين**». جريدة العاصمة، ١٠ آذار، ١٩١٩م، العدد ٧.

- **مذكرات البادروي**. دمشق، ١٩٥١م.

البخيت، محمَّد عدنان:

- **الفهرس العام لمجموعة بلاغات المالية العامة لسنة ١٩٢٠م في الحكومة العربية بدمشق**. ط١، البنك الأهلي الأردني، عمان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

بلعيد، صالح:

- «**دور مجامع اللغة العربية في تيسير العربية**». مجمع اللغة العربية بدمشق، المؤتمر السنوي الثاني (اللغة العربية في مواجهة المخاطر)، عقد بمقر المجمع بدمشق، في:٢٤-٢٧ شعبان، الموافق: ٢٠-٢٣ أكتوبر ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

البوَّاب، مروان:

- **أعلام مجمع اللغة العربية في دمشق في مئة عام**. مراجعة: محمَّد مكي الحسني، مازن المبارك، ط١، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م.

تراسك، ر.ل:

- **لماذا تتغير اللغات**. ترجمة: محمَّد مازن جلال، ط١، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

تماري، سليم:

- **عام الجراد (الحرب العظمى ومحي الماضي العثماني من فلسطين)**. ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية المقدسية، القدس، ٢٠٠٨م.

تيخونوفا:

- **ساطع رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العربي**. ترجمة: توفيق سلوم، ط١، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٧م.

الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م):

- **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**. تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن. مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج٥.

جبري، شفيق:

- **محاضرات عن محمَّد كرد علي**. ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

الجرجاني، علي بن عبد العزيز:

- **الوساطة بين المتنبي وخصومه**. تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، علي البجاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بلا تاريخ.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ١٣٣٧ هـ/ ١٩١٩م، العدد ٢٩، ص٣.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، عدد ٤٥، السنة الأولى، ٢٨ تموز، ١٩١٩م، ص٤.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، عدد ٤١، السنة الأولى، العاشر من تموز، ١٩١٩م، ص٤-٦.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، تموز، ١٩١٩م، عدد ٤١، ص٤.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، تموز، ١٩١٩م، عدد ٤١، ص٤-٦.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ٢٥ تموز، ١٩١٩م، عدد ١١، ص٨.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ٢١ نيسان، ١٩١٩م، عدد ١٩، ص٣٢، ٩ أيار، عدد ٢٤، ص١-٣.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ٩ أيار، عدد ٢٤، ص٣.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى،٢٧ آذار، ١٩١٩م، ص٧.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ١٨ آذار، ١٩١٩م، عدد ٩، ص٥.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ١٧ أيار، ١٩١٩م، عدد ٢٦، ص٤.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ٢١ نيسان، ١٩١٩م، عدد ١٩، ص٦.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ١٦ حزيران، ١٩١٩م، العدد ٣٥، ص٤.

- **جريدة العاصمة**، السنة الثانية، ١٥ شعبان سنة ١٣٣٨هـ/ ٣ مارس سنة ١٩٢٠م، السنة الثانية، العدد ١٢٢، ص٧.

- **جريدة العاصمة**، السنة الأولى، ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، العدد ٥٥، ص٤.

الحصري، ساطع:

- **الأعمال القومية**. ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م، ق٤.

- **مذكراتي في العراق**. ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٧م. يوم ميسلون، طبعة جديدة، دار الاتحاد، بيروت، بلا تاريخ.

الحصري، محمود:

- «**تعريب الأسماء الأعجمية**»، مجلة المقتطف. آذار، المجلد الثالث والثلاثون، ١٩٠٨م.

الحكيم، يوسف:

- **سوريا في العهد الفيصلي**. ط٢، دار النهار، بيروت، ١٩٨٠م.

حلمي، سعيد أحمد:

- **النشاط اليهودي في الدولة العثمانية**. ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١١م.

الحمزاوي، محمَّد رشاد:

- **مجمع اللغة العربية بدمشق والنهوض بالعربية**. ط١، دار التركي للنشر، تونس، ١٩٨٨م.

الدروبي، سمير:

- **الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**. ط١، مركز الملك فيصل، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

- «**خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أمية في دمشق من القرن (٦-١٢هـ/ ١٠-١٦م)**». بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام، وهو بعنوان: الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، تحرير: محمَّد عدنان البخيت، ط١، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، م٢، ص١٤٣-١٦٢.

- «**الرعاية وأثرها في تحقيق النصوص المترجمة في العصر العباسي**». بحث منشور ضمن وقائع مؤتمر تحقيق التراث الذي عقد في مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

- **ابن طولون الصالحي وفن المقامات**. ط١، جامعة مؤتة، الأردن، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- **مقدمة في دراسة الترجمة والتراجمة في ديوان الإنشاء المملوكي**. ط١، أمانة عمان، الأردن، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٧م.

دروزة، محمَّد عزة:

- **مذكرات محمَّد عزة دروزة**، ط١. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ج١.

- **نشأة الحركة العربية الحديثة**. ط١، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٤٩م.

الدسوقي، عمر:

- في الأدب الحديث. ط٨، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م.

الدَّهَّان، سامي:

- **محمَّد كرد علي (حياته وآثاره). مطبوعات المجمع العلمي العربي**، دمشق، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

دهمان، محمَّد أحمد:

- «**المدرسة العادلية الكبرى تقوم برعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف**». مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ع٢٩.

راشد، أحمد إسماعيل:

- «**الثورة العربية الكبرى المقدمات والأهداف والمؤامرة الدولية**». ضمن كتاب: الثورة العربية الكبرى (ثورة أمة في سبيل الحرية والنهضة)، أوراق عمل ملتقى عمان الثقافي، الرابع عشر، منشورات عمان عاصمة للثقافة الإسلامية عام ٢٠١٧م، عمان، الأردن.

رضا، محمَّد رشيد:

- **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمَّد عبده**. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م، ج١.

- «**الرحلة السورية الثانية**». منشور ضمن مجلة المنار، سنة ١٩٢٢م، الجزء الرابع، المجلد ٢٣.

ريسلر، جاك:

- **الحضارة العربية**، تعريب: خليل أحمد خليل، ط١، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٩٣.

الزركلّي، خير الدين:

- **الأعلام**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

الزواهرة، تيسير:

- **تاريخ الحياة الاجتماعية في لواء دمشق من ١٨٤٠-١٨٦٤م**. ط١، جامعة مؤتة، الأردن، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

الزيبق، إبراهيم:

- **العلامة اللغوي عبد القادر المبارك**، ط١، مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢٠١١م.

زيدان، جرجي:

- **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار الهلال، القاهرة، بلا تاريخ.

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت٦٥٤هـ/ ١٢٤٧م):

- **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**. تحقيق: محمَّد بركات، كامل الخراط، عمّار ربحاوي، ط١، الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

السفرجلاني، محمَّد حمدي:

- «**اللغة العربية وأبناؤها**». جريدة العاصمة، سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، السنة الأولى، العدد (٥٢).

السيد، محمود:

- «**التمكين للغة العربية: آفاق وحلول**». مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

السيوطي، جلال الدِّين بن عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، عيسى البابي، القاهرة، ١٩٦٤م.

الشدياق، أحمد فارس (ت١٨٨٧م):

- **كنز الرغائب في منتخبات الجوائب**. ط١، مطبعة الجوائب، الأستانة، ١٨٧٧م.

صالح، سليمان:

- **الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد**. ط١، الهيئة المصرية العامة، القاهرة،

١٩٩٧م.

صالحية، محمَّد عيسى:

- **تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة**. ط١، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٥م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

- **مقامة رشف الرحيق في وصف الحريق**. دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٢م.

العجلوني، محمَّد علي:

- **ذكريات عن الثورة العربية الكبرى**. ط١، مكتبة الحرية، عمان، بلا تاريخ.

العش، يوسف:

- **دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط**. ترجمة: نزار أباظة ومحمَّد صباغ، ط١، دار الفكر، سورية، دمشق، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):

- **عُرف التعريف في المكاتبات (أول دستور في الألقاب التشريفية في لغة العرب)**. دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، ط١، وزارة الثقافة، الأردن، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

الفتيح، أحمد:

- **تاريخ المجمع العلمي العربي**. ط١، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

القاسمي، ظافر:

- **مكتب عنبر**. المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بلا تاريخ.

قاسمية، خيرية:

- **الحكومة العربية في دمشق**. وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٧م.

- «**لمحات من الحياة التعليمية والثقافية في ظل حكومة فيصل في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م**». بحث منشور ضمن كتاب: بناء الدولة العربية الحديثة، تحرير: هند أبو الشعر، ط١، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٨م.

قلعجي، قدري:

- **الثورة العربية الكبرى**. ط١، شركة المطبوعات، بيروت، ١٩٩٣م.

القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. وزارة الثقافة، القاهرة، بلا تاريخ.

قندلفت، متري:

- «**وصف بعض العاديات**». مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، السنة ١٩٢١م، المجلد١.

كرد علي، محمَّد:

- «**إبراهيم اليازجي**». مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، المجلد ٢٨.

- «**أعمال المجمع العلمي العربي**». مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ط٢، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، المجلد ٢.

- «**الشيخ طاهر الجزائري**». مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٢١م، المجلد ١.

- **تاريخ الأستاذ محمَّد عبده**». مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٣٢م، المجلد ١٢.

- «**غابر الأندلس وحاضرها**». مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، مجلد ٢.

- **الإسلام والحضارة العربية**. ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج١.
- **خطط الشام**. ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ج٦.
- **غرائب الغرب**. ط٢، المكتبة الأهلية بمصر، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م.
- **القديم والحديث**. ط١، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.
- **كنوز الأجداد**. أضواء السلف، الرياض، ٢٠١٠م.
- **مجلة المجمع العلمي العربي**، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، مجلد ٢.
- **المذكرات**،. طبعة مصوَّرة، دار أضواء السلف، الرياض، بلا تاريخ.
- «**منشور المجمع للمجلات والمجامع**». مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م.
- «**المجمع العلمي العربي**». مجلة المجمع العلمي العربي، ١٩٢١م، المجلد ١.

كرومر، اللورد:

- **مصر الحديثة**. ترجمة: صبري محمَّد حسن، ط١، المركز الرقمي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م.

المبارك، مازن عبد القادر:

- **مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م)**. ط١، مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢٠٠٩م.
- «**من تاريخ التعريب**». مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ربيع الأول ١٤٢٨هـ/ نيسان ٢٠٠٧م، المجلد الثاني والثمانون.

مجلة المجمع العلمي العربي:

- «**إصلاح لغة الدواوين**»، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد ١.

محافظة، علي:

- **تاريخ الأردن المعاصر**. ط٢، مركز الكتاب الأردني، عمان، ١٩٨٩م.

- **المسعودي**. أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م):

- **التنبيه والإشراف**. دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م.

المطوي، محمَّد الهادي:

- **أحمد فارس الشدياق (حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة)**. ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩م.

المعلوف، عيسى إسكندر:

- «**المجامع العلمية في العالم**». مجلة المجتمع العلمي العربي، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، مجلد١.

الموسوعة الفلسطينية:

- **نخلة جريس زريق (١٨٦١- ١٩٢١م)**. ط١، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٤م، ج٤.

مؤلِّف مجهول:

- **ثورة العرب الكبرى ١٩١٩**. منشورات وزارة الثقافة، عمَّان، ط٢، ١٩٩١م.

- **النديم**، محمَّد بن أبي يعقوب (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م):

- **الفهرست**. تحقيق: رضا تجدد، بيروت، بلا تاريخ.

- **الفهرست**. قابله على أصوله: أيمن فؤاد السيد، ط١، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، المجلد الأول.

نويهض، عجاج:

- **ستون عامًا مع القافلة العربية**. إعداد: بيان نويهض الحوت، ط١، دار الاستقلال للدراسات، بيروت.

للاطلاع على قائمة منشورات وأخبار الوزارة
يُرجى زيارة العناوين التالية :

موقع وزارة الثقافة الإلكتروني
www.culture.gov.jo

رابط صفحة وزارة الثقافة على الفيس بوك
www.facebook.com/culture.gov.jo

مجامع اللغة العربية

في دمشق وعمّان في عهود الهاشميين

(١٣٣٨ - ١٤٤٣ هـ / ١٩١٨ - ٢٠٢١م)

تنطلق إصدارات مئوية تأسيس الدولة الأردنية للعام 2021، بمجموعة من الكتب القيمة التي توفر مادة معرفية وادبية وفكرية خلال مئوية التأسيس، وضمن أربعة محاور الأول: سلسلة المؤسسات والقطاعات في مئة عام، وترصد تطور القطاعات والمؤسسات وفق مختلف المراحل ودورها التنموي والنهضوي، الثاني: سلسلة الأعلام والشخصيات الأردنية، وتسعى إلى التعريف بشخصيات وطنية أسهمت في بناء الدولة وتأسيسها، وبالنهضة الوطنية والبناء الديمقراطي، الثالث: سلسلة الرواد من الكتاب والمثقفين والمبدعين الأردنيين، وتتناول إسهامات رواد الكتابة والإبداع ودورهم في التنمية في مجال تخصصاتهم الإبداعية والفنية والفكرية، الرابع: سلسلة موضوعات متخصصة في التاريخ والشؤون العامة، وتوثق بشكل منهجي لعدد من الأحداث المفصلية الكبرى في تاريخ الدولة الأردنية من خلال جمع الأرشيف الخاص بهذه الأحداث؛ من وثائق وصور، وتحويله إلى مادة علمية على شكل كتب.

9789957946517

هاتف: 5696218 962 + فاكس: 5691640 962 + ص.ب: 6140 عمّان - الأردن
E-mail:info@culture.gov.jo website:www.culture.gov.jo

الكتاب متوفر على منصة الكتبا الإلكترونية
https://alkutba.gov.jo